الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة العربية

دواة

DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم الإعلام – دار اللغة العربية

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob: +9647827236864 — +96447721458001

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ

صدق الله العلي العظيم

(الروم : 22)

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

د . لطيف القصاب

الهيأة الاستشارية

أ . د . حسين نصار/مصر - القاهرة

أ . د . محمود محمد الحسن /سوريا

أ . د . عبد العلي الودغيري /المغرب

أ . د . صاحب جعفر أبو جناح / العراق

أ . د . صباح عباس السالم / العراق

أ . د . كريم حسين ناصح / العراق

أ . د . رحيم جبر الحسناوي /العراق

أ . د . فاروق الحبوبي /العراق

أ . د . أحمد جواد العتابي /العراق

أ . د . مهدي صالح الشمري / العراق

مدير التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

سكرتير التحرير

الأستاذ حيدر السلامي

هيأة التحرير

أ.د. مصطفى الضبع / مصر

أ.د. منيرة محمد فاعور / سوريا

أ.د. صادق حسين كنيج / العراق

أ.د. محمد عبد مشكور / العراق

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي / العراق

أ.م.د. كاظم حسن جاسم الفتلاوي / العراق

أ.م.د. طلال خليفة سلمان / العراق

أ.م.د. حسن جعفر صادق / العراق

أ.م.د. خالد سهر محي / العراق

التدقيق اللغوي

م.د. غانم كامل سعود

م.د. حيدر عبد علي حميدي

الأستاذ عباس الصباغ

الترجمة

أ.م.د. مؤيد عمران جياد

الموقع الألكتروني

حيدر العامري

التصميم والإخراج

سيف الدين الزاملي

المتابعة والتنسيق

م.م. حسن الزهيري

م.م. حسين الرضوي

علاء الدين الحسني

رياض حسين الحلو

قاسم الموسوي

مصعب النعماني

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم: ب ت ٤ / ٩٦٠٨ No:

التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٢ Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

قواعد النشر..... ٧

كلمة العدد..... ٨

أ.د. مشتاق عباس معن م.م. خالد جواد جاسم
ظاهرةُ تعددِ الأوجهِ النطقيةِ في ضوء التغيّرات
فوق التركيبية، النبر والتنغيم والوقف..... ٩

م.د. أحمد جاسم
بلاغةُ التجسيدِ في القرآن الكريم ٣٥

أ.م مؤيد جاسم محمد حسين
الأصــواتُ المُستَحسـنةُ عندَ علماءِ العربية وعلماء القراءات
القرآنية سيبويه والقرطبي مثالاً ٥٥

أ.م .د محمد حسين المهداوي الباحثة : ضحى ثامر محمد
رمزيةُ المكانِ في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ٨٥

م. م. مقدام محمد جاسم البياتي
القراءاتُ المختارةُ في تفسيرِ (جوامع الجامع) للشيخ الطَبَرْسِيّ
المتوفى سنة ٥٤٨هـ دراسةٌ في الفروقِ المعجميّةِ ١٠٩

د . كريم عبيد علوي
ما وراء اللغةِ في اللسانياتِ والتراث اللغويّ العربيّ ...
بحثٌ في المفهومِ والمشكلاتِ ١٢٧

م.د. حسين علي هادي المُحَنَّا
الدَّلَالَةُ القُرآنيةُ الاحتِماليةُ في أمالِي الشَّريفِ المُرتَضَى (ت٤٣٦هـ) ١٦٣

م.د. ضياء فاخر جبر م.د. نزار بنيان شمكلي
توجيهُ الأحكامِ النحويةِ في شواهد القرآن الكريم
بين سيبويه(ت١٨٠هـ) والفراء(ت٢٠٧هـ)..... ١٨٥

أ.م سيف طارق حسين العيساوي
اثرُ أسلوبِ تفسير الأمثال القرآنيةُ في تحصيلِ طلاب الخامس
الأدبي في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي ٢١١

قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني . مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث منشوراً سابقاً وليس مقدماً الى اي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا هو العدد العاشر من مجلة دواة المحكّمة يصدر مزدانا بجملة من الأبحاث اللغوية والأدبية نرجو أن تؤلف بمجموعها مادة علمية رصينة، وأن تسهم في رفد مكتبتنا العربية بأفكار معرفية نافعة.

ويتزامن صدور هذا العدد من مجلة دواة مع صدور ملحقها الأدبي (سيراء)، وهو ملف طابعه العام الاحتفاء بشخصية لغوية أو أدبية معروفة في الوسط الأكاديمي والثقافي .ونأمل أن يحظى هذا المطبوع بفرصة انتظام الصدور، وأن يمثل جهدا علميا رديفا للمجلة، وأن يكون متميزاً في أسلوبه وطريقة عرض محتوياته بما لا يخل بضوابط البحث الموضوعي قدر الإمكان..

وقد وقع اختيار هيأة تحرير المجلة على عدد من أساتذة اللغة والأدب، وهم في غالبيتهم العظمى من الراحلين عن هذه الدنيا، وممن لهم جهود علمية واضحة وعطاءات معرفية ثرّة. وقد اجتمعت كلمة هيأة التحرير على مسألة الاحتكام إلى النظام الألف بائي في اختيار شخصية العدد الأول من هذا الإصدار فكان من نصيب طيب الذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله)، وهو أحد أعلام الدراسات اللغوية والمعجمية في العصر الحديث كما هو معروف ، وأغلب الظن أن يكون الأستاذ الدكتور عناد غزوان، وهو المتخصص بالدراسات الأدبية ممثلا لشخصية العدد الثاني من سلسلة (سيراء) ، ليستقيم لنا بذلك السير على وفق منهج نشر يوالي بين أهل اللغة وأهل الأدب، وإن كنا نؤمن في الواقع بحقيقة أن التفريق بين أهل اللغة وأهل الأدب مسألة يكتنفها شيء غير قليل من الملابسة ، ولاسيما في نطاق روّاد الحركة اللغوية والأدبية الذين كانوا يمزجون غالباً بين ما هو لغوي صرف وما هو أدبي محظ، ويبرعون كلّ البراعة في كلا المجالين نظرا للنزعة الموسوعية التي كانوا يتحلّون به ، أو لعدم وجود حدود منهجية سابقاً تفصل فصلاً واضحاً بين موضوعي اللغة والأدب كما هو عليه الشأن في الوقت الحاضر . ويطيب لنا هنا أن ندعو الأساتذة الباحثين ممن تربطهم مع الراحل الأستاذ الدكتور عناد غزوان وشائج علمية أو شخصية إلى المبادرة في إرسال مشاركاتهم عبر البريد الإلكتروني الخاص بدار اللغة العربية في العتبة الحسينية المقدسة وهو: daralarabia@imamhussain.org والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هيأة التحرير

ظاهرةُ تعددِ الأوجهِ النطقيةِ في ضوء التغيّرات فوق التركيبية، النبر والتنغيم والوقف

Multifaceted Pronunciation in the Light of Changes of Supra-segmental Features

أ.د. مشتاق عباس معن م.م. خالد جواد جاسم

Prof.Dr.Mushtaq Abass Maan & Mr.Kalid Jawad Jassim

ملخص البحث

في هذا البحث الموسوم بـ(ظاهرة تعدد الأوجه النطقية في ضوء التغيرات فوق التركيبية. النبر والتنغيم والوقف) عولجت هذه المظاهرة الصوتية التطريزية من وجهة نظر الدراسة العربية الأصيلة في المستوى الصوتي فوق التركيبي وقد جاء البحث في مطلبين أولهما بعنوان (التعدد النطقي في ضوء النبر والتنغيم)، أما المطلب الثاني فكان تحت عنوان (التعدد النطقي في الوقف).

ومن دون شك فإنّ ظاهرة تعدد الأوجه النطقية ترسم مسارا لها أفقيا في ضمن هذه القضايا التطريزية - موضوع البحث - وجدير بالذكر أن النبر والتنغيم يعدان من مصاديق التعدد النطقي الانفعالي النفسي، أما الوقف فمصاديقه متوافرة في التعدد النطقي السياقي والسياقي العميق وهذه من أنماط التعدد النطقي التي تندرج تحت مظلة ظاهرة تعدد الأوجه النطقية.

Abstract

The research deals with pronunciation change in the light of the changes that happen in the suprasegmental features : tone, intonation and pause. These different aspects of pronunciation are treated from Arabic traditional studies of supra-segmental features that occur over a stretch of speech. The research is divided into two sections .The first focuses on changes of pronunciations related to tone and intonation .The second deals with the changes that take place in pause.

Without any doubt that the phenomenon of multifaceted pronunciations occurs on the horizontal level over stretches of language under investigation .Toning and intonation are manifestations of pronunciation change that results from psychological, and emotional status .On the other hand , pause is a manifestation of pronunciation change that occurs on the of contextual level and deep contextual level. These topics fall under the umbrella term of the phenomenon of multifaceted pronunciations .

المقدمةُ

يحتكمُ التراث الصوتيّ العربيّ القديم على مجالين من مجالات الدراسة الصوتيّة وفقًا للمظاهر فوق التركيبيّة المتمثّلة بـ(النغم والتنغيم والمقطع والنبر والطول والوقف)، وهذان المجالان أحدهما: كتب الموسيقى والخطابة والشعر، وكان من حصّة علماء الموسيقى الذين أولوا عناية كبيرة في المظاهر فوق التركيبيّة (التطريزيّة) المذكورة آنفًا على حدٍّ سواء وكانت عنايتهم وفقًا لجملة أسباب منها:

١- اعتماد الخطابة والأغاني والشعر، الأداء الصوتيّ أو الإلقاء في إيصال الأفكار إلى المتلقيّ، وهذا يعني حاجة المنشد إلى ما يلوّن به صوته ويظهره بنغمات تداعب أسماع المتلقّي بكل سلاسة وتقبّل.

٢- ما يجمع به الشعر والخطابة والأغنية من رباط إيقاعيّ مشترك في أثناء القراءة، وهذا الرباط ممثّل بالإيقاع الداخليّ الناتج عن الموسيقى اللفظيّة التي تتملّك لغة الّ، وهذه الموسيقى اللفظيّة لا تقلّ أهميّة عن الإيقاع الموسيقيّ.

أمّا المجال الآخر: فهو كتب التجويد والقراءات التي لم تختلف كثيرًا عن سابقتها في العناية بالظواهر التطريزيّة لكنّها أولت العناية الكبيرة بالظواهر الصوتيّة المتعلّقة بالوقف والإيقاع والطّول، على حين لم تشمل عنايتها التنغيم والنغم والنبر إلاّ بإشارات قليلة مبثوثة هنا وهناك في كتب التجويد والقراءة[١].

المطلب الأول: النبر والتنغيم

أولاً: النبر:

يبدو أنّ ارتباط النبر بالمقطع الصوتيّ جعل المحدثين يختلفون في وجوده في العربيّة، إذ إنّ العرب القدماء لم يصرّحوا بالمقطع، ممّا ترتّب عليه الحكم من فريق من الباحثين بعدم وجود النبر في العربيّة. فهذا برجشتراسر يقول: ((ولا نستند إليه في إجابة مسألة: كيف كان حال العربيّة الفصحى في هذا الشأن؟ وممّا يتّضح من اللغة العربيّة نفسها وفي وزن شعرها أنّ الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد، وذلك أنّ اللغة الضاغطة كثيرًا ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ومدّ الحركات المضغوطة، وقد رأينا أنّ كلَّ ذلك نادر في اللغة العربيّة، وإذا نظرنا إلى اللهجات العربيّة الدارجة وجدنا فيها كلّها - فيما أعرف - الضغط وهو في بعضها قويّ، وفي بعضها متوسّط، غير أنّها تتخالف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات، فمن المعلوم أنّ المصريّين يضغطون في مثل (مطبعة) المقطع الثاني وغيرهم يضغطون الأوّل، فلو أنّ الضغط كان قويًّا في الزمان العتيق لكانت اللهجات على أغلب الاحتمال حافظت على موضعه من الكلمة، ولم تنقله الى مقطع آخر))[٢]. وكان العالم اللغويّ هنري فليش قد ذهب – أيضًا – إلى هذا الرأي مستندًا برأيه إلى عدم وجود اسم له في سائر مصطلحاتهم[٣]، وتابعهم من الباحثين العرب الدكتور عبد الرحمن أيّوب والطيّب البكّوش[٤]. ولا شكّ في أنّ حكمهم المذكور آنفًا لم يُبْنَ على استقراء تامّ للإرث اللغويّ الصوتيّ، فالدارس المتواضع المطّلع على كتب القراءات والتجويد فضلًا عن كتب اللغويّين القدماء يجدها حافلة بتقصير الحركات ومدّها وبالتضعيف، كما أنّ هناك إشارات مهمة للنّبر – مصطلحًا ومفهومًا – لدى علماء مدرسة الفلاسفة العرب المسلمين كابن سينا وغيره في مواضع متعدّدة فقد ((درس علماء هذه المدرسة علم وظائف الأصوات دراسة دقيقة وواعية، فدرسوا المقطع والنبر والتنغيم؛ إذ حدّدوا مفاهيم هذه المصطلحات وبيّنوا تفاصيلها، وقد أثبتت الدراسات أنّ مفهومهم لهذه الموضوعات كان دقيقًا بحيث شابَهَ ما ذهب إليه المحدثون ووصلوا إلى دقائق الأمور حتى إنّهم لم يأتوا بالكثير إذا ما وازنّا عملهم بما قدّمه علماء هذه المدرسة))[٥].

وقد لا يدلّ عدم تخصيص النبر بحيّز خاص لدى علماء اللغة القدماء على أنّهم جهلوه جهلًا تامًّا، لأنّ هناك فرقًا بين دراسة الظاهرة اللغويّة وتوظيفها من جهة، وعدم الإلمام بها أصلًا من جهة أخرى[٦].

١- النبر – مصطلحًا ومفهومًا – في تراث العربيّة

لم تخلُ مصنّفات العرب السابقين من مظهر النبر سواء أفي المصطلح أم في المفهوم، وتأييد ذلك يبدو جليًّا فيما نقله الدكتور عبد السلام المسدّي حينما قال: ((أمّا الذي كان إحساسه بقضيّة النبرة على جانب وافر من الوضوح يقارب التبلور فهو الشيخ الرئيس ابن سينا، وقد تعرّض لها – على الأقل – في سياقات ثلاثة من آثاره، ففي الفنّ التاسع من جملة المنطق ضمن كتاب الشفاء، وهو الفنّ الموسوم بالشعر، يطرق قضيّة (الزينة) في الكلام، فيبيّن أنّ الكلام يزدوج تركيبُهُ من الحروف، وممّا يقترن به – إلى جانب الحروف – (من هيأة ونغمة ونبرة) على حدّ عبارته))[٧]. كما يشير المسدّي إلى أنّ ابن سينا عدّ نغم الجملة ذا وظيفة تمييزيّة من جهة الدلالة الإبلاغيّة، فالنبرة – عنده – هي التي تحدّد طابع الجملة إن كانت نداءً أو تعجّبًا أو سؤالًا، فينقل ًا لابن سينا يؤكد فيه أنَّ للنبرة دورًا وظائفيًا على صعيد البنية النحويّة أحيانًا ولاسيّما ((في أقسام اللفظ المركّب، فيجب أن لا تُخلِّل هذه الأقاويل الطويلة إلا النبرات التي لا يُنْغَم فيها، وإنّما يراد بها الإمهال فقط، وربما احتيج أن تخلَّل الألفاظ المفردة، إذا كانت في حكم القضايا، خصوصًا حيث تكون على سبيل الشرط والجزاء، كقولهم: لمّا التمس، أعطيت، فيقول بين (التمسَ) وبين (أعطيتُ) نبرةً إلى الحدّة، وهو عند الشرط، وبعقبِ (أعطيتُ) نبرة أخرى إلى الثقل، وهي للجزاء))[٨]. ويتراءى الكشف الدقيق المبنيّ على تدقيق وإمعان نظر كبيرين يكاد هذا الكشف يأتي على خصائص النبر مثلما وصفه المحدثون اليوم، إذ يقول ابن سينا: ((ومن أحوال النغم: النبرات، وهي هيئات في النغم مدّيّة، غير حرفيّة يَبْتَدئ[٩] بها تارة، وتُخلّل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تُكثَّر في الكلام، وربما تُقلَّل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصوّر، ولتفخيم الكلام، وربما أعطيت هذه النبرات بالحدّة والثقل هيئات تصير بها دالّة على أحوال أخرى من أحوال القائل أنّه متحيّر أو غضبان أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرّع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أنّ النبرة قد تجعل الخبر استفهامًا، والاستفهام تعجُّبًا وغير ذلك، وقد تورد للدلالة على الأوزان والمعادلة وعلى أنّ هذا شرط وهذا جزاء، وهذا محمول وهذا موضوع))[١٠].

وإن كانت هذه حال النبر عند الفلاسفة والمتكلّمين العرب القدماء، فحاله عند علماء النحو والصرف ليست بأقلّ، فهذا ابن جنّي في (باب القول على الفصل بين الكلام والقول) يتحدّث عن إكثار الشعراء من استعمال مصطلح الكلام للدلالة على الجمل التامّة فيقول: ((وممّا يؤنسك بأنّ الكلام إنّما هو للجمل التوامّ دون الآحاد أنّ العرب لمّا أرادت الواحد من ذلك خصّته باسم له لا يقع إلاّ على الواحد وهو قولهم: ((كَلِمة، وهي حجازيّة، وكِلْمة، وهي تميميّة، ويزيدك في بيان ذلك قول كثير: [الكامل]

لَوْ يَسْمَعونَ كما سَمِعْتُ كلامَها

خرّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسُجودا[١١]

ومعلوم أنّ الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملّك قلب السامع، إنّما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه، ورقّة حواشيه..، وقد أكثر الشعراء في هذا الموضع حتى صار الدال عليه كالدال على الشاهد غير المشكوك فيه. ألا ترى إلى قوله: [من الكامل الأحَذّ]:

وحديثُها كالغَيثِ يَسْمَعُهُ

راعي سنينَ تَتَابَعَتْ جَدْبا

فأصاخَ يرجو أنْ يكونَ حيًا

ويقول من فَرَحٍ هيا رَبّا

يعني حنين السحاب وسجره، وهذا لا يكون عن نَبْرَةٍ واحدةٍ ولا رَزَمةٍ مختلسة، إنّما يكون مع البدء فيه والرّجع وتثنّي الحنين على صفحات السمع))[١٢].

وهذا يعني أنّ ابن جني قد قابل بين النبر والاختلاس حينما قال: (لا يكون عن نبرة واحدة ولا رَزَمة مختلسة) فالنبر – عند ابن جنّي – لا يكون إلا بالتأنّي، أمّا الاختلاس فبالسرعة[١٣]، ولا شكّ في أنّ التأنّي في النطق يفرز سلسلة كلاميّة محبّذة تشدو سمع المخاطبين، لما تكتنفه من نبرات، وهو ما يفهم من قول ابن جنّي: (تثنّي الحنين على صفحات السمع) والحنين هو صوت الناقة إثر ولدها. ومهما يكن من أمر فابن جنّي قد أدرك مفهوم النبر فضلًا عن إدراك النبر بوصفه مصطلحًا لغويًّا، وقد يلحظ في اللغة العربيّة شواهد كثيرة يُستدلّ بها على وجود النبر، ومن ذلك أنّ العربيّة الفصحى اعتادت على أن تقصّر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح إذا سبق مقطعًا آخر منبورًا ذا حركة طويلة، فمصدر الفعل (فاعَلَ) – قديمًا – هو (فيعال) بنبر المقطع الثاني، وقد ترتّب على خلوّ المقطع الأول في النبر أن قصرت حركته فصار المصدر (فِعال)، من مثل: قاتل، قِتالاً، أو، صارع صِراعًا بدلًا من (قيتالًا، وصيراعًا). وقد ذكر المبرّد أنّ مصدر (فاعَلَ) يجيء ((فيه الفِعال؛ نحو: قاتلته قِتالاً، وراميتُهُ رِماءً، وكان الأصل فيعالًا؛ لأنّ فاعَلْتُ على وزن أَفْعَلْتَ وفَعْلَلْتَ، فالمصدر كالزلزال والإكرام، ولكنّ الياء محذوفة من فيعال استخفافًا، وإن جاء بها جاءٍ فمصيب))[١٤].

ولا شكَّ في أنّ قوله (مصيب) يعني جواز النطق به على الوجه الأصليّ للمصدر.

٢- أثر النبر في المقطع الصوتيّ

أما أثر النبر في الحركات القصيرة فقد تجد ذلك حين إسقاط الحركة التالية للمقطع المنبور، فالمقطع القصير الذي يتلو مقطعًا قصيرًا منبورًا يسبقه، تسقط حركته من ذلك قولهم في (وَهُوَ): وَهْوَ، وفي (مَعَهُ): مَعْهُ وفي (فَلِيَذْهبْ): فَلْيذهب، ومن دون شكّ أنّ الشعر العربيّ قد حوى شواهد كُثرًا من أمثلة هذا، كما أنّ القرآن الكريم والقراءات لم تعدم مثل هذه الشواهد، ومن ذلك سكون لام الأمر بعد الفاء أو الواو أو ثمّ، وقد جاءت في القرآن في مثل قوله تعالى: فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۚ [الحج: من الآية ١٥] ، ففي (فَلْيمدُدْ) جاءت لام الأمر ساكنة كما جاء في (لْيقطع) و(لْينظر)، لأنّها قد سبقت بالفاء أو بـ(ثمّ)، وكلاهما مقطع مفتوح منبور قصير / ف ـَ / و / ث ـُ م / م ـَ. وقد ظهر أثر النبر في الحركة القصيرة (الكسرة) في لام الأمر.

والجدير بالذكر أنّ الدراسات الحديثة التي أجراها المستشرقون وبعض العرب المعاصرين تشير إلى أنّ النبر في العربيّة الفصحى ولاسيّما في قراءة القرآن، له موضع ثابت يرتبط بعدد المقاطع ونوعها، ويرى الدكتور تمّام حسّان أنّ النبر في الكلمات العربيّة من وظيفة الصيغة الصرفيّة، فصيغة (فاعِل) يقع النبر فيها على الفاء (فا)، وصيغة (مفعول) يقع النبر فيها على العين (عو)، وصيغة (مُسْتَفْعِل) يقع النبر فيها على التاء (تَفْ)، أمّا نبر الجمل والمجموعات الكلاميّة فليس له ارتباط بالصيغ الصرفيّة؛ لأنّه نبر ذو وظائف نحويّة[١٥]. على أنّ بعض المحدثين يرى أنّ العربيّة لم تُعِر اهتمامًا لنبر الجمل؛ إذ إنّها استعاضت عنه بالتقديم والتأخير أو ما سمّته مدرسة النحو التحويليّ التوليديّ بـ(الترتيب) فكلّ شيء قصد توكيده وأهميته قدّم، وبذلك تكون الجملة من مثل:

(هل سافر أخوك أمس؟) (هل أخوك سافر أمس؟)، و(هل أمس سافر أخوك؟)، مختلفة المعاني باختلاف الجمل، وهذا ما بحثه سيبويه وأكّده الجرجانيّ في دلائل الإعجاز[١٦].وأوّل من أشار إلى نبر الجملة من المحدثين العرب هو الدكتور إبراهيم أنيس وهو ((أن يعمد المتكلمّ إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها فيميّزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، ونبر الجملة شائع في كثير من اللغات، ففي جملة عربية مثل (هل سافر أخوك أمس؟) يختلف الغرض منها باختلاف الكلمة التي زيد نبرها، فحين نبر كلمة (سافر) قد يكون معناها أنّ المتكلّم يشكّ في حدوث السفر من أخي السامع، ويظنّ أنّ حدثًا آخر غير السفر هو الذي تمّ، فإذا ضغط المتكلّم على كلمة (أخوك) فُهِمَ من الجملة أنّ المتكلّم لا يشكّ في حدوث السفر وإنّما الذي يشكّ فيه هو فاعل السفر، فربما كان أباه أو عمَّهُ أو صديقَهُ لا أخاه، وأخيراً إذا زيد نبر كلمة (أمس) فُهِمَ من الجملة أنّ الشك في تاريخ السفر))[١٧].

وقد يستفاد من النبر في تحديد الوحدات النحويّة في سلسلة الأصوات المنطوقة، فإذا سمعنا مثلاً كلمة (وَصَفَتْ)، وكان النبر واقعًا على المقطع الأوّل، فإنّها تكون بمعنى (وَصَفَ)، ومن هنا تقول: وَصَفَتِ البنتُ لزميلتها موقع بيتها، أمّا إذا وقع النبر على المقطع الثاني، فإنّ الواو السابقة لها لن تكون من بنية الكلمة، ومن ثم، ستكون واو عطف، وسيكون الفعل هو (صَفَتْ) في نحو: صَفَتِ السماءُ؛ أي من صفا – يصفو[١٨]. ومن أمثلة هذا النبر في كلمة (أقوالنا)؛ إذ إنّه إذا وقع النبر على المقطع الأوّل، فهذا يؤدّي إلى تقليل القوّة الخاصّة بنطق المقطع الثاني، وهذا يجعل الوحدات النحويّة تتكوّن كالآتي: أقوى + لنا، أما إذا وقع النبر على المقطع الثاني، فهذا يؤدي إلى زيادة قوّة خروج الهواء الخاصّة بالفتحة الطويلة وتقليل قوّة الهواء الخاصّ بالمقطع الأوّل، وهو (أ)، وهذا يؤدّي إلى أن يكون توزيع الوحدات النحويّة كالآتي: أقوال + نا.

ومن ذلك قولهم: (أوحى لها)، فإذا وقع النبر على المقطع الأوّل، فإنّ هذا يعني قلّة قوّة نطق المقطع الثاني، فتتوزع الوحدات النحويّة كالآتي: أوحى لها، أما إذا وقع النبر على المقطع الثاني، فإنّه سينطق بقوّة زائدة، وسينطق المقطع الأوّل بقوّة قليلة، وسيكون توزيع الوحدات النحوية كالآتي: أو + حالها.

وممّا تقدّم يمكن الخلوص إلى جملة من الأمور التي يمكن أن يكون لها أثر في قضيّة النبر في العربيّة الفصحى، ومن هذه الأمور:

٣- تعريف النبر:

قد يحدث أن تبرز بعض أجزاء سلسلة الأصوات على حساب الأجزاء الأخرى. إنّ إبراز وحدة كهذه يتمّ بزيادة القوّة، أي زيادة دفع الهواء الخارج من الرئتين، إذ يشتدّ تقلّص عضلات القفص الصدريّ، والوحدة التي تنطق بمزيد من القوّة تكون أكثر إسماعًا (وضوحًا في السمع) من الوحدات الأخرى[١٩]، وتعدّ الحركة أكثر الوحدات اتصالًا بزيادة القوة، وعليه فالنبر هو بذل طاقة فسيولوجيّة زائدة، لإبراز المقطع المنبور عن غيره من المقاطع المجاورة[٢٠]، ومن ثم يصحبه نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد[٢١].

٤- مواضع النبر:

هناك اختلاف بين المحدثين حول القواعد التي يجري عليها النبر، وإن كانت هذه القواعد هي قواعد تقريبيّة ليست مطّردة اطّراد قواعد النحو والصرف، إذ إنّ الدرس الحديث الذي أنتجها لا يشتمل الكلام العربيّ متعدّد المستويات. وأهم هذه القواعد:

١-٤-١- يقع النبر في الكلمات الأحاديّة المقطع على مقطعها الوحيد، نحو: قُمْ / ق ـُـ م / مو ضع

النبر

ولا / ل ـً / موضع النبر

وكم / ك ـَ م / موضع النبر

١-٤-٢- يقع النبر في الكلمات الثنائيّة المقطع على مقطعها الثاني (العدّ يبدأ من الشمال إلى اليمين) مهما كان نوعه، نحو:

قام / ق ـً / م ـَ / موضع النبر

وعَنْها / ع ـَ ن / هـ ـً موضع النبر

١-٤-٣- يقع النبر في الكلمات الثلاثيّة المقطع على مقطعها الثاني إذا كان متوسّطًا أو طويلًا، نحو:

أعانَتْ / ء ـَ / ع ـً / ن ـَ ت / مو ضع النبر

ويسْتَدعي / ي ـَ س / ت ـَ د / ع ـِ مو ضع النبر

أمّا إذا كان المقطع الثاني قصيرًا فإنّ النبر يقع على المقطع الثالث أيًّا كان نوعه مثل:

دَخَلَ / د ـَ / خ ـَ / ل ـَ مو ضع النبر

ناصر / ن ـً / ص ـِ / ر ـُ ن/ مو ضع النبر

وهكذا في الكلمات كثيرة المقاطع، فإن النبر لا يتعدّى المقطع الثالث[٢٢].

٥- أشكال النبر:

قسّم المحدثون النبر على أشكال وهي:

١-٥-١- نبر الجملة: وهو ضغط نسبيّ على كلمة من كلمات الجملة أو على ما كان في حكم الكلمة الواحدة، ليكون ذلك الجزء المضغوط أبرز من غيره من أجزاء الجملة[٢٣].

١-٥-٢- نبر الكلمة: وهو على قسمين:

١-٥-٢-١- نبر الشدّة: وهو ضغط نسبيّ يستلزم علوًّا سمعيًّا لمقطع على غيره من المقاطع، وقد أطلق عليه الباحثون تسميات عدّة منها: (النبر الزفيريّ) و(النبر التوتّر) و(النبر الديناميكيّ)[٢٤].

١-٥-٢-٢- نبر الطول: وهو إطالة زمن النطق بالصوت، وسمّاه بعض الباحثين (نبر الزمن)، وبعضهم (نبر المدّة)[٢٥]،وهو يعني زيادة طول الصوت أو مدّه أكثر من طوله الأصليّ لغرض طارئ في السياق الزمنيّ أو المكانيّ بحسب ما يقتضيه المقام. ولعلّ النبر هذا يلتقي بظاهرة تعدّد الأوجه النطقيّة في نمطها الانفعاليّ، وفي هذه النقطة أكثر من غيرها، وهذا النبر ينقسم على قسمين:

١-٥-٢-٢-١- نبر الطول الصائتيّ: بإطالة صوت الألف أو الياء أو الواو أكثر من زمنها الأصليّ لغرض كلاميّ من نحو قولهم: رائع، أو عجيب، أو هدوء. ويبدو أنّ اللغة العصريّة ومواقع التواصل الاجتماعيّ تكفّلت كتابيًّا ببيان هذا النوع من النبر، فأنت تجد من يكتب في صفحات التواصل الاجتماعيّ مثلاً: رائع هكذا (راااائع)، أو عجيب، هكذا (عجيييب) وفي روعة: (رووووعة) وغيرها كثير.

على حين تجد الشعر الحديث فطن إلى هذه القضية ووضع لها حلًّا كتابيًّا يوحي بوجود نبر الطول الصائتيّ، ومن بين ما وظّف في خدمة ذاك ماصطلح عليه أحد الباحثين بـ(تشكيل الجمع والنسخ) ((وهو جمع حروف الكلمة التي يقع فيها المدّ، إلى بعضها مع نسخ حرف المدّ عدّة نسخ بحيث تمثّل كلّ نسخة مقدار حركة واحدة من حركات المدّ. ومن الوص التي وظّفت تشكيل المدّ بالجمع والنسخ " لأحمد الزهرانيّ[٢٦] بعنوان (حِداد).

قفوا ههنا

واستعيذوا

من الحلم

منّي

من الشعر

والساسة الأبرياااااااااء

يتجلّى تشكيل المدّ بالجمع والنسخ في كلمة (الأبرياء)؛ فقد جمع الشاعر حروف الكلمة التي لا يروم مدّها ونسخ حرف الألف المراد مدّه تسع مرّات ليوجّه المتلقي إلى مدّ الألف عند نطقه (الإلقاء) مقدار تسع نسخ (حركات).

وإذا كان لكلّ شيء دلالته فإنّ الدلالة المراد إنتاجها من خلال تشكيل المدّ هنا هو تجسيد سمة من سمات الأداء الشفهيّ الصوتيّة تتمثّل في مدّ صوت الحرف تسع نسخ لقلب معنى كلمة الأبرياء إلى الاتهام ولا يحقّق هذه الدلالة إلا أمران، هما:

(١) أن يستعمل الشاعر كلمة المتّهمين نفسها فيسقط في التقريريّة والمباشرة ودائرة الخطر.

(٢) أو أن يستعمل الشاعر كلمة الأبرياء مشربة تشكيل مدّ حال كونه سمة من سمات الأداء الشفهيّ الصوتيّة، فيحقّق دلالة الاتّهام بأسلوب فنّي ويخرج من دائرة الخطر))[٢٧].

ومن دون شكّ لم يغفل التراث العربيّ عن هذا النبر الطوليّ الصائتيّ، فهذا ابن يعيش حينما يتكلّم على الندبة في بابها يقول: ((اعلم أنّ المندوب مدعوّ، ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنّه على سبيل التفجّع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنّه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به، وإن كان بحيث لا يسمع كأنّه تعدّه حاضرًا، وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهنّ وقلّة صبرهنّ، ولما كان مدعوًّا بحيث لا يسمع أتوا في أوّله بـ(يا) أو (وا) لمدّ الصوت. ولمّا كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرًا للترنيم، كما يأتون به في القوافي المطلقة وخصوصًا بالألف دون الواو والياء؛ لأنّ المدّ فيه أمكن من أختيها))[٢٨]، وفي كلامه على الغرض من حرف النداء هو ((امتداد الصوت وتنبيه المدعوّ فإذا كان المنادى متراخيًا عن المنادي أو معرضًا عنه لا يقبل إلا بعد اجتهاد، أو نائمًا قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف النداء ما خلا الهمزة، وهي يا وأيا وهيا وأي؛ لأنّها تفيد تنبيه المدعوّ، ولم يرد منها امتداد الصوت لقرب المدعوّ))[٢٩].

وكان ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) قد ذكر في تعليله للمدّ في (آمين) ما ّه: ((«وآمين» فيه لغتان: المدّ والقصر، قال الشعر في القصر:

تباعَدَ مِنّي فُطْحُلٌ إذْ دَعَوْتُهُ
أمينَ فزادَ اللهُ ما بينَنا بُعْدا[٣٠]

وقال آخر في مدّه:

صلّى الإلهُ على لوطٍ وشيعَتِهِ
أبا عُبيدةَ قُل باللهِ آمينا[٣١]

والأصل في (آمين) القصر، وإنّما مدّ ليرتفع الصوت بالدعاء))[٣٢] ويبدو أنّ هذا المدّ لم يخلُ من غرض أفاد معنًى، وحاله في ذاك حال المدّ الذي أعطى مبالغة في النفي أو مدّ التعظيم من نحو قولهم: لا إله إلا الله، ويمدّون بالألف. أو في قراءة (لا ريب فيه) وغيرها، وقد مرّ ذكر ذلك آنفًا.

١-٥-٢-٢-٢- نبر الطول الصامتيّ: هو إطالة زمن النطق بالصامت مثل إطالة النطق بالحاء في قولك: مُحْسِن (صفة رجل)، والدال في: مُدهش. وذلك للتعبير عن غرض كلاميّ ما، يوحي بالتعجّب أو التهكّم أو غيرهما.

١-٥-٢-٣- النبر الانفعاليّ: وهو الضغط على بعض الكلمة مصحوبًا بانفعال المتكلّم للتعبير عن عواطفه، من حزن، أو غضب، أو رضا، أو شجب أو امتناع إلى غير ذلك، ويظهر هذا النوع من النبر في أثناء إلقاء القصائد الشعريّة أو الخطب الحماسيّة، ويضاف إلى ذلك اليوم الفنّ التمثيليّ سواء المسرحيّ منه أو المفتوح. ويبرز اليوم في الأفلام والمسلسلات التاريخيّة وغيرها. ويبدو أنّ ارتباط هذا النوع من النبر بنبر الجملة أكثر وضوحًا من غيره من الأنواع الأخر، وإن كان ذلك لا يمنع أن تجتمع نبرات عدّة

في إيضاح المقصود من الخطاب.

٦- أثر النبر في الشعر

يتردّد في كتب البلاغة أنواع من الجناس اللفظيّ يدخل النبر كعر أساس في التمييز بين المتشابهات في اللفظ، ومن ذلك نوعان من الجناس:

٦-١- الجناس المركّب:

وهو ما اختلف اللفظان من حيث التركيب والإفراد، فكان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركّبة من كلمتين[٣٣].

كقول الشاعر (من المتقارب):

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةْ

فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةْ[٣٤]

فالأوّل مركّب بمعنى: صاحب هبة، والآخر: مفرد وهو اسم فاعل من (ذَهَبَ).

وقول الآخر (من البسيط):

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى وَسَلْ مَا بالعَقِيقِ جَرَى

وَأَمَّ سَلْعًا وَسَلْ عَنْ أَهْلِهِ القُدُمِ[٣٥]

وقول آخرَ (من الكامل):

لاَ تَعْرِضَنَّ عَلى الرُّواةِ قَصِيدَةً

مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ في تَهْذِيبِهَا

وَإِذَا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ

عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا[٣٦]

وعودًا على البيت الأوّل فقد تكفّل النبر في (ذا هبة) الأولى في بيان استقلاليّة (ذا) عن (هبة) حتّى يعطي معنى (صاحب هبة)؛ إذ إنّ موضع لابدّ من أن يكون في كلمة (هبة)، أمّا موضع النبر في (ذاهبة) التي هي اسم فاعل فيكون موضعه في المقطع (ذا)، على وفق القواعد التقريبيّة التي وضعها بعض المحدثين في الكلمات التي تحوي ثلاثة مقاطع؛ فيكون موضع النبر في المقطع الثالث من الشمال إلى اليمين[٣٧].

أمّا في البيت الثاني فيتّضح المقصود من (سلمى) الذي هو اسم امرأة عبر نبر السين فيها، على وفق قواعد النبر في الكلمات ثنائيّة المقطع، إذ ينبر مقطعها الثاني (من الشمال)، وأمّا في (سل ما)، فلا بُدّ من نبر السين نبرًا ضعيفًا ليكون النبر الرئيس في (ما) لتتّضح بذلك استقلاليّة (ما) عن (سل) فينجلي معناهما، وهذا ينطبق تمامًا على (سلعًا) و(سلْ عنْ)؛ فالأولى اسم امرأة والأخرى تركيب من (سلْ + عنْ).

وفي العودة إلى البيت الثالث ترى كلمتين، أو بالأحرى كلمة وتركيبًا، فالكلمة المفردة: (تهذيبها) وهو مصدر الفعل (هذَّبَ) والتركيب: (تهذي بها) وهو فعل الهذيان مع الجار والمجرور (بها)، فلابدّ من النطق بنبر المقطع الثالث (ذي)؛ إذ إنّ الكلمة ذات المقاطع الكثيرة ينبغي نبر ثالث مقاطعها، وأمّا في تركيب (تهذي بها) فيلزم توضيح استقلاليّة الفعل (تهذي) عن الجار والمجرور (بها) فيكون النبر في (تهذي) الثنائيّ المقطع في المقطع / ت ـَـ / ومن ثم يُنبر المقطع الثاني من (بها) وهو / ب ـِـ / فيتضح بذلك المعنى.

٦-٢- الجناس الملفّق

أمّا النوع الآخر من الجناس فهو الجناس الملفّق: وهو ما كان اللفظان كلاهما مركّبين[٣٨]. من نحو قول الشاعر (من البسيط):

وَرُمْتُ تَلْفِيقَ صَبري كَيْ أرى قَدَمي

سَعى مَعي فَسَعى لكن أراقَ دَمي[٣٩]

فكلٌّ من (أرى قَدَمي) و(أراقَ دَمي) تركيب، لكنّ الأوّل مركّب من الفعل (أرى) والمفعول (قدمي) و(أراقَ دمي)، والآخر من الفعل (أراقَ) والمفعول (دمي)، وهنا لابدّ للنبر أن يقول كلمته حتّى يفصل بأنَّ كلًّا منهما مختلف عن الآخر معنًى.

ولأجل ذاك كان على الشاعر أن ينبر في التركيب الأوّل على الراء في (أرى) وعلى القاف في (قدمي)، على حين ينبر في التركيب الآخر على الراء في

(أراق) وعلى الدال من (دمي).
وقول الشاعر (من الوافر):
فَلَمْ تَضَعِ الأعَادي قَدْرَ شاني
ولا قالوا: فلان قَدْ رَشاني[٤٠]
والجناس الملفّق قد حدث بين (قدرَ شاني) و(قَدْ رَشاني)، فكلاهما تركيب أوّلها مكوّن من مضاف (قدر) ومضاف إليه (شاني) – أي: شأني – والآخر مكوّن من الحرف (قد) الذي يفيد التحقيق والفعل (رشاني) من الرشوة، فعليه لابدّ للشاعر أن ينبر في التركيب الأول القاف / ق ـَـ / ومن ثم ينبر الشين / ش ـِـ / وكذلك التركيب الآخر، لكن الأخير يجدر الفصل بين (قد) وبين الفعل (رشاني) بسكتة بسيطة ليتّضح المعنى المقصود.
ومن ذلك قول الشاعر (من الطويل):
وَكَمْ لِجِباهِ الرّاغِبينَ لَدَيْهِ مِنْ
مَجَالِ سُجُودٍ في مَجالِسِ جودٍ[٤١]
والإنشاد يحتمّ التمييز في النطق بين تركيب (مجالِ سُجُودٍ) و(مَجَالِسِ جُودٍ)، وكلٌّ من التركيبين متكوّن من مَضاف ومضاف إليه، بيد أنّ الأوّل أضيفت كلمة (مجالِ) إلى كلمة (سجودٍ) فينبغي نبر الجيم من (مجال) ونبر الجيم في (سجود)، والتركيب الثاني أضيفت كلمة (مجالس) إلى (جود)، فينبغي نبر الجيم في الأولى والجيم في (جود) مع تحقيق سكتة في التركيب الأوّل بعد كسرة (مجال) للفصل بينها وبين (سجود)، والآخر بعد كسرة السين من (مجالس) لفصلها عن (جود).

٧- أثر النبر في القرآن الكريم

لعلّ من الأمور المهمّة التي أوجب علماء التجويد على قارئ القرآن الكريم تعلّمها أربعة أمور:
الأوّل: كيفيّة نطق الحركات؛ الفتحة، والضمة، والكسرة؛ والثاني: إخراج الأصوات من مخارجها الصحيحة وبصفاتها المستحقّة؛ والثالث: تعلّم مقادير المدود بأنواعها، ومقدار الغنّة في الإدغام، والإخفاء؛ والأمر الرابع: تعلّم النبر، وهو الضغط على الصوت حتى تكتمل حركتُه، وينماز عمّا قبله وبعده بارتفاع الصوت.
فقد ينطق القارئ الكلمة في حركاتها ومخارج أصواتها وصفاتها بصورة صحيحة ثم يعطي معنًى مخالفًا للمراد. ومن ذلك في قوله تعالى: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ [الحجر: من الآية ٢٩]، فاختلاف النبر يعطي لكلمة (فقعوا) معنيين مختلفين، أحدهما: إذا قُرئت مثل (ذَهَبوا) كان معناها من (الفَقْع) وهذا المعنى ليس مرادًا. وإذا قُرئت بالنبر على القاف كانت بمعنى (فخرّوا) له ساجدين، وهو المعنى المراد.
ويمكن أن نجد مصاديق للنبر في القرآن الكريم في أمور عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر:
أ: حينما ينطق المشدّد الموقوف عليه من مثل: الحيّ، مستمرّ، مستقرّ، وأمَرّ، وغيرها.
ب: حينما ينطق بصوت المدّ وبعده صوت مشدّد من مثل: الحاقّة، الضالّين.
ويظهر أثر النبر – أيضًا – في قراءة القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [المطففين: من الآية ٣]، فـ(كالوهم) يعني باعوا لهم ووزنوا لهم، وتتردّد في بعض كتب التفسير ما يكون فيه أثر لاختلاف موضع النبر في تحديد المعنى؛ إذ إنّه ((عن عيسى بن عمر وحمزة أنّ المكيل له والموزون له محذوف و(هم) ضمير مرفوع تأكيد للضمير المرفوع، وهو الواو، وكانا يقفان على الواوين وُقيفة يبينان بها ما أرادوا))[٤٢].
ويبدو جليًّا أثر هذه الوقيفة في تغيير المعنى، ولا شكّ في أنّ هذه الوقيفة تعدّ من أركان النبر في هذه الكلمة.
وفي قوله تعالى: فَسَقَى لَهُمَا [القصص: من الآية ٢٤]

قد يتغيّر المعنى المراد إلى غيره لو نُبر على القاف من (فسقى)؛ إذ يكون المعنى من الفسوق، على حين أنّها من السقي.

ثانياً: التنغيم:

مثلما شكّل النبر خلافًا بين الباحثين المحدثين في كونه – بوصفه مظهرًا تطريزيًّا– موجودًا عند القدماء في تراثهم الصوتيّ، كذلك ترى التنغيم يشكّل الخلاف عينه، وقد لخّص ذلك الخلاف الدكتور مشتاق عبّاس بقوله: ((انقسم الدارسون في موقفهم من وعي علمائنا القدامى لظاهرة التنغيم وإجرائهم إياها في دراساتهم على ثلاث طوائف:

أ: طائفة أنكرته تمامًا، ومَثَّل هذا التوجُّه أغلب الغربيّين الذين درسوا العربيّة، ولاسيّما المستشرقين، وأشهر من قال بذلك برجشتراسر.

ب: طائفة أنكرت معرفته ولكن ذهب أصحابها إلى تأويل الوص بوجهة تثبت رأيهم، وذهب إلى هذا الرأي د. أحمد صالح الضالع.

ج: طائفة أكدت معرفة علمائنا القدامى لهذه الظاهرة، ومع ذلك أهملها السابقون، لأسباب تتعلّق بطبيعة وضع الرموز الكتابيّة للّ المنطوق))[٤٣].

وتبدو الغلبة في هذا الأمر للطائفة الثالثة؛ لأنّها لم تعدم الدليل العقليّ فضلًا عن الدليل النقليّ. فالدليل العقليّ يتجسّد في أنّ الطفل في أوّل نطقه للغة لا ينفكّ ينطق مقاطع منغّمة، أي إنّه أول ما يبتدئ به هو التنغيم في المقاطع الصوتيّة إلى أن يتمكّن من تجميع هذه المقاطع فيكوّن منها المفردة متكاملة البنية، بل إنّ هذه المفردة تكون حين اكتمالها مكتنزة بالنغمات، فالطفل حين يصل إلى النطق بلفظة (بابا)، أوّل ما يبدأ بقول (با) / ب ـَـ / ، ومن ثم يبدأ بتجميع المقاطع على وفق نظام موسيقيّ مستند إلى الفطرة التي فُطر عليها في تعلّمه لغة والديه.

ولذلك ذهب علماء اللغة إلى أنّ التقسيم على مقاطع أسبق من التقسيم على حروف. ولعلّ ذلك أوحى للقائمين على وضع المناهج التعليميّة لمرحلة الأوّل الابتدائيّ الإفادة من طريقة المقاطع الصوتيّة في بناء الكلام؛ إذ إنّ المقطع هو الطريقة التي ينطق بها الإنسان الكلام.

فالكلام لا يخرج حروفًا بل يخرج مقاطع على وفق آلية عمل جهاز النطق، ولعلّ وحدات المقاطع الصوتيّة لا تخلو من أن تكون صوامت وصوائت طوالًا أو قصارًا فضلًا عن التنوين الذي يعدّ مقطعًا متوسّطًا مغلقًا صامته الأخير نون، أمّا الأوّل فهو الصوت الذي أريد تنوينه؛ وتقطيعها على مقاطع - لا شكّ - يسهّل عملية نطق الكلمة لدى الطفل في بداية تعلّمه اللغة.

أمّا الدليل النقليّ؛ فقد جاء في ((حديث حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: اقرأ عليّ، فقال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠] فقال: أعِدْ فأعادَ، فقال: واللهِ إنَّ لهُ لَحلاوةً، وإنَّ عليهِ لَطَلاوةً، وإنّ أعلاه لَمُثْمِرٌ، وإنّ أسفله لَمُغْدِقٌ، وما يقول هذا بشر))[٤٤]. ولا شكّ في أنّها شهادة عدوّ، ولم تأتِ من فراغ؛ إذ إنّ أداء الألفاظ لم يكن على وتيرة واحدة ونغمة ثابتة بل جاء على وفق نظام لغويّ يتناغم مع المعنى المراد، فالتوكيد لَه نغمة والترجّي له نغمة والتعجّب له نغمة والتقرير له نغمة، وكلّ ذلك كان قد صدر من أعظم مرتّل للقرآن عرفه الإسلام بصوته العذب ولا يكون ذلك غير الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

١- أثر التنغيم في معنى الجملة

يصرّح ابن جني في غير موضع بأثر التنغيم للاهتداء إلى المعنى المقصود وتأديته دور القرينة النحويّة حينما تكلّم على حذف الصفة ودلالة الحال

عليها، وذلك في قوله: ((إنّهم يقولون: سير عليه ليلٌ يريدون: ليلٌ طويل. وهذا إنّما يفهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون: سير عليه ليلٌ، فقامت المدّة مقام الصفة))[٤٥].

ولم يكن ابن جنّي أوّل من أشار إلى أثر التنغيم في معنى الجملة، بل سبقه أستاذه سيبويه حينما قال: ((وذلك قولك: أتميميًّا مرّة قيسيًّا أخرى، وإنّما هذا أنَّك رأيت رجلًا في حال تلوّن وتنقّل، فقلت: أتميميًّا مرّة وقيسيًّا أخرى، كأنّك قلت: أتَحَوَّلُ تميميًّا مرّةً وقيسيًّا أخرى. فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلوّن وتنقّل، وليس يسأله مسترشِدًا من أمر هو جاهل به ليفهِّمَهُ إيّاه ويُخْبِرَهُ عَنْهُ، ولكن وبّخه بذلك. وحدّثنا بعض العرب أنّ رجلًا من بني أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطيّر منه. فقال: يا بني أسد، أعْوَرَ وذا نابٍ، فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحّته، ولكنّه نبّههم، كأنّه قال: أتستقبلون أعورَ وذا نابٍ، فالاستقبال في حال تنبيهه إيّاهم كان واقعًا كما كان التلوّن والتنقُّل عندك ثابتين في الحال الأوّل، وأراد أن يثبِّتَ لهم الأعورَ ليحذروه..))[٤٦].

ويبدو هذا التثبّت الذي ذكره سيبويه لا يفهمه السامع إلا إذا أدّاه الناطق بطريقة أدائيّة معينة قد لا يفهم المقصود بغيرها. وليس ذلك إلا عبر ظاهرة التنغيم. ولعلّ التراث اللغويّ والأدبيّ العربيّ لا يخلو من شواهد لتأكيد أصالة ظاهرة التنغيم في الموروث العربيّ بخلاف من أنكر عدم أصالتها فيه[٤٧].

ومن علماء التجويد الذين أشاروا إلى التنغيم وأثره في المعنى أبو العلاء العطار (ت ٥٩٦هـ) في كلامه عن اللحن الخفيّ، حين قال: ((وأمّا الخفيّ فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القرّاء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما؛ لا تعرف كيفيّته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدّات وحدود الممالات والملطّفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف والإدغام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيّد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلاّ من أهل الإتقان والضبط))[٤٨].

ويلحظ في التنغيم أنّه لا ينشئ علاقات نحويّة ليست موجودة، بل يختار بعض تلك العلاقات التي ترزح تحت مظلة الكلام المنطوق ويظهر تأثيرها في التفسير، وبالعودة إلى كلام العطّار على اللحن الخفيّ يُلحظُ أنّ أوّل ما جعله من اللحن الخفيّ هو عدم معرفة مقادير المدود. وهذا الكلام يستحق الوقوف عنده والتأمّل فيه، وهو من المظاهر الصوتيّة المهمّة التي أولاها عنايةً الدارسون قديمًا وحديثًا، وألّفت لها مصنّفات كثيرة.

ولمّا كان الجانب التنغيميّ يعدّ الأقرب إلى الجانب الدلاليّ من بين المظاهر الصوتيّة الأخرى، فمن أجل ذلك كانت المدود الصوتيّة تشكّل بعدًا واسعًا في الكشف عن علاقة الجانب الصوتيّ بالجانب الدلاليّ. وفي ضوء الكشف عن هذه العلاقة تكون ضروريًّا الاستعانة بآراء السابقين في ذاك، فيما يتعلّق بالمدود ومقاديرها وأثرها في الجانب الدلاليّ؛ إذ حدّد العلماء جملة من المعاني التي أحدثها اختلاف المدّة الزمنيّة في المدود. ومن هذه المعاني ما يأتي:

٢- معنى المبالغة

ففي مثل قوله تعالى لاَ رَيْبَ [البقرة: من الآية ٢]، وقوله لاَّ شِيَةَ فِيهَا [البقرة: من الآية ٧١]، تجد أنّ المد في (لا) التي لنفي الجنس يعدّ مدًّا طبيعيًّا قدره حركتان، لكنّ حمزة يمدّه للمبالغة قدر أربع حركات ((قال ابن مهران في كتاب المدّات: إنما سُمي مدّ المبالغة لأنّه طُلِبَ للمبالغة في نفي إلهيّة سوى الله

تعالى، قال: وهذا مَذهب معروف عند العرب، لأنّها تمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي الشيء، ويمدّون ما لا أصل له بهذه العلّة، قال ابن الجزريّ: وقد ورد عن حمزة مدّ المبالغة للنفي في لا التي للتبرئة نحو (لا ريب فيه)، (لا شية فيها)، (لا مردّ له)، (لا جرم)، وقدره في ذلك وسط، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه))[٤٩].

٣- معنى الاستغراق

وهذا المدّ تجده في المدّ العارض للسكون، إذ يمدّ قدر حركتين أو أربع أو ستّ أي قصرًا أو توسطًّا أو إشباعًا، وأغلب القرّاء يفضّل الإشباع، أي قدر ست حركات من أجل الاستغراق في الدلالة. وفي ذلك قوله تعالى: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: من الآية ٥]، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الزخرف: من الآية ٨٩]. ففي الآية الأولى تُحْدِثُ الإطالةَ في المدّ معنى الاستغراق في الاستعانة، وفي الآية الأخرى تُحْدِثُ معنى الاستغراق في العلم[٥٠].

٤- معنى الترهيب

ويمكن أن تندرج تحت هذا المعنى كلمات وردت في القرآن الكريم من نحو: الحاقّة، والصاخّة، والطامّة، ومع أنّ نوع المدّ فيها هو مدّ لازم يلزم ست حركات لكنّ وَقْعَ الرهبة والإنذار والوعيد بيّن فيها، ولا شكَّ في أنّ هذا المعنى أحدثه صوت المدّ (الألف) الذي استطاع حتّى ينسجم الصوت مع دلالة الترهيب، ولولا ذاك المدّ المشبع لما أحدث هذا المعنى.

على أنّ هناك عرين آخرين غير المدّ أثمرا هذا المعنى (الترهيب) أحدهما: اشتمال هذه الكلمات على صفة التفخيم عبر وجود أصوات أبرز صفاتها الإطباق، وهذه الأصوات (الطاء، والصاد، والقاف، والخاء). وأمّا العر الآخر: فهو عر التشديد الواقع بعد الألف. وهو ما ينسجم مع شدّة وقع المعنى في النفس الإنسانيّة.

٥- معنى التعظيم

ومن ذلك قوله تعالى لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ [البقرة: من الآية ١٦٣]، وقد سبق ذكر هذا المدّ في مواضع، وفي ذلك قال ابن الجزريّ: ((ومنه مدّ التعظيم في نحو (((لا إله إلا الله)، (لا إله إلا هو)، (لا إله إلا أنت)..، ويقال له - أيضًا - مدّ المبالغة))[٥١]. ويبدو أنّ إطالة المدّ في (لا) تحمل معنى التعظيم للواحد الأحد وتفرّده بالألوهيّة.

٦- معنى الاستغاثة

وقد ذكر ابن الجزريّ أنّ المدّ المعنويّ من أنواعه مدّ الاستغاثة، وذلك حين قال: ((وهذا معروف عند العرب؛ لأنّها تمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة...))[٥٢] وغالباً ما يأتي هذا المدّ في كلمة (اللهمّ) بمدّ صوت الألف في اسم الجلالة أو بمدّ الألف في حرف النداء (يا)، ومعلوم أنّ كتب النحو تشير إلى وجود لام مفتوحة تدخل على المستغاث به؛ ((إذ ليس كلُّ منادى مستغاثًا به))[٥٣]، والراجح أنّ حذف هذه اللام جائز إذا ما عوّض عنها بزيادة مدّ ألف المستغاث به. وفي ذلك يقول سيبويه في إمكان حذف هذه اللام: ((وزعم الخليل أنّ هذه اللام بدل من الزيادة التي تكون في آخر الاسم إذا أضفت، نحو قولك: (يا عجباه) و(يا بكراه) إذا استغثت أو تعجبت، فصار كل واحد منهما يعاقب صاحبه))[٥٤]، وقد علّق الدكتور فاضل السامرّائي على ذلك بقوله: ((ويبدو أنّ الإتيان بالألف ينبئ عن استغاثة أقوى وأشد، لما فيها من مدّ الصوت، فالمستغيث بالألف يمدّ صوته طالبًا النجدة، فقوله: (يا بكراه) أشد استغاثة من (يالبكر))[٥٥].

٧- وظائف التنغيم في العربيّة

لم يغفل القدماء من علماء العربيّة عن الأسس والوظائف التي يقوم بها التنغيم، ولا بأس بذكر بعض هذه الإشارات التي تفصح عن فهم السابقين للتنغيم، ففي حدود الأسس صرّح الفارابيّ (ت ٣٣٩هـ) أنّ

((من فصول النغم الفصول التي تصير بها أدلّة على انفعال النفس، والانفعالات عوارض النفس، مثل الرحمة والقساوة والحزن والخوف والطرب والغضب واللذة والأذى وأشباه هذه، فإنّ الإنسان له عند كلّ واحد من هذه الانفعالات نغمة تدلّ بواحدٍ واحدٍ منها على عارض من عوارض نفسيّة. وهذه إذا استعملت خيّلت إلى سامع تلك الأشياء التي هي دالّة عليها))[٥٦].

وما يبدو جليّا أنّ كلام الفارابيّ هذا، يتماشى بشكل كبير مع مفهوم المحدثين للتنغيم فهذا ماريوباي يعرف التنغيم بأنّه ((عبارة عن تتابع النغمات الموسيقيّة، أو الإيقاعات في حدث كلاميّ معيّن))[٥٧].

وقد عدّه بعض المحدثين أحد القرائن الصوتيّة التي يستدلّ بها في أثناء الكلام على معاني الجمل المختلفة عن طريق رفع الصوت (الصعود)، وخفضه (الهبوط)؛ إذ ((هو عبارة عن دلالات صوتيّة لها تأثير في المعاني تختصّ بالجمل، تعبّر عن انفعالات المتكلم ومشاعره، وتوضّح نوع هذا الانفعال، سواء أكان استفهاميًّا أم تعجّبيًّا، أم يقصد به نداء الندبة، أو الاستغاثة، أو الترخيم يحدث ارتفاع الصوت وانخفاضه في النغمة نتيجة التغيّر في درجة رفع الصوت، بحسب السياق الانفعاليّ الذي يشعر به المتكلم))[٥٨].

وأمّا إشارات القدماء في حدود وظائف التنغيم فترى منها ما ذكره ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في ماّه: ((ومن أحوال النغم: النبرات وهي هيئات في النغم مدّيّة غير حرفيّة، يبتدأ بها تارة وتخلّلُ الكلام تارة وتعقُبُ النهاية تارة، وربّما كانت تكثر في الكلام، وربّما تقلّ ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربّما كانت مطلقة الإشباع، ولتعريف القطع ولإمهال السامع ليتصوّر ولتفخيم الكلام، وربّما أعطيت هذه النبرات بالحدّة والثقل هيئات تصير بها دالّة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنّه متحيّز أو غضبان أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرّع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أنّ النبرة قد تجعل الخبر استفهامًا والاستفهام تعجّبًا، وغير ذلك وقد تورد للدلالة على الأوزان والمعادلة وعلى أن هذا شرط وهذا جزاء وهذا محمول وهذا موضوع))[٥٩].

وتظهر أهمية التنغيم في كونه ((يعدّ من أكثر طرق الأداء اتّساعًا وشمولية، وأنّه يقتصر على التراكيب المسموعة دون المقروءة، وأنّ له أثرًا كبيرًا في نفوس السامعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وإزالة اللبس عن معنى الجملة، وإدراك الفرق بين المعاني المتعدّدة، وفهم المراد، ولا يتأتّى ذلك إلا باتّباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقيّ، والتعوّد على مجاراة الفصحاء، فالمتكلّم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتاب، أو الاستحثاث، أو لفت النظر، أو الامتعاض إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم..، لذلك يمكن القول: إنّ للتنغيم وظيفتين:

أولاهما: وظيفة أدائيّة بها يتمّ نطق الجملة في اللغة حسب نظم الأداء بها، وحسب ما يقتضيه العرف عند أهلها من حيث الالتزام بطرق أدائها؛ لأنّه لو لم يلتزم بها يصبح نطقه وكلامه غير واضحين وغريبين عند أهلها.

والأخرى: وظيفة دلاليّة، بها يتمّ معرفة المعاني المختلفة والدلالات الخفيّة للكلام، حيث إنّ للتنغيم أثرَهُ في بيان هذه الدلالات والمعاني، وفي توضيح مقاصد الكلام، وفي ذلك يقول الدكتور تمّام حسّان: ((وللنغمة دلالة وظيفيّة على معاني الجمل تتّضح في صلاحيّة الجمل التأثّريّة (Exclamatory) المختصرة نحو: (لا!)، و(نعم!) و(يا سلام!)، و(الله!) الخ، لأن تقال بنغمات متعدّدة، ويتغيّر معناها النحويّ والدلاليّ مع

كلّ نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والإثبات لمعانٍ مثل: الحزن والفرح والشكّ، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير، وهلمّ جرًّا حيث تكون النغمة هي العر الوحيد الذي تسبّب عنه تباين هذه المعاني))[٦٠]، وبالرغم من أنّ هاتين الوظيفتين مختلفتان، فإنّه لا يمكن الفصل بينهما، فهما متلازمتان ومتكاملتان))[٦١].

وتأكيدًا على ما سبق يلحظ اختصاص التنغيم باللغة المنطوقة التي تختلف معانيها باختلاف نغماتها، ولذا كان كثير من الشواهد المكتوبة التي ورثها الخلف عن السلف تشتمل على أوجه متعدّدة في الإعراب والمعنى فضلًا عن الأداء الذي يكتنف النطق بألفاظ جملها، وتجد صدى ذلك في كثير من شواهد الشعر، ومن ذلك قول الشاعر: (من الخفيف)

ثُمَّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرًا
عَدَدَ الرمْلِ والحَصى والتُّرابِ

((فقيل: أراد: أتحبُّها؟، وقيل: إنّه خبر، أي: أنتَ تحبها))[٦٢]، ويعلّق الدكتور تمّام حسّان على هذا البيت بقوله: ((فقد أغنت النغمة الاستفهاميّة في قوله: تحبّها؟ بما لها من صفة وسيلة التعليق، عن أداة الاستفهام، فحذفت الأداة، وبقي معنى الاستفهام مفهومًا من البيت، وإافًا للحقّ هنا لابدّ أن نشير إلى أنّه يمكن في بيت ابن أبي ربيعة هذا مع تغيّر النغمة أن يفهم منه معنى التقرير للتأنيب، أو التعيير، أو الإلجاء إلى الاعتراف))[٦٣]، وعلى وفق طبيعة الأداء يتوقّف المعنى المراد، فقد يتدرّج التنغيم مرتفعًا ثم يتأرجح بين الارتفاع والانخفاض، فيفيد الاستفهام الذي يقتضي تقدير همزة استفهام قبل (تحبها)، أمّا إذا كان التدرّج التنغيميّ مستويًا فيفيد الإخبار[٦٤].

ويبقى الكلام في ضمن دائرة أسلوب الاستفهام، لكن على عكس الشاهد المذكور آنفًا، فقد يأتي الكلام بأسلوب الاستفهام ولا يكون القصد منه الاستفهام ومن ذلك قول الراجز:

حتّى إذا جنَّ الظلامُ واخْتَلَطْ
جاءوا بِمَذْقٍ! هَلْ رَأَيْتَ الذئْبَ قَطْ[٦٥]

فجملة (هلْ رأيتَ الذئبَ قَطْ) خبريّة تقريريّة، تعني جاءوا بمذق يشبه لون الذئب، وذلك يفهم عبر أدائها بنغمة صوتيّة معينة لا على طريقة الاستفهام[٦٦].

ويبدو أنّ بعض المحدثين قد قسموا التنغيم استنادًا إلى المعنى المراد على موازين تحدّد الأسلوب الذي يريده المتكلّم وهذه الموازين بحسب ما ذكرها الدكتور تمّام حسّان هي:

٧-١- الإيجابيّ الهابط، ويستعمل في تأكيد الإثبات وتأكيد الاستفهام بـ(كيف) و(أين) و(متى)، وبقيّة الأدوات عدا الهمزة وهل.

٧-٢- الإيجابيّ الصاعد، ويستعمل في تأكيد الاستفهام بـ(هل) أو الهمزة.

٧-٣- النسبيّ الهابط، ويستعمل في الإثبات غير المؤكّد، كالكلام الجاري في التحيّة والنداء وتفصيل المعدودات.

٧-٤- النسبيّ الصاعد، ويستعمل في الاستفهام بلا أداة أو بـ(هل) والهمزة.

٧-٥- السلبيّ الهابط، ويستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسّر والتسليم مع خفض الصوت.

٧-٦- السلبيّ الصاعد، ويستعمل في التمنّي والعتاب، مع نغمة ثابتة أعلى ممّا قبلها[٦٧].

((وخلاصة ما تقدّم هي أنّ المجموعة الكلميّة تامّة المعنى لابدّ من أن تنتهي بنغمة هابطة في أساليب التقرير والطلب والتأكيد والاستفهام بغير هل والهمزة، وأنّ المجموعة الكلاميّة غير تامّة المعنى لابدّ أن تنتهي بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلى ممّا قبلها، وكذلك الشأن في الاستفهام المبدوء بـ(هل) والهمزة، وتخلو نماذج الدكتور حسّان – كما هو ملحوظ – من نماذج تنتهي بنغمة صاعدة هابطة أو هابطة صاعدة ممّا يشير إلى ضرورة متابعة هذا الدرس للوصول

إلى نتائج وافية بالغرض، ولعلّ الدراسات المأمولة في هذا الصدد تصل إلى قواعد دقيقة تساعد على وضع قوالب تنغيميّة للقراءة والإلقاء تضاف إلى قواعد التجويد التي حفظت لنا صورة عالية لنطق القرآن والعربيّة))[٦٨].

ثالثاً: وظائف التنغيم في القرآن الكريم

حملت الدراسات القرآنيّة إشارات تدلّ على وظائف التنغيم يفهم منها حضور هذا المظهر في ذهنيّة السابقين، وقد أفرزت هذه الإشارات جملة من الوظائف، منها الوظيفة الانفعاليّة التعبيريّة، والوظيفة التركيبيّة والوظيفة الدلاليّة.

١- الوظيفة الانفعاليّة التعبيريّة

لا تخلو نفس المتكلم من أن تختلجه جملة من الأحاسيس والانفعالات من قبل: الخوف والشجاعة، والحزن، والفرح، والتعجّب، والتعظيم، والحسرة، والرضا والغضب واليأس، والأمل، والشكّ، واليقين، وغيرها. ومن دون شكّ حمل القرآن الكريم من مثل هذه الأحاسيس والانفعالات بوصفه كتاب وعظ وإقناع وقصص... إلخ. ويمكن الاستشهاد بما ورد من ّ للزركشيّ (ت٧٩٤هـ) في كلامه على التلاوة الحقّة للقرآن الكريم: إذ يقول: ((فحقّ على كلّ امرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتّله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه..، فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدًا لفظ به لفظ المتهدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم..، فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنّة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمّل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان، فقال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار، وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا، فقال يا أيّها الذين آمنوا، وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبّيك ربي وسعديك، ويتأمّل ما بعدها ممّا أمر به ونهى عنه...))[٦٩].

ومن دون شكّ أنّ كلّ هذه المعاني التي انضوت تحت آي الذكر الحكيم تقتضي نطاقات تنغيميّة خاصّة كي تبلغ دلالاتها مبلغها الأرقى.

ويعود الزركشيّ ليضرب جملة من الشواهد على ما ينبغي الاعتناء به من المعاني التي يتكلّم بها البليغ مثبّتًا ونافيًا فتراه يقول: ((ومنها تمكين الانفعالات النفسانيّة من النفوس مثل الاستعطاف، والإعراض، والإرضاء، والإغضاب، والتشجيع، والتخويف، ويكون في مدح وذمّ وشكاية واعتذار، وإذن ومنع....، ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل تأمّل، وزيادة تفهّم، قال تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا [سبأ: من الآية ٤٦]، وكذلك قوله: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ[٧٠]، وسرّ هذا أنّ السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثنى عليهم، فيسارع إلى التصديق ويلقى في نفسه نورا من التوفيق..، ومثال الاستمالة للاستعطاف قوله تعالى عن آدم: قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[٧١]..، ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[٧٢]))[٧٣].

٢- الوظيفة التركيبيّة

ويراد منها التفريق بين الجمل من جهة أنواعها، فلكلّ جملة أسلوب تنغيميّ خاصّ بها، لا تشترك مع جملة أخرى، ولا شكّ في أنّ تجاهل هذا النمط التنغيميّ يوهم السامع ويجعل فهم الجملة أمرًا متعسّرًا، لذا عدّه بعض الباحثين بمنزلة اللحن شأنه في ذلك شأن رفع المفعول وب الفاعل[٧٤]، وبذا تتنوّع القوالب

التنغيميّة بتعدّد الجمل واختلاف الأساليب بين الخبر، والاستفهام، والتوكيد، والأمر، والنهي والنفي، والإثبات، والقسم، والنداء. ومن الإشارات القديمة التي وردت في هذا الشأن هو أنّ أبا العلاء العطّار (ت ٥٦٩هـ) قد عدّ الإغفال عنها لحنًا خفيًّا في قراءة القرآن الكريم، وتجد ذلك في قوله: ((وأمّا اللحن الخفيّ فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القرّاء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما؛ لا تعرف كيفيّته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة، وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدّات، وحدود الممالات، والملطّفات، والمشبعات، والمختلسات، والفرق بين النفي، والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام))[٧٥]، فالقارئ الذي ليس له القدرة على التمييز بين الأساليب والأبواب يقع في اللحن الخفيّ.

وقد وظّف السمرقنديّ (ت٧٨٠هـ) التنغيم بوصفه ملمحًا تمييزيًّا كاشفًا للأساليب التركيبيّة في قصيدته (العقد الفريد)؛ إذ قال (من الطويل):

إذا (ما) لنفيٍ أو لجَحْدٍ فَصَوتُها أرْ
فَعَنْ وللاستفهامِ مَكِّنْ وَعدِّلا
وفي غيرِ اخفِضْ صَوتَها والذي بها
شبيهٌ بمعناهُ فَقِسْهُ لتَفْضُلا
كهمزَةِ الاستفهامِ مَعْ مَنْ وأنْ وإنْ وأفعلَ
تفضيلٍ وكيفَ وهلْ ولا[٧٦]

وفي هذه الأبيات كشف عن كيفيّة نطق (ما) على وفق نوعها عبر قوالب تنغيميّة يتعرّف بها أنّ (ما) للنفي وذلك برفع الصوت بها، أو الموصولة بخفض الصوت بها، أو الاستفهاميّة بأن ينطق بها بين بين.

وقد أكّد الدكتور تمّام حسّان على ذلك بقوله: ((وربّما كان له وظيفة نحويّة هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، فقد تقول لمن يكلّمك ولا تراه: (أنت محمد) مقرّرًا ذلك أو مستفهمًا عنه، وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام، ولكنّ كلّ شيء فيما عدا هذا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه))[٧٧].

ومن الشواهد القرآنية التي يقوم التنغيم فيها بوظيفة تركيبيّة في قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ [البقرة: من الآية ٢١٧] وفيها تؤدّي الآية الكريمة في شقها يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ الأوّل بتنغيم يحقّق في الجملة أسلوبًا خبريًّا، أما الشقّ الآخر من الآية (قتال فيه)، فقد قرئ شاذًّا (قتالٌ فيه)[٧٨] على تقدير همزة استفهام محذوفة، فهو مرفوع على أنّه مبتدأ، وسوّغ الابتداء فيه، وهو نكرة؛ لنيّة الاستفهام ومن ذلك قوله تعالى: قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [يوسف:٧٤-٧٥].

وواضحٌ أنّ الاستفهام حاضر في الآية الأولى: فما جزاؤه؟ لذا ينبغي أن يُقرأ بتنغيم استفهاميّ، أمّا الآية الأخرى: فهي عبارة عن شقّين، أحدهما: قالوا: جزاؤه؟ فهي تقرأ بالتنغيم الذي يُشعِر بالاستفهام، وتُقْرأ (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بتنغيم قالبه تقريريّ، وقد تُقْرأ الآية في شقّها الأوّل قالوا: جزاؤه! على التعجّب أو الاستهجان: ((قالوا: جزاؤه!..)).

وهناك آيات كثيرة قام التنغيم فيها مقام همزة الاستفهام المحذوفة من نحو قوله تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ [التوبة: من الآية ٦٢]، إذ المراد: أيحلفون؟ وفي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ [التحريم: من الآية ١]، أي: أتبتغي؟

وفي قوله تعالى: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ [الكهف: من الآية ٥] ويأخذ التنغيم طريقه ليترجم الأسلوب الذي نُطِقَت الآية به وهو أسلوب التعجّب، كأنّه قيل: ما أكبرها كلمة أو أكْبِرْ بها كلمة!

٣- الوظيفة الدلاليّة

يبدو لمن يراجع أساليب العرب الكلاميّة أنّه سيجد للتنغيم وظيفة أخرى وهي الوظيفة الدلاليّة، وهذه الوظيفة نتاج تأمّل كبير؛ إذ إنّ الأسلوب الواحد قد يخرج إلى معانٍ مختلفة ودلالات شتّى، ولا شكّ في أنّ التنغيم يعدّ عاملًا أساسًا متحكّمًا بهذه الدلالات، إذ يتكفّل بأنّه يغني عن عبارات بأكملها، ففي باب التذكّر، يقوم مقام استمهال المتكلّم للسامع، وإعلامه باستمرار الكلام[٧٩]، وفي باب الندبة يقوم مقام إعلام السامع بمدى التفجّع والتحسّر على المندوب.

ويفهم ذلك عبر طائفة من إشارات العلماء السابقين، ففي مدّ الألف والواو والياء التذكّر يقول ابن جنّي: ((وأمّا مدّها عند التذكر، فنحو قولك: أخواك ضربا، إذا كنت متذكّرًا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك أي ضربا زيدًا ونحوه، وكذلك تمطل الواو إذا تذكّرت في نحو: ضربوا إذا كنت تتذكّر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك، أي: ضربوا زيدًا، أو ضربوا يوم الجمعة أو ضربوا قيامًا، فتتذكر الحال، وكذلك الحال في نحو: اضربي، أي اضربي زيدًا ونحوه. وإنّما مُطِلَتْ ومُدَّت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكّر، من قِبَلِ أنّك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكّنة المدّة، فقلت ضربا، وضربوا، واضربي، وما كانت هذه حاله، وأنت مع ذلك متذكِّرٌ لم توجد في لفظك دليلًا على أنّك متذكر شيئًا، ولا أوهمت كلَّ الإيهام أنّك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقّع لك، لكنّك لمّا وقفت ومطلت الحرف عُلِمَ بذلك أنّك متطاول إلى كلام تالٍ للأوّل منوط به معقود ما قبله على تضمّنه وخلطه بجملته))[٨٠]. ولو عدنا إلى ما قاله ابن جني في ّ كلامه: (لم توجد في لفظك دليلًا على أنّك متذكر شيئاً) ليترجّح أنّ ذلك الدليل هو التنغيم الذي يجعل السامع منتظرًا لكلام يتوقّعه بعد صوت المدّ، وكأنّما صوت المدّ في إطالته أعطى دلالة مفادها أنّ المتكلّم لمّا يتمَّ كلامه بعد.

وفي باب الندبة ترى مدّ الصوت ورفعه والمبالغة فيهما فيه دلالة واضحة عن مدى الحزن والتضجّر، وفي ذلك يقول سيبويه: ((والندبة يلزمها (يا) و(وا)؛ لأنهم يحتلطون[٨١] ويدعون ما قد فات وبَعُدَ عنهم، ومع ذلك أنّ الندبة كأنّهم يترنّمون فيها، فمن ثمّ ألزموها المدّ وألحقوا آخر الاسم المدّ مبالغة في الترنّم))[٨٢]. وتجد مصداق ذلك في جملة من القراءات القرآنيّة؛ إذ قرأ السُّدِّيُّ (ابناه) في قوله تعالى: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ [هود: من الآية ٤٢]. وفي ذلك يقول ابن جنّي: في قراءة (ابناه) ممدودة الألف على النداء: ((وقراءة السدّي (ابناه) يريد بها الندبة، وهو معنى قولهم: الترثيّ، وهو على الحكاية؛ أي قال له: يا ابناه، على النداء. ولو أراد حقيقة الندبة لم يكن بدّ من أحد الحرفين: يا ابناه، أو وا ابناه، كقولك فيها: وازيداه، ويا زيداه))[٨٣].

وما ذكره ابن جني في كون الندبة لا تتحقق إلا بوجود (يا) أو (واو) يفصح ما لمدّ الصوت وارتفاعه من دلالة واضحة في المبالغة في التضجّر والتفجّع، وهو ما أكّده سيبويه في ال المتقدم ذكره.

وقد تجد في ضمن الأسلوب الواحد جملة من الدلالات الفيصل في وضوحها وتميّزها بعضها عن بعض، هو التنغيم. فهذا أسلوب الاستفهام صنّفه علماء اللغة إلى أصناف متعدّدة، فمنه يدخل في الخبر ومنه يدخل في الإنشاء فما يدخل في الخبر أساليب شتّى، منها النفي والإثبات والافتخار والتوبيخ، والعتاب والتكثير والتفجّع، على حين يدخل في الإنشاء الأمر والنهي، والتحذير، والتنبيه والترغيب والتمنّي والدعاء والتعجّب والتهكّم والتحقير[٨٤].

ومن شواهد ما تقدّم هو مجيء الاستفهام ليعطي معنى التسوية، وهي من معاني الخبر. في قوله تعالى أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ [البقرة: من الآية٦].

قال أبو علي الفارسيّ: ((لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر، ومثل ذلك قولهم: ما أبالي أشهدت أم غبتَ. وما أدري أأقبلت أم أدبرت. وإنّما جرى عليه لفظ الاستفهام وإن كان خبرًا؛ لأنّ فيه التسويةَ التي في الاستفهام، ألا ترى إذا استفهمت فقلت: أ خرج زيدٌ أم أقام؟ فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام، وعدم علم أحدهما بعينه؛ كما أنّك إذا أخبرت فقلت: سواء عليّ أقعدت أم ذهبت، فقد سوّيت الأمرين عليك، فلمّا عمّتهما التسوية، جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام؛ لمشاركته له في الإبهام، فكلّ استفهام تسوية، وإن لم يكن كلّ تسوية استفهامًا))[٨٥].

وقد يأتي الكلام بأسلوب الاستفهام ومعناه الإنكار من نحو قوله تعالى: قَالَ هَذَا رَبِّي [الأنعام: من الآية ٧٧] وهذا ما ذكره الطبريّ في قوله: ((وقال آخرون منهم: إنّما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي ليس هذا ربي. وقالوا: قد فعل العرب مثل ذلك))[٨٦].

وقد ورد الاستفهام للدلالة على التهكّم والاستهزاء[٨٧]، في مثل قوله تعالى: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)).

وربّما دلّ الاستفهام على التهديد والتقريع من نحو قوله تعالى: فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ [الرعد: من الآية ٣٢]. ولا شكَّ في أنّ القرآن حافلٌ بمثل ذلك.

الهوامش

١. ينظر: في التنظيم الإيقاعي للغة العربيّة، نموذج الوقف: ٣٧-٣٨.
٢. التطوّر النحويّ للغة العربيّة: ٧٢-٧٣.
٣. ينظر: العربيّة الفصحى: ٤٩.
٤. ينظر: محاضرات في اللغة: ٤٥، التصريف العربيّ: ٧٨.
٥. المدارس الصوتيّة عند العرب. النشأة والتطور: ١٦٧.
٦. ينظر: مبادئ اللسانيّات: أحمد محمد قدّور.
٧. التفكير اللسانيّ في الحضارة العربيّة: ٢٦٥.
٨. الخطابة لابن سينا: ٢٣٣-٢٢٤، وينظر: التفكير اللسانيّ في الحضارة العربيّة: ٢٦٥-٢٦٦.
٩. أي يبتدئ المتكلم وهو مبنيّ للمعلوم.
١٠. الخطابة: ١٩٨.
١١. ديوان كثير عزة: ٥٤.
١٢. الخصائص: ١/ ٢٧-٢٩.
١٣. ينظر: القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة: ١/ ١٤٧.
١٤. المقتضب: ٢/ ٩٨.
١٥. ينظر: مبادئ اللسانيّات: أحمد قدور: ١٦٤.
١٦. ينظر: النبر في اللغة العربيّة: ٣٢٢.
١٧. الأصوات اللغويّة: ١٧٤.
١٨. ينظر: في لسانيات العربية، دكتور صلاح الدين صالح حسنين: ١٣٧.
١٩. ينظر: في لسانيّات العربية: ١٣٦-١٣٧.
٢٠. ينظر: دراسة الصوت اللغويّ: ٢٢٠-٢٢١.
٢١. ينظر: الأصوات اللغويّة: ١٦٩.
٢٢. ينظر: مبادئ اللسانيّات: أحمد قدّور: ١٦٤-١٦٥.
٢٣. ينظر: الأصوات اللغويّة: ١٧٤.
٢٤. ينظر: علم الأصوات لمالمبرج: ١٨٨.
٢٥. ينظر: القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٦.
٢٦. أحمد قران الزهرانيّ – بياض – ط: المركز الثقافيّ العربيّ، ٢٠٠٣: ١٧.
٢٧. تجويد الشعر العربيّ الحديث. بحث في المحاقلة بين تجويد القرآن الكريم والنقد الأدبيّ: ٣١-٣٢.
٢٨. شرح المفصّل: ٢/ ١٣.
٢٩. شرح المفصّل: ٢/ ١٥.

٣٠. البيت لجبير بن الأضبط في تاج العروس: ٣٤/ ١٨٩، مادة (أمن).
٣١. البيت لأبي نواس، ينظر: ديوانه: ٢/ ٤٨٩.
٣٢. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ٧٥-٧٦.
٣٣. ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ٦٧.
٣٤. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٥٥.
٣٥. ينظر: م.ن: ٦٦/١.
٣٦. ينظر: م.ن.
٣٧. ينظر: مبادئ اللسانيّات: ١٦٤-١٦٥.
٣٨. ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ٦٧.
٣٩. لم أهتدِ إلى قائله فلم يورده سوى صاحب الخزانة.
٤٠. ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ٦٨.
٤١. البيت لأبي حفص عمرو بن المطوّعيّ الحاكم (ت ٤٤٠هـ) نسبه إليه صاحب كتاب قرى الضيف: ٥/ ١٩٣، وينظر: المستطرف في كلّ فنّ مستظرف: ١/ ٤٩٩، والكشكول: ١/ ٢٥٩.
٤٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٠/ ٦٩.
٤٣. أثر التفكير الصوتيّ في دراسة العربيّة: ٢٢٠.
٤٤. الاستيعاب: ٢/ ٤٣٣.
٤٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ٢/ ٢٠٨.
٤٦. كتاب سيبويه: ١/ ٣٤٣.
٤٧. ينظر: التطوّر النحويّ برجشتراسر: ٧٢-٧٣.
٤٨. التمهيد في معرفة التجويد: ٢٣٧.
٤٩. الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٦٢٠-٦٢١. وينظر: النشر في القراءات العشر: ١/ ٣٤٤.
٥٠. ينظر: القيمة الدلاليّة لصوت المدّ في القراءات القرآنيّة: ٥٣-٥٤.
٥١. النشر في القراءات العشر: ١/ ٣٤٤.
٥٢. م.ن.
٥٣. اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٣٣٩.
٥٤. كتاب سيبويه: ١/ ٣٢٠.
٥٥. معاني النحو: ٤/ ٢٨٨.
٥٦. الموسيقى الكبير: ١٠٧١.
٥٧. أسس علم اللغة: ٩٣.
٥٨. القرينة الصوتيّة وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش: ٨١ (بحث).

٥٩. الخطابة: ١٩٨-١٩٩.
٦٠. اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٢٨.
٦١. الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى: ٦٧.
٦٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٠ وقد نسبه إلى عمر بن أبي ربيعة.
٦٣. اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٢٧-٢٢٨.
٦٤. ينظر: أسباب التعدّد في التحليل النحويّ: ٢٢٨.
٦٥. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧٦١.
٦٦. ينظر: دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربيّة: ١٣.
٦٧. ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٩٩-٢٠٣.
٦٨. مبادئ اللسانيّات: ١٦٩-١٧٠.
٦٩. البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٤٩-٤٥٠.
٧٠. العنكبوت: من الآية ٤٣.
٧١. الأعراف: الآية ٢٣.
٧٢. الممتحنة: الآية ٩.
٧٣. البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣١٣.
٧٤. ينظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربيّة: ١٨٧.
٧٥. التمهيد في معرفة التجويد: ٢٣٧.
٧٦. روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد: ١٣٩، ظ نقلًا عن: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٧٨-٤٧٩.
٧٧. مناهج البحث في اللغة: ١٦٤.
٧٨. ينظر: البحر المحيط: ٢/ ١٣٣.
٧٩. ينظر: القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة: ١/ ٢٦٧.
٨٠. الخصائص: ٣/ ١٢٨.
٨١. احتلط: غضب: ينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٧٦، مادة (حلط).
٨٢. كتاب سيبويه: ٢/ ٢٣١.
٨٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ١/ ٣٢٢.
٨٤. ينظر: القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة: ١/ ٢٧١.
٨٥. الحجّة للقرّاء السبعة: ١/ ٢٦٤-٢٦٥.
٨٦. جامع البيان في تأويل القرآن: ١١/ ٤٧٧، وينظر: النكت والعيون: ٢/ ١٣٧.
٨٧. ينظر: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٤٧٩.

المصادر والمراجع

١- أبحاث في أصوات العربيّة: د. حسام سعيد النعيميّ، ط١، دار الشؤون الثقافيّة العامة، ١٩٩٨م.

٢- الإتقان في علوم القرآن: السيوطيّ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تح: مركز الدراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد، السعوديّة، ط١، د.ت.

٣- أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية: (أطروحة دكتوراه) مشتاق عباس معن علي، جامعة صنعاء، إشراف أ. د. عبد الأمير محمد أمين الورد، أ. د. طارق عبد عون الجنابي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤- أسباب التعدّد في التحليل النحوي: د. محمود حسن الجاسم، جامعة حلب، كلّيّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، منشور بالشبكة العنكبوتيّة.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)، تح: عليّ محمد البجاويّ،دار الجيل–بيروت،ط١،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦- أسس علم اللغة، ما ريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس بليبيا، ١٩٧٣م.

٧- الأصوات اللغويّة: د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، د. ط، د.ت.

٨- الإيضاح في علوم البلاغة. القزوينيّ. جلال الدين أبو عبد الله محمّد (ت٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.

٩- البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٠- البرهان في علوم القرآن: الزركشيّ. بدر الدين محمّد بن عبد الله بن بهادر (ت٧٩٤هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ودار المعرفة، بيروت/ لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي. أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسينيّ (ت١٢٠٥ه).

١٢- تجويد الشعر العربيّ الحديث: د. محمد الصفرانيّ، ط١، نادي المدينة المنّورة الأدبيّ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٣- التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث: د. الطيّب البكّوش، ط٣، ١٩٩٢م.

١٤- تكوّن العربيّة الفصحى: د. غانم قدّوري الحمد، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، ع٤٨، السنة التاسعة عشرة، ١٩٩٥م.

١٥- التفكير اللسانيّ في الحضارة العربيّة: د. عبد السلام المسدِّي، الدار العربيّة للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦- التمهيد في معرفة التجويد: العطار، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانيّ، (ت ٥٦٩هـ)، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبريّ): الطبريّ. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٨- الحجّة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد:

تصنيف أبي عليّ الحسن بن عبد الغفار الفارسيّ (ت٣٧٧هـ)، حققه: بدر الدّين قهوجيّ، بشير جويجالي، راجعه ودقّقه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقّاق، دار المأمون للتراث، ط١، ص١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٩- خزانة الأدب وغاية الأرب. الحمويّ. تقيّ الدّين أبو بكر عليّ بن عبد الله (ت ٨٣٧هـ)، تح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٢٠- الخصائص: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت٣٩٢هـ)، تح: محمّد عليّ النّجّار، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢١- الخطابة: ابن سينا، أبو عليّ الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ)، تح: د. محمّد سليم سالم، نشر وزارة المعارف العموميّة، الإدارة العامّة للثقافة، المطبعة الأميريّة بالقاهرة، ١٩٥٤م.

٢٢- الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد: د. غانم قدّوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٣- دراسة الصوت اللغويّ: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٤- ديوان أبي نواس (شرح ديوان أبي نواس). ضبط معانيه وشروحه وأكملها. إيليا الحاوي. الشركة العالميّة للكتاب، دار الكتاب اللبنانيّ. دار الكتاب العالميّ ١٩٨٧م.

٢٥- ديوان كثير عزّة: جمع وشرح، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسيّ. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ (ت١٢٧٠هـ)، تح: عليّ عبد الباري، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٧- شرح المفصّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير: الخوارزميّ. القاسم بن الحسين (ت٦١٧هـ)، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيميّ، مكّة المكرّمة، جامعة أم القرى، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٢٨- علم الأصوات: برتيلمالمبرج، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ط)، ١٩٨٥م.

٢٩- في لسانيّات العربيّة: د. صلاح الدين صالح حسنين، (د.ط)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١١م.

٣٠- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث: د. عبد الصبور شاهين، ط٣، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٣١- قرى الضيف. ابن أبي الدنيا. عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس (ت٢٨١هـ). تح: عبد الله بن حمد المنصور. أضواء السلف، الرضا، ط١، ١٩٩٧م.

٣٢- القرينة الصوتيّة وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش: د. فراس فخري ميران، ود. قصي سمير عبيس، مجلّة كلّيّة التربية الأساسية للعلوم التربويّة والإنسانيّة، جامعة بابل، ع١٨، ٢٠١٤م.

٣٣- القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، (دراسة لسانيّة في الصواتة الإيقاعيّة): د. أحمد البابيّ،

عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
٣٤- القيمة الدلاليّة لصوت المدّ في القراءات القرآنيّة، كمال أحمد المقابلة، المنارة، مج ١٧، ع ٢، ٢٠١١م.
٣٥- كتاب سيبويه: سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٣٦- الكشكول. العامليّ. بهاء الدين محمّد بن حسين (ت ١٠٣١هـ)، تح: محمّد عبد الكريم النمريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٧- اللباب في علل البناء والإعراب: العكبريّ، أبو البقاء محبّ الدين عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
٣٨- لسان العرب: ابن منظور، محمّد بن مكرّم الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت).
٣٩- اللغة العربيّة، معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٤٠- مبادئ اللسانيّات: د. أحمد محمّد قدّور، الدار العربيّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.
٤١- محاضرات في اللغة: د. عبد الرحمن أيّوب، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ط)، ١٩٦٦م.
٤٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح: عليّ النجديّ ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٤٣- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطيّة. أبو محمّد عبد الحقّ ابن غالب (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، لبنان، (د.ط)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٤- المدارس الصوتيّة عند العرب. النشأة والتطور، د. علاء جبر محمّد الموسويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٥- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف. الأبشيهيّ. شهاب الدين محمّد بن أحمد (ت٨٥٢هـ). تح: د. مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٤٦- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرّائي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٤٧- المقتضب: المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٤٨- الموسيقى الكبير: الفارابي. أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرخان (ت٣٣٩هـ)، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربيّ للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٤٩- النبر في اللغة العربيّة: علي حسن مزبان، مجلّة علامات، ج٣، مج٨، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٥٠- النشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، تح: عليّ محمّد الضبّاع، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ

بلاغةُ التجسيدِ في القرآن الكريم

Rhetorical Personification in the Holy Quran

م.د. أحمد جاسم

Dr.Ahmed Jassim Muslim

ملخص البحث

يسعى هذا البحثُ الى تحديد التجسيد مفهوما ورؤية في نظر البلاغيين القدامى والمحدثين، ومن ثم بيان نماذجه في القرآن الكريم ودراستها ، وبيان أهميته وفائدته على مستوى الاسلوب وإنتاج المعنى .

لذا اقتصر البحث بعد المقدمة على تمهيد ومبحثين ، كشفت في التمهيد عن أصل لفظة التجسيد في التراث البلاغي والنقدي عند العرب وأيضا عرّجت على ما ذكره المحدثون في هذا الشأن .

واختص المبحث الأول ، بدارسة نماذج تجسيد الجماد في القرآن الكريم ، وهي دراسة تطبيقية بيّنت من خلال الأمثلة ، فائدة هذه الوظيفة الاستعارية وأهميتها في الاسلوب القرآني . وان القرآن الكريم قد اعتمد هذا الاسلوب في مواضع كثيرة لبيان المعاني الشريفة بأكمل الاساليب وأعلاها بلاغةً وفصاحةً .

أمّا المبحث الثاني فتناول نماذج تجسيد المعنى العقلي في القرآن الكريم بالدراسة ، وبيان أهمية هذا الاسلوب الذي يجعل للمعاني الذهنية والأفكار المجردة هيئة خارجية وجسما يتحرك . فكان هذا الاسلوب في منتهى الكمال وذروة البلاغة ، وروعة التصوير . وهذا من أسرار التعبير القرآني الذي عجز البشر عن مجاراته .

ثم جاءت الخاتمة، وبينت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

Abstract

This research seeks to define the concept of personification by looking at the works of ancient and modern rhetoricians .In addition , it tries to pin point its patterns in the holy Quran , then illustrate its importance and usefulness on the level of style and generation of meaning.

The research is divided into a preface, an introduction and two sections. The introduction looks at the origin of the word personification in the rhetorical and critical heritage of Arabs and also reveals the modernists' opinions about it.

The first section is a study of the personification patterns of inanimate objects in the Quran.This is an empirical investigation that demonstrates through examples the usefulness and relevance of this metaphorical function to the Quranic style. The Holy Quran adopts this style in many places to point out the meanings in a perfect way.

The second section deals with the personification patterns of mental concepts in the Quran. It attempts to reveal the importance of this technique that makes the mental image and the abstract ideas stand as a moving object.

The study ends with the most important findings that the researcher has found out.

المقدمةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..... والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد .....

إنَّ التجسيدَ - الذي هو وظيفةٌ من وظائف الإستعارة كما أقرّ ذلك البلاغيون من القدامى والمحدثين - قد استعمل في القرآن الكريم بشكل واسع ، وكان سمة من سمات الإسلوب القرآني في مواضع كثيرة ، وأردت من خلال هذا البحث الوقوف عند آراء البلاغيين قديما وحديثا ومن ثم تناول نماذج مختلفة منه في القرآن الكريم وتحليلها ومناقشتها ، وبيان الفوائد البلاغية المستفادة منه على مستوى الشكل والمضمون .

إن للتجسيد أهمية بالغة في التعبير ، فهو يجسّد المعاني العقلية والذهنية ويضفي صفات الإنسان على الجماد فيقرّب المعنى ويزيد من جمال الإسلوب ليكون أكثر تأثيرا في نفس السامع . فيأتيك المعنى على هيئة وصورة قريبة من الإدراك ومجسّمة في الواقع.

ويفيد التجسيد الإيجاز ، لأن تجسيد المعاني يغني عن الإطناب في شرحها وبيانها ، فتؤدي الجمل القصيرة معاني كثيرة من خلاله ، ويتجلّى هذا بشكل واضح عند معاينة نماذجه في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى: وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (الإسراء / ٢٤) ، فأغنى التجسيد في الآية الكريمة عن معانٍ كثيرة يطول شرحها في برّ الوالدين والتواضع لهما .

واحتوى هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ثم قائمة تحتوي على المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث وارتكز عليها في بيان التجسيد .

وتناولت في التمهيد الذي كان بعنوان (التجسيد عند البلاغيين والنقاد) أهمّ من أشار الى التجسيد وفوائده من قبل البلاغيين والنقاد ، محاولا التأسيس لهذا المصطلح ببيان جذوره في الدراسات العربية القديمة فضلا عن الإشارات القليلة له في الدراسات الحديثة .

وتناول المبحث الأول والذي كان بعنوان (تجسيد الجماد في القرآن الكريم) نماذج من القرآن الكريم ثم دراستها وبيان أهمية التجسيد فيها ، فهي دراسة تطبيقية تبيّن تجسيد الجماد والمادة وإضفاء صفات الإنسان عليهما في القرآن الكريم ، وما لهذا الإسلوب من دور في إثراء المعنى القرآني .

أمّا المبحث الثاني فتناول (تجسيد المعاني العقليّة في القرآن الكريم) ، وقد اهتم ببيان التجسيد للمعاني العقلية والذهنية ، وأيضا كان دراسة تطبيقية لنماذج من القرآن الكريم جسّدت فيها المعاني كأنها إنسان شاخص أمامك أو مادة لها هيئة مثل تجسيد الغضب والرحمة وغيرهما من المعاني .

ثم جاءت الخاتمة ، وأوجزت فيها النتائج التي من أجلها سعى هذا البحث سعيه .

ومن المهم القول : إن الإنسان في خلقه غير كامل ، فلا ننتظر منه أن يقدم عملا كاملا ، وفي هذا البحث حاولت بأقصى جهدي ـ وأنا المقصر ـ أن يقترب الى درجة القبول ، وأن يكون نافعا للذين يحرصون على دراسة القول الإلهي ، فإن كان كذلك فلله الحمد والشكر ، وإن ظهر عكسه ، فلا ألوم إلا نفسي لتقصيرها وقصور فكرتها . والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

التمهيد

التجسيد عند البلاغيين والنقاد

الإستعارة باب من أبواب البلاغة ، وفرع من فروع البيان ، ولا يخفى ان استعمالها يضفي على التعبير الأدبي الجمال ، ويكسب الجمل رشاقة ومتانة مع قوة في التأثير .

وجمال الإستعارة ينبع من أنها فنّ لغوي يسمح للمتلقي بالتأويل والتخييل ، وهي أداة من أدواة التعبير الفني تكشف عن رؤى جمالية ونفسية كامنة داخل النص .

وإن الإستعارة كما في أدق تعاريفها ، ((تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه))[١] ، وإن لها أغراضا أتى على ذكرها أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) ، اذ قال: ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض ، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة اليه بقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه))[٢].

وهي بحسب هذه الأغراض تؤدي - أي الإستعارة - وظائف داخل السياق ، وسواء أكانت هذه الوظائف فكرية أم دلالية أم جمالية فإنها تحقق الغاية من استعمالها ، لأنها تتحرك ضمن مستوى آخر من اللغة ، تنتقل الألفاظ فيه الى مرتبة تكون متعاونة متحدة اذا جاز هذا الوصف .

ومن هذه الوظائف التجسيد ، ويقصد به التعبير عن الجماد والمعاني الذهنية والعقلية بصورة حسّية ، فهو تمليك صفات الجسد لمن لا يملكها ، وقبل أن أتناول صور التجسيد في القرآن الكريم ، لابدّ من العروج على ما ذكره البلاغيون والنقاد عن التجسيد.

قدمت كتب البلاغة والنقد القديمة التجسيد كونه وظيفة من وظائف الإستعارة ولم تتعامل معه على أنّه مصطلح بلاغي أو نقدي مستقل، وهي قد قدمته مقترنا بالعلائق الإنسانية المعروفة : الهيئة ، والحس ، والحركة ، من مثل استنطاق الربع ، والطلل ، وجعل الشيء شخصاً ، والتعالي بالعرض ، وفعل ما لا يعقل ، وأفعال ذوات النفس ، وهي تجري جميعها مجرى التجسيد الإستعاري الذي يهدف الى خلق بيان بلاغي يقوم على مفارقة منطق العقل لكي يؤسس (يوتوبيا) المخيلة المبدعة عن طريق الإستخدام الشعري للغة ، وهذا هو قمة الإنحياز الى التغاير، والتجاوز ، واقتناص ظلال المعاني ، وما وراء اللغة من أفكار[٣].

ويعدّ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) من النقاد الأوائل الذين أشاروا الى معنى التجسيد دون ذكره

بلفظه في كتابه البيان والتبيين ، إذ رأى أنّ ((الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشير بغير اليد ، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت، وناطق ، وجامد ، ونامٍ ، ومقيم ، وظاعن ، وزائد ، وناقص ، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة)) [٤] .

يكشف الجاحظ في كلامه عن تبادل ميتافيزيقي للدلالة بين الموات الجامد الصامت وبين الحيوان الناطق ، فتشعر أن الحياة قد دبّت في الجماد وتجسّد بوصفه إنســاناً عاقلاً ، وهذا المعنى هو نفسه معنى التجسيد .

وقد أفرد ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) باباً لدراسة المجاز وردّ على منكريه في القرآن الكريم ، ونزّه القرآن من الكذب ، والله سبحانه وتعالى من التجسيم ، فقال : ((وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلّها على سوء نظرهم ، وقلة إفهامهم ، ولو كان المجاز كذبا وكلّ فعل ينسب الى الحيوان باطلا ، كان أكثر كلامنا فاسدا ، لأنّا نقول : (بنت البقل) و (طالت الشجرة) و (أينعت الثمرة) و (أقام الجبل) و (رخص السعر)))[٥] .

ألمح ابن قتيبة الى دقّة الإسلوب القرآني وبأنّه يتضمن المجاز والإستعارة ، وان الله عزّ وجلّ لم يخرج عن إطار لغة العرب وأساليبهم وتعدد طرقهم في التعبير ((وما في نطق جهنم ، ونطق السماء والأرض من العجب ، والله تبارك وتعالى ينطق الجلود ، والأيدي والأرجل ، ويسخّر الجبال والأرض والطير بالتسبيح))[٦].

من الواضح أن ابن قتيبة قد أتى على بيان التجسيد ، وكان دافعه هو الرد على من أنكر وجود المجاز في القرآن ، وبين أنّ لغة التعبير القرآني تجمع بين قوة الدلالة وجمال القول ، كما في إنطاق الجلود يوم القيامة ، فإنّ في هذه الجملة القرآنية تكثيفا دلاليّا مؤثرا ، وجمال العبارة فيها لا يقل عن ذلك أثرا .

ومن النقاد الذين لفت نظرهم التجسيد، ورأى أنه من أجلّ الإستعارات وأحسنها، الصولي (ت : ٣٣٥ هـ) ، وقد ردّ على من عاب أبا تمام على استعارته ، ورأى أنه مبدع بتجسيد الجماد وغير الناطق وخصوصا استعارته المعروفة :

لا تسقني ماء الملام فأنني

صبّ قد استعذبت ماء بكائي

وقد رأى أنّ أبا تمام لم يخرج عن الإستعمال القرآني والعربي للإستعارة ، وهناك صيغ قريبة مما استعمله منها : ماء الصبابة ، ماء الهوى ، ماء الوجه ، وقاس أيضا على الإستعمال القرآني في قوله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [٧] ليقدم دليلا واضحا على صحة ما استعمله أبو تمام من الإستعارة التي جسّدت المعاني العقلية[٨] .

ووقف الآمدي (ت : ٣٧٠ هـ) أيضا عند أحد أبيات أبي تمام لمّا لحظ فيه من استعارة تجسيدية :

تحمّلت ما لو حمّل الدهر شطره

لفكّر دهرا أيّ عبأيه أثقل

فصورة الإستعارة في البيت مبنيّة على

التجسيد ، وانتبه الى ذلك الآمدي اذ قال : ((جعل للدهر عقلا ، وجعله مفكرا في أي عبأيه أثقل))[٩].

وأشار الشريف الرضي إلى مفهوم الاستعارة التجسيدية وأنسنة غير العاقل ووصفه بصفات العاقل في حديثه عن قوله تعالى :إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ[١٠] ، قال : ((هذه استعارة لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل فكان الوجه أن يقال ساجدة ، ولكنها لمّا أطلق عليها فعل من يعقل جاز أن توصف بصفة من يعقل ، لأن السجود من فعل العقلاء))[١١]. وهذا كشف متقدم في محاولة فهم النص القرآني ، ورصد ملامحه الإسلوبية ، ومنها تجسيد الجماد ووصفه بصفات من يعقل .

ومن البلاغيين الذين أشار بصورة واضحة الى التجسيد وصوره عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) . وعدّه من المعاني اللطيفة للاستعارة بقوله : ((وإن شئت أرتك ـ أي الإستعارة ـ المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون))[١٢]. وفي هذا الكلام بيان لمعنى التجسيد المترشح من الإستعارة ، فكأن المعاني اللطيفة أصبح لها جسم وتراه العيون .

وفي وقفة أخرى يبيّن الجرجاني التجسيد ، ويذكر خصائصه وأثره في الكلام ، كما جاء في قوله : ((يريك للمعاني المتمثّلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد))[١٣].

إن تعليقات الجرجاني تزيد القناعة بأهميتها ، وبأهمية الكشوف النقدية التي قدّمها ، وهو يحتكم الى النصوص الشعرية التي تجري الظاهرة التجسيدية في مفاصلها ، فهي نصوص تتوازى وعمق هذه الظاهرة[١٤].

ثم بعد ذلك أشار النقاد والبلاغيون في كتبهم الى ظاهرة التجسيد الإستعاري ، منهم : ابن سينا[١٥]: (ت : ٤٢٨ هـ) ، والثعالبي[١٦]: (ت : ٤٢٩ هـ) ، وابن الأثير[١٧] (ت : ٦٣٧ هـ) ، والزلمكاني [١٨]: (ت : ٦٥١ هـ) ، وابن جني[١٩]: (ت : ٣٩٢ هـ) ، والقاضي الجرجاني[٢٠]: (ت : ٣٩٢ هـ) . وأكتفيت بالإشارة إلى هذه المواضع طلبا للاختصار ، ولأن البحث معني أكثر بالكشف عن تطبيقات ظاهرة التجسيد في القرآن الكريم . وهذا لا يمنع من الإشارة بصورة موجزة الى أهم من تناول هذه الظاهرة من البلاغيين المعاصرين .

يعدّ الدكتور فاضل التميمي من البلاغيين الذين تناولوا التجسيد وحاول التأسيس لمفهومه ، وقد عرض ذلك في كتابه (قراءات بلاغية)، وقد أصّل لهذه الوظيفة البلاغية، كما نجد ذلك في قوله : ((إنّ التجسيد وعي جمالي وفكري يقود الصورة الأدبية الى فريد من الإبداع اللغوي الجمالي في أطر أسلوبية مغايرة موسومة بالإدهاش ، والطرافة وبثّ الحياة في الجماد ، والمعاني والحيوات غير العاقلة))[٢١] ، فهو قد أدرك أنّ للصورة الأدبية رافدين هما : الوعي الجمالي والوعي الفكري ، يحدّهما إطار أسلوبي مغاير ومدهش فيبث في الحياة الجماد ،

وهذا يتمّ بالتجسيد ، فمن خلاله نستطيع أنسنة كل ما هو غير عاقل ، ويكون لدلالته الفنية أثر واضح في الربط بين الإنسان وبين باقي الموجودات ، فالتجسيد ((في دلالته الفنية إلباس الأفكار المجردة والجمادات والطبيعة جسد الإنسان لغرض التعبير الفني بالصورة الحسيّة عن موضوعاتها))[٢٢].

وتعرض الدكتور مسلم حسب حسين في كتابه (جماليات النص الأدبي) الى التجسيد في معرض حديثه عن بنية الإستعارة ، وقد رأى أنه يتسم ((بنزعة إيحائية ، أي إضفاء طابع الحياة على الأشياء ، أو أنسنة الكائنات الحية غير الإنسانية))[٢٣]، وأيضا يرى أنّ في هذه الوظيفة ((النزوع الى أنسنة الطبيعة ..... وإضفاء الإرادة على ما ليس له إرادة))[٢٤].

وهذه الإشارات فيها بيان لأهمية التجسيد في السياق الأدبي وجماليّته ، فهو إطار أسلوبي يؤدي وظيفته الدلالية والجمالية من خلال تجسيد المدلول حتى كأنك تراه بعينيك . فهو يكشف عن ذات المعنى ويرسم حدوده بدقة حتى يكون قريبا من الإدراك والفهم متجاوزا الحدود بين الحياة والجماد والناطق والصامت والعاقل وغير العاقل .

والقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وكان في مرتبة من الفصاحة والبلاغة عجز عنها البشر ـ على الرغم من أنه لم يخرج على أساليبهم المعروفة ـ لمحنا في استعماله عزّ وجلّ التجسيد قيمة فكريّة وأسلوبية وجمالية. وكان أثر ذلك واضحا في بيان موعظة أو نهي عن منكر أو أمر بمعروف أو بيان حكم لطيف ، وغيرها من المعاني الشريفة التي يراد منها سعادة وكمال الإنسان .

المبحث الأول

تجسيد الجماد في القرآن الكريم :

يقصد بتجسيد الجماد، إضفاء صفة الحياة أو إحدى حواس الإنسان ونسبتها للجماد ، ويدخل فيه أيضا تعقيل ما لا يعقل من الجمادات ، فخشوع الحجارة وقشعريرة الجلد وغيرها يدخل في هذا الباب .

واستعمل القرآن هذا الإسلوب في مواضع كثيرة ، وهو من الأدوات التعبيرية المهمة التي تضفي على الكلام جمالا ، ويكون المعنى أقرب الى الوجدان وأقوى أثرا في نفس السامع .

ولا يخفى على أحد جمال القول الإلهي وسمو وشرف معناه ، ولا يمكن تعليل ذلك بدراسة أحد جوانبه الإسلوبية ، ومن ثم نقول إن هذه السمة الإسلوبية هي من وشّحت هذا القول بالجمال ، وهي مكّنته من التأثير في النفوس ، إنما الصحيح إنّ إسلوب القرآن الكريم متفرّد بالاتكاء على كل طاقات اللغة ومستوفي كل أدوات التعبير السامية . فنجد في آية واحدة أساليب عدّة قد اشتركت في صياغتها ، إلا إنّ منهج البحث يقتضي دراسة سمة إسلوبية والتأكيد عليها ، وبيان أهميتها ووظيفتها في السياق القرآني ، لكي تكون الدراسة أكثر فائدة وأدقّ في الكشف عن تفاصيل الإسلوب القرآني .

وفي هذا الصدد فإنّ التجسيد من السمات الإسلوبية المميّزة في الخطاب القرآني، فهو وظيفة من وظائف الإستعارة ، وأيضا يؤدي وظائف معنوية

مختلفة يدركها قارئ النص القرآني ، ففي قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [٢٥]. فالخطاب في الآية الكريمة موجّهٌ من الله عزّ وجلّ الى الأرض والسماء كأنهما عاقلتان ، ثم إدراك الخطاب الإلهي من قبلهما ويتمثل ذلك في جوابهما (أتينا طائعين) ، وهذا التعبير في تعقيل السماء والأرض وإنطاقهما يؤدي وظيفة دلالية تمسّ جوهر العقيدة بهيمنة قدرة الله عزّ وجلّ وحتمية طاعة المخلوقات له ، وأيضا تدلّ على ضرورة الخضوع والاستسلام له عزّ وجلّ .

لقد جسّد الله سبحانه وتعالى السماء والأرض كأنهما شخصان واقفان أمام جلاله وبهائه ، وهو يكلمهما وهما يجيبانه ، كل ذلك لبيان قدرته وهيمنته وإحاطته بجميع مخلوقاته عزّ وجلّ ، وأن الجميع خاضع له ومؤتمرٌ بأمره .

ونلحظ تجسيد الجماد بوصف الجدار بالإرادة التي هي من صفات العاقل في قوله تعالى : فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ[٢٦]، فمتدبّرُ الإسلوب القرآني يقف مبهورا أمام قوله عزّ وجلّ (يُريد أن ينقضّ) ، وكأن الجدار ذو إرادة وهو يريد أن ينقض لشدّة وهنه وضعفه ، ومعروف إن الإرادة هي صفة من صفات ذات الإنسان العاقل ولا يتصف بها الجماد ، إلا إنّ هذا التعبير يقرّب لك صورة وهن هذا الجدار ، وانه سوف يسقط في أيّ لحظة ، لتكون الصورة واضحة وقريبة من مخيلة القارئ مع جمالها وقوّة تأثيرها .

وقد تنبّه الى هذا المعنى الطبري (ت:٣١٠هـ) في تفسيره ، قال : ((واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله عزّ وجلّ (يُريد أن ينقضّ) فقال بعض أهل البصرة : ليس للحائط إرادة ولا للموات ، ولكنه اذا كان في هذا الحال من رثّة فهو إرادته، وهو كقول العرب في غيره :

يريد الرمحُ صدرَ أبي براءٍ

ويرغب عن دماء بني عقيل[٢٧]

إنما خاطب جلّ ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه ، وقد عقلوا ما عنى به))[٢٨]

يؤكد الطبري أن هذا الإسلوب ـ أي تجسيد الجماد وتعقيله ـ معروف عند العرب ومستعمل في لغتهم وفي أشعارهم .

وفي مثال قرآني آخر ، نجد أن التجسيد أفاد بيان قسوة الإنسان وجفائه ، كما في قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [٢٩]، فالجبل الذي مادته من الصخر يخشع ويتصدّع عند سماعه القرآن ، كأنّه يعقل ويشعر ويدرك، وأفاد هذا التجسيد ((وصف الكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشّع))[٣٠].

يُريك التجسيد في الاستعمال القرآني السابق إشاعة الحياة في الجبل ، وفي هذا دلالة على التوسّع في اللغة ، والتفنّن في التصوير حتى كأنّ الجبل يخشع ويتفطّر خوفاً وخشية من الله ، لسماعه القرآن وإشفاقه من حمل الأمانة .

ونلحظ في قوله تعالى : وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا [٣١]، التجسيد وهب الحياة للجماد ومنح التصرف للموات في الآية الكريمة حتى عدّت الأرض ((آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون واكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزينة))[٣٢]. وليس هناك أبلغ هذا التجسيد الاستعاري ولا أجمل من هذا القول، فالأرض كأنها فتاة وقد أخذت زخرفها بإرادتها وتزينت بالورود . وهذا التعبير هو أقصر الطرق لتأدية المعنى وأقرب للخاطر والنفوس ، ويكشف لنا أنّ إرادة الأرض وقوتها وحركتها ، كل ذلك متأتّ من إرادة الإنسان الساكن عليها ، فهو الذي يزخرفها ويزينها ، حتى يصل إلى مرحلة يظن أنّه قادر عليها .

ويتناهى الأسلوب القرآني في استعمال بلاغة التجسيد ليقيم العلاقات بين الأشياء الجامدة غير العاقلة وبين صفات الإنسان حتى لتشعر أنّ كل شيء يتحرك ويسمع ويرى ويعقل ، وهو مما يخدم المعنى القرآني ويبرزه معنىً بليغا ، كأنّه يقرع النفوس ويأخذ بالألباب ، ففي قوله تعالى : وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ [٣٣]، استعار عزّ وجلّ صفة العقيم للريح ، وهي صفة للمرأة التي لا تلد ، وهي في غاية الإيجاز فانّها نبّهت على أن هذه الريحَ ريحُ عقاب ، وأنّها تُنزِل بالكافرين أشدّ العذاب ، وقد كشف الزركشي عن سبب وصف الريح بالعقيم ، قال : ((العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، ولهذا جعل صفة للريح لا اسم ، والحق ان المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحبل ، والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر))[٣٤]. فجسّدت الريح كأنها إمرأة عقيمة لا يرجى منها فائدة .

ومن صور التجسيد الأخرى في القرآن الكريم مما جاء في قوله تعالى : تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ[٣٥]، وهو تجسيد للخشية والخوف من الله عزّ وجلّ ، فالجلود تقشعر وتلين لذكر الله كأنها هي قلب الإنسان وروحه الشفافة ، وقد رصد التجسيد في هذه الآية صافي محمود عبد الرحيم، قال : ((في هذا المقطع من الآية نكت بلاغية بديعة ، وأهمها التجسيد الحي، حيث أراد سبحانه أن يجسّد فرط خشيتهم ، فعرض صورةً في الجلد اليابس ، وصورةً من الشعر الواقف ، ألا نقول : وقف شعر رأسه من الخوف ، وفي ذكر الجلود وحدها أولا ، وقرنها بالقلوب ثانيا ، لأن الخشية التي محلّها القلوب ، مستلزمة لذكر القلوب))[٣٦].

فالقرآن الكريم يقدّم المعنى كأنه شخص واقف أمامك ، ويحيطك ببراهينه فتعجز عن ادراك كنهه ، كأنّ الأشياء والمعاني صورةٌ واحدة أحدهما يجري مجرى الآخر.

ومن أمثلة التجسيد الاستعاري الأخرى في القرآن الكريم، قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [٣٧]، وقد تنبّه الى هذه الاستعارة الشريف الرضي ، اذ قال : ((الريح ليس بها قوة الاشتداد والجري ، وهي مما يوصف بهما الجسم المتحرك بالإرادة ، ولكن استعير

هذا اللفظ لحركتها وهبوبها تسخيرا ، ووجه الشبه الاستعاري فيه حسّي ، وهو الاشتداد الى حسّي وهو الريح))[٣٨]. فالريح في الآية الكريمة جسّدت كأنّها جسمٌ متحركٌ قادرٌ بالإرادة ، وهذا الاسلوب أبلغ في التحذير وأقرب الى تصوير الواقع ، فان الريح تشتدّ من ذاتها لتبعثر أعمال الذين كفروا .

وبلحاظ الأمثلة المتقدمة التي كشفت عن مدى بلاغة القرآن الكريم في استعمال التجسيد بوصفه أداةً من أدوات التعبير القرآني وفضاءً أسلوبيّاً واسعاً ، يتأكّد أنّ أسلوب القرآن الكريم في غاية الإتقان والجمال صياغةً ومعنىً، يتّحد فيه الدال مع المدلول ليشّع المعنى المراد .

وتجدر الإشارة إلى أنّ التجسيد سمةٌ أسلوبيّة من سمات الخطاب القرآني، وهو من وظائف الإستعارة التي اعتمدها القرآن الكريم لإيصال المعنى كما جرت العرب في استعمالها في شعرها وخطاباتها المختلفة، فتجسيد المادة بإنطاقها أو إلباسها صفات الإنسان ، من الأساليب البليغة والفصيحة والجميلة التي تثير المتلقي وتدفعه إلى التأمّل العميق بقيمة الأشياء من حوله، ولا ريب أن التعبير القرآني متضمّنٌ أدوات البلاغة المهمة ، ومتفرّد باستعمالها .

المبحث الثاني

تجسيد المعاني العقليّة في القرآن الكريم

ويقصد به تصوير المعاني في قوالب تجعلها مجسّدة في ذهن السامع ، وكأنها ليست معاني فحسب ، وإنّما شخوص ماثلة أو مناظر محدّدة مرئية ، ولقد بلغ القرآن الكريم مستوى الكمال في تجسيد المعنويات ، وفي هذه الآية دليل على ذلك ، قال تعالى : أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ [٣٩]، فالإيمان والتقوى مفهومان معنويان ، والقرآن يجسدهما ، اذ شبههما بالبنيان ، ويجسّد الضلال كذلك بكلمة (بنيان) ، ثم يعقد مقارنة بين البناءين . الإيمان بنيانٌ أساسُه التقوى ورضوانُ الله ، فنتصوره بناءً متيناً راسخاً موصولاً بعناية الله ، أمّا الكافرون ، فبنيانهم على حافّةِ هاويةٍ منهارةٍ . وهنا يبلغ التصوير الفني الجمالي منتهاه في الإبداع والتخييل والتجسيد ، فبنيان الكفر وهو على حافة ، فهو يوشك أن يتهاوى ، والحافة على جانب هاويةٍ سحيقة ، فالبناء يحمل الخطر والموت ، واذا بالبناء ينهار بصاحبه في نار جهنم .

فقد لمسنا بالعين والحسّ والخيال صورة الكفر الفاسدة المتداعية التي لا تستند الى دعائم ، وهنا يبرز فن التعبير والتصوير ، بتجسيده المعاني ضمن إطار من الصور والمرئيات والمحسوسات بصورة متكاملة متناهية ، وذلك إعجاز كلام الله عزّ وجلّ وبلوغه المنتهى والكمال[٤٠].

ومن الأمثلة القرآنية الأخرى التي يجسّم فيها الله سبحانه وتعالى المعنويات حتى تكون أقرب الى الحسّ والوجدان وتراها كأنّ لها هيئةً وصورةً ، قوله تعالى: لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [٤١]، نجد أن الله عزّ وجلّ يجسّم الخبيث وهو معنى عقلي ، كأنّه شيءٌ حسّي ثم يقذفه في نار

جهنم ، وهذا التعبير أوقع في النفوس وأكثر إيلاماً لها ، اذ ترى الخبائث بعضها فوق بعض مجسّدة ويراها الجميع، وقد أوضح سيد قطب أهمية التجسيد المستفاد من الآية الكريمة ، قال : ((التعبير القرآني يجسّم الخبيث حتى لكأنّه جرم ذو حجم وكأنّما هو كومة من الأقذار ، يقذف بها في النار ، دون اهتمام ولا اعتبار ، وهذا التجسيم يمنح المدلول وقعا أعمق في الحسّ ، وتلك طريقة القرآن الكريم في التعبير والتأثير))[٤٢]، وهو تعبير بليغٌ يجسّد الخبيث بصورة تشمئز منها القلوب وينفر منها أصحاب الفطرة السليمة ، فيكون مدعاة لتجنّبه ودعوة للإقبال على الأعمال الصالحة تهذيباً للنفوس وإصلاحاً لها .

إنّ تجسيد المعاني العقليّة في القرآن الكريم والأفكار المُجرّدة كأنّها هيئةٌ أو صورةٌ من أجل أن تكون قريبة من الإدراك، كما في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [٤٣]، إنها تجسّد قدرة الله التي ليس لها نهاية بجعل الخيال يسرح بعيداً دون أن يصل الى تمثّلها . وتساءل الشيخ الشيرازي أمام عظمة هذه الآية الكريمة ، إذ قال : ((هل يوجد تجسيد وتصوير للانهاية أروع وأبلغ من هذا التجسيد ؟ إن هذا العدد حيٌّ وناطقٌ الى الحدّ الذي يصطحب معه أمواج فكر الإنسان الى الآفاق اللامحدودة ، ويغرقها في الحيرة والهيبة والجلال))[٤٤].

ولا يخفى فائدة هذا التجسيد ، إذ إنّه يخرج الإمكانات الإلهية من حيز التصوّر والتقدير ، وإنّ قدرته عزّ وجلّ غير محدودة بحد ولا يمكن لعقل الإنسان أن يحيط بها ، فأمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وإن القرآن الكريم المنزّل على سيد الكائنات محمد صلّى الله عليه وآله ، هو بقدر حاجة الإنسان ليسعد إذا عمل بما فيه في الدنيا والآخرة .

ومن فوائد التجسيد البلاغية الذي يظهر المعنى كأنّه هيئة أو صورة ليكون قريبا مرئيا من إدراك وبصر القارئ ما جاء في قوله تعالى : فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[٤٥]، جعل الله سبحانه وتعالى الجوع والخوف لباساً ، وهذا تجسيد وتشبيه وتصوير لهما ، وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع[٤٦].

ويأخذ التجسيد في القرآن الكريم صوراً عدّة ، ويفيد أغراضا بلاغية متنوعة ، ومن أروع أمثلته قوله عزّ وجلّ : وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ [٤٧]، نحسّ بالغضب هنا وكأنه إنسان يدفع موسى عليه السلام ويحثّه على الإنفعال والثورة ثم سكت وكفّ عن دفع موسى عليه السلام وتحريضه[٤٨]. وأفاد هذا التجسيد ذم الغضب من جهة أخرى لأنّه يأخذ بالإنسان ويغلبه على أمره . ونجد أنّ غضب موسى عليه السلام كان لله بعد أن وجد قومه يعبدون العجل من دون الله ، وقد تملكه الغضب حتى سكت ثم أخذ الألواح .

وفي مثال قرآني آخر ، يُجسّد الله عزّ وجلّ الوزن أو الميزان للدلالة على أعمال الإنسان ، كما جاء في قوله تعالى : وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ [٤٩]. في النص المتقدم جملة من الصور الفنية ، فاستعمال ظاهرة (الميزان) أو (الوزن) في بلورة الحقائق المتصلة بنتائج الإمتحان العبادي ، واعتماد عنصر الصورة التمثيلية في هذا الميدان ، حيث قرر بأنه (من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم)، وهذه الحقيقة المادية لو نُقلت من خلال لغة الفن الى أعمال الإنسان من حيث المهمة العبادية التي أوكلتها السماء الينا للحظنا أن الطاعة أو المعصية تجسّد الثمن الذي يدفعه الإنسان ويتسلم بقدرهِ السلعة ، وهي- أي السلعة هنا- تجسّد المصـير الآخروي الذي ينتظره[٥٠].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يجسّد الله عزّ وجلّ الرحمة الإلهية كأنها جوهر لأجل تفخيمها وتعظيمها ، كما جاء في قوله تعالى : وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[٥١]، المعروف أن الرحمة من المعنويات لكن الدخول فيها كأنّها جوهر ممّا يرفع من مقامها ويُرغّب المؤمنين بالفوز بها ، وقد تعرض ابن جنّي الى هذه المعاني، حيث قال : ((أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر ، وهذا تعالٍ بالعرض ، وتفخيم منه ، إذ صُيِّر إلى حيِّز ما يشاهد ويلمس ويعاين ، ألا ترى الى قول بعضهم في الترغيب في الجميل : لو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا .... وإنما يرغب فيه بأن ينبّه عليه ، ويعظم من قدره ، بأن يصوره في النفوس على أشرف أحواله , وأنْوَه صفاته . وذلك بأن يتخيّل شخصاً متجسّماً لا عرضاً متوهماً))[٥٢].

ومن المواضع البليغة للتجسيد في القرآن الكريم ، هو وصف الله عزّ وجلّ عذابه بالغليظ ، في قوله تعالى :وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ[٥٣]، فلثقل العذاب وشدّته وهو أمر معنوي شعوري ، وصفه الله سبحانه وتعالى بالغليظ ، وهو مما توصف به الأجسام الثقيلة الخشنة . وهذا الوصف يقرّب من الإدراك شدّة عذاب الله عزّ وجلّ وبأسه الشديد، وقد ألمح الطوسي في تفسيره علاقة هذا الوصف ، إذ قال : ((والغليظ عظيم الجثة والكثيفة ، وإنما وصف به العذاب ، لأنه بمنزلته في الثقل على النفس وطول المكث))[٥٤].

تكشف لنا الأمثلة المتقدّمة ، والتي كانت شاهدة على استعمال القرآن الكريم لهذا النوع من الاستعارة ، الذي يجسّد المعنى كأنّه شاخصٌ أمامك ، أنّ القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب تحرّى أبلغ الأساليب وأدقّها في إيصال المعنى ، وقد راعى الاسلوب القرآني قوانين اللغة وأنظمة البلاغة، فجاء معجزاً في جوانبه جميعها .

وإنّ التجسيد الذي هو نمط من أنماط الاستعارة يتّسم بنزعةٍ إيحائية ، أي إضفاء طابع الحياة على الأشياء ، أو أنسنة الكائنات الحية غير الإنسانية[٥٥]، وأيضا يراد به تمثيل المدلول[٥٦]، وجعل له صورةً وهيئةً كأنّك تراه ماثلاً أمام العين .

فالتجسيد من خلال وظائفه المتعدّدة على

مستوى الاسلوب يعدّ من الملامح الاسلوبية المميّزة ,لا يخفى جماله ولا يقاس تأثيره، وأيضا له وظائف على مستوى المعنى من خلال إقامة العلاقات بين الأشياء وبين المدلول ليؤدّي أغراضاً بلاغيةً يصعب التعبير عنها أو تصويرها بغير هذا الاسلوب .

إنّ إنتاج المعنى يكون بالإعتماد على كل امكانات اللغة وطاقاتها ، وهذا من شأن القرآن الكريم الذي تفرّد بوصفه نصاً يرقى على كلّ نصٍّ منتجٍ في اللغة العربية ، لأنّه قول الله عزّ وجلّ ، فكمُل بكماله وأصبح مثالاً لكل جمالٍ وإبداع .

الخاتمة

أهمّ نتائج البحث التي توصّل إليها من خلال دراسة بلاغة التجسيد في القرآن الكريم.

١- إن التجسيد من الأساليب البلاغية المهمة في التعبير القرآني ، وقد استعمله القرآن الكريم عليه كثيراً في إيصال المعاني وتقريبها من أذهان الناس .

٢- إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وحاكى أساليبهم البليغة ، وتجاوزها بلاغةً ونظماً وجمالاً ، وقد اتضح ذلك من خلال بيان نماذج التجسيد .

٣- إن التجسيد من النظم الاسلوبية المهمة ، فمن خلاله ينطق الجماد ويبصر ويتحرك ، وفي هذا دلالة على تعالق الأشياء وانصهارها في الاسلوب القرآني .

٤- لا يقتصر التجسيد على بثّ الحياة في الجماد وتعقيل ما لا يعقل ، وإنما تجاوز ذلك الى المعاني الذهنية والعقلية فيجعل لها صورةً وهيئةً لتكون محسوسةً من قبل السامع .

٥- إن للتجسيد أهمية بلاغية تتجاوز الشكل والأطر الجمالية إلى جمالية المعنى ، فمن خلاله يظهر المعنى بأجلى صورة وأوضح ما يراد منه .

٦- يعدّ التجسيد من طرق الإيجاز المهمة ، إذ إنه يقدّم المعنى المراد بأقل الألفاظ وأقصر الطرق . بل إنه يقدّم المعاني الكثيرة بلفظ يسير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

يتلقى اللغة عن طريق الشعر تغوص ألفاظها في قلبه مع ما يُصاحبها من مشاعر وأحاسيس، فتستقرُّ معانيها في ذهنه، ومحبّتُها في فؤاده.

يُضاف إلى ذلك أن اللغة التي صِيغ منها الشعر هي على درجة كبيرة من السهولة والرِّقة وسلاسة الأسلوب وتدفُّق الموسيقا، وهي في الغالب تُمثِّل اللغةَ الحيّة، التي استوعَبَت تاريخ العرب وحضارتَهم، وحَملت خُلاصةَ عقولهم وأفكارهم، وتجسَّدت فيها روائعُ الحكمة والعِبَر، ومعاني البطولة والقِيَم، ونبضات القلوب التي اعتصرتها المِحَن، ومشاعر الأفئدة التي صاغها الحب والحنين والذكريات أنغامًا خالدة تستحقّ الحياة.

الهوامش

١. البيان والتبيين : الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،ط٢ ،١٩٦٠م :١ / ١٥٣ .

٢. كتاب الصناعتين : : ابو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) ، تحقيق : على محمد البجاوي و محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م :٢٦٨ .

٣. ينظر : قراءات بلاغية : د. فاضل التميمي، دار الضياء للطباعة، العراق ، النجف ، ط١ ،٢٠٠٨م : ١١٥- ١١٦ .

٤. البيان والتبيين : ١/ ٧٦ .

٥. تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) ، شرح وتحقيق :السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د٠ ت)،(د٠ ط): ١٣٢ .

٦. المصدر نفسه : ٨٢ .

٧. الشورى / ٤٠ .

٨. ينظر : أخبار أبي تمام ، الصولي (ت:٣٣٥ هـ) ، تحقيق : خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزّام ونظير الإسلام الهندي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٣٧م : ٣٣ ــ ٣٨ .

٩. الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي (ت:٣٧٠هـ) ، تحقيق وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت) (د.ط): ٢٤٠ .

١٠. يوسف / ٤ .

١١. تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ) ،حققه وقدم له : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،١٩٥٥م: ١٦٩ .

١٢. أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر دار المدني بجدة ، ط١ ،١٩٩١م: ٤٣ .

١٣. المصدر نفسه / ١٣٢ .

١٤. ينظر : قرءآت بلاغية : ١٢٨ .

١٥. الخصائص : ابن جنّي (ت:٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، طبعة دار الشؤون الثقلفية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠م: ٢/ ٤٤٥ .

١٦. الوساطة: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢هـ) ، تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية ، بيروت: ٣٤ - ٣٩.

١٧. الخطابة : ابن سينا (ت:٤٢٨هـ) ، تحقيق: محمد سليم سالم ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة ، ١٩٤٥م: ٢٣٠

١٨. ينظر : ثمار القلوب : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : الثعالبي(ت:٤٢٩هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر ، القاهرة ،١٩٦٥م : ٣٢٣ . وينظر : يتيمة الدهر : الثعالبي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط٢ : ١ / ١٧٨ .

١٩. ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والناثر : ابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٩م: ١٧٨ .

٢٠. ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ابن الزملكاني (ت:٦٥١هـ)، تحقيق : د.أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م : ٨٣ . وينظر: التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن : ابن الزملكاني (ت:٦٥١هـ) ، تحقيق : د.أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ،١٩٦٢م: ١٧٨ .

٢١. قراءات بلاغية : ١٣٦ .

٢٢. المصدر نفسه : ١٣٧ .

٢٣. جماليات النص الأدبي: دراسات في البنية والدلالة: د. مسلم حسب حسين، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٧م: ٨٦.

٢٤. المصدر نفسه : ٨٧ .

٢٥. فصّلت / ١١ .

٢٦. الكهف / ٧٧ .

٢٧. البيت من شواهد ابي عبيدة في (مجاز القرآن) : ١ / ٤١٠ .

٢٨. جامع البيان في تاويل القرآن : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩م : ١٨ / ٧٧ .

٢٩. الحشر /٢١ .

٣٠. تفسير مجمع البيان: الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٥م-١٤١٥ه: ٣٩٨/٩.

٣١. يونس / ٢٤ .

٣٢. مدارك التنزيل : ابو البركات عبد الله احمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان الشعّار ، دار النفائس للطباعة والنشر، ط١ ،١٩٩٦م : ٢ / ١٢ .

٣٣. الذاريات / ٤١ .

٣٤. البرهان : الزركشي (ت:٧٩٤هـ) ، قدّم له وعلق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م : ٦٩٨ .

٣٥. الزمر / ٢٣ .

٣٦. الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه : تصنيف، محمود صافي ، دار الرشيد، بيروت – لبنان، مؤسسة الإيمان، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٥م- ١٤١٦ه: ٢٣ / ١٧٣ .

٣٧. ابراهيم / ١٨ .

٣٨. تلخيص البيان : ١٨٤ .

٣٩. التوبة / ١٠٩ .

٤٠. ينظر : الجدول في اعراب القرآن : ١١ / ٣٨ .

٤١. الأنفال / ٣٧ .

٤٢. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق- بيروت، ط١، ٢٠٠٣م- ١٤٢٣ه: ٣ / ٣٩٩ .

٤٣. لقمان / ٢٧ .

٤٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل : العلامة الفقيه المفسّر آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زادة ، قم ، ط١ ، ١٤٢٧هـ: ١٣ / ٦٤ .

٤٥. النحل / ١١٢ .

٤٦. ينظر : مفردات غريب القرآن : الراغب الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ) ، تحقيق :صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ،ط: ٤٤٦ .

٤٧. الأعراف / ١٥٤ .

٤٨. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن : جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة، الكتاب مرقم آليا موافق للمطبوع : ١ / ٣٩٤ .

٤٩. الأعراف / ٨ ، ٩ .

٥٠. ينظر: دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت- لبنان، ١٩٨٩م- ١٤٠٩ه: ٧/١٢.

٥١. الأنبياء / ٧٥ .

٥٢. الخصائص : ٢ ابن جنّي (ت:٣٩٢هـ) ،تحقيق : محمد علي النجار ، طبعة دار الشؤون الثقلفية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠م : ٤٤٣- ٤٤٤ .

٥٣. هود / ٥٨ .

٥٤. التبيان في تفسير القرآن : : للشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي: ٦ / ١٠ .

٥٥. جماليات النص الأدبي : ٨٦ .

٥٦. الفن الرمزي : هيغل ، ترجمة ، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط١٩٧٩،١م: ٦٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أخبار أبي تمام : الصولي (ت:٣٣٥ هـ) ، تحقيق : خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزّام ونظير الإسلام الهندي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٣٧م .

٢- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر دار المدني بجدة ، ط١ ،١٩٩١م.

٣- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم : جمع واعداد : علي بن نايف الشحود ، الكتاب مرقم آليا موافق للمطبوع .

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل : العلامة الفقيه المفسّر آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زادة ، قم ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

٥- البرهان في علوم القرآن : الزركشي (ت:٧٩٤هـ) ، قدّم له وعلق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م.

٦- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ابن الزملكاني (ت:٦٥١هـ) ،تحقيق : د.أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ،مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م.

٧- البيان والتبيين ، الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،ط٢ ،١٩٦٠م .

٨- تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) ، شرح وتحقيق :السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د٠ ت)،(د٠ ط) .

٩- التبيان في تفسير القرآن : للشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي .

١٠- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ابن الزملكاني (ت:٦٥١هـ) ،تحقيق : د.أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ،مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ،١٩٦٢م.

١١- تفسير مجمع البيان، الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥م- ١٤١٥ه .

١٢- تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ) ،حققه وقدم له : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،١٩٥٥م .

١٣- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : الثعالبي (ت:٤٢٩هـ) ،تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر ، القاهرة ،١٩٦٥م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن :ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩م.

١٥- الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه : تصنيف، محمود صافي ، دار الرشيد، بيروت – لبنان، مؤسسة الإيمان، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٥م- ١٤١٦ه.

١٦- جماليات النص الأدبي ،دراسات في البنية والدلالة: د . مسلم حسب حسين ، دار السياب ، لندن ،ط١ ، ٢٠٠٧ م.

١٧- الخصائص : ابن جنّي (ت:٣٩٢هـ) ،تحقيق

: محمد علي النجار ، طبعة دار الشؤون الثقلفية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠م .
١٨- الخطابة : ابن سينا (ت:٤٢٨هـ) ، تحقيق: محمد سليم سالم ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة ، ١٩٤٥م.
١٩- دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت- لبنان، ١٩٨٩م-١٤٠٩ه.
٢٠- الفن الرمزي : هيغل ،ترجمة ، جورج طرابيشي، دار الطليعة،بيروت، ط١ ،١٩٧٩م.
٢١- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق- بيروت، ط١، ٢٠٠٣م- ١٤٢٣ه: ٣ / ٣٩٩ .
٢٢- قراءات بلاغية : د. فاضل التميمي ، دار الضياء للطباعة والتصاميم، العراق ، النجف ، ط١ ،٢٠٠٨م .
٢٣- كتاب الصناعتين : ابو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) ، تحقيق : على محمد البجاوي و محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م .
٢٤- المثل السائر في أدب الكاتب والناثر : ابن الأثير ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
٢٥- مجاز القرآن :لأبي معمر بن المثنى (ت:ت:٢٠٩هـ) ،تحقيق :د. محمد فؤاد سزكين، دار الفكر ،مكتبة الخانجي القاهرة ،١٩٧٠م.
٢٦- مدارك التنزيل : ابو البركات عبد الله احمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان الشعّار ، دار النفائس للطباعة والنشر، ط١ ،١٩٩٦م .
٢٧- مفردات غريب القرآن : الراغب الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ،ط.
٢٨- الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي (ت:٣٧٠هـ) ،تحقيق وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت، (د.ت) (د.ط) .
٢٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢هـ) ،تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية ، بيروت .
٣٠- يتيمة الدهر : الثعالبي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط٢ .

الأصــواتُ المُستَحسَنةُ عندَ علماءِ العربية وعلماء القراءات القرآنية سيبويه والقرطبي مثالاً

The preferable Sounds to the Scholars of Arabic and Quran Recitations: Sibawayh and Al-Qurtubi as Selected Examples of the Study

أ.م مؤيد جاسم محمد حسين

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

Assist.Prof. Muaid Jassim Muhammad Hussein

ملخص البحث

حاولَ هذا البحث تسليط الضوء على مدلول الأصوات المستحسنة عند علماء العربية ، مستعيناً بآراء شيخ العربية الأول (سيبويه ت ١٨٠ هـ) الذي أفاض الحديث عن هذه الأصوات .

ويذهب البحث إلى أنّ عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١ هـ) كانت له إضافات وآراء جديرة بالدرس والتحليل ، لأنها جاءت تكملة لجهود شيخ العربية الأول ، ودليلاً على أنَّ الصوت اللغوي قابل للتطور والتغيّر نتيجة لعوامل عديدة أهمها ، ما ينجم عن موقع الصوت في الكلمة الواحدة وتفاعله مع الأصوات الأخرى التي تشكل بنية هذه الكلمة .

Abstract

This search tries to highlight the aspects of preferable sounds to Arab scholars using the opinions of Sheikh of Arabic language Sibawayh b.180 AH) who gave elaborated explanations on those sounds.

The research finds out that Abdul Wahab Al-qurtubi (b. 461AH) gave some additions and views on the study and analysis of sound .These views came to complete the efforts of the first great scholar of Arabic. It is proved that the sounds of language are subject to development and change as a result of several factors, notably the place of sound within a word and in conjunction with other sounds within the same word , which form the structure of that word.

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المُنتجبين .

أما بعدُ :

فقدْ حظيتِ اللغة العربية بجهود كبيرة في سبيل المحافظة على نطقها بريئًا من شوائب اللحن ، نقيًّا من مظاهر اللكنة ، وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب ، وكان ظهور القرآن الكريم سببًا في نشأةِ علوم جديدة لم يكن للعرب عهدٌ بها من قبل ، منها علوم اللغة التي اتسمت بالشمول لكلِّ جوانب الدرس اللغوي المعروفة ولا سيَّما الجانب الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي .

وبحثنا هذا يهتم بإلقاء الضوء على مفردة من مفردات الدرس الصوتي ألا وهي الأصوات المستحسنة عند إمام اللغويين سيبويه (ت ١٨٠هـ) وعالم من علماء القراءات القرآنية في القرن الخامس الهجري هو عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ) ليتبين لنا مدى حضورها في مؤلفاتهم ومدى إدراك علماء العربية وعلماء القراءات القرآنية لها .

وقد توزع هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة شملت أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، أمّا المبحث الأول فقد اهتمَّ بالتعريف بالأصوات المستحسنة ، واهتم المبحث الثاني بدراسة الأصوات المستحسنة التي ذكرها سيبويه، أمَّا المبحث الثالث فقد عُني بالأصوات المستحسنة التي زادها عبد الوهاب القرطبي على ما ذكره سيبويه .

وأسأل الله تعالى التوفيق والتسديد ،إنَّه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول :

تعريف بالأصوات المستحسنة

قسَّم علماء العربية الأصوات على قسمين أصوات أُصول وأصوات فروع ،فأمّا الصوت الأصل ؛ فهو الصوت الذي له أثر في معنى الكلمة التي يدخل في بنائها، بحيث إذا نُزِعَ منها وَحَلَّ مَحَلَّهُ صوت آخر تغيَّرَ المعنى [١]. فمثلاً إذا أخذنا كلمة (عاد) وحذفنا ألفها، ووضعنا مكانهُ واواً أصبحت (عود)، فإذا حذفنا الواو ووضعنا مكانهُ ياءً أصبحت (عيد) ، فالملاحظ أنَّ كلمة (عاد) كان لها مع كلِّ واحدٍ من هذه الأصوات معنى خاص يختلف عن معنييها مع الصوتين الآخرين .

نقول إذن ،إنَّ الألف والواو والياء أصواتٌ أصلية في العربية[٢].

أمّا الصوت الفرعي فهو الصوت الذي يعتريه من جرَّاء الموقعيّة في الكلمة أو ما جاورها غير قليل من التبديل [٣], ولكنَّهُ لا يؤدِّي إلى تغيُّرِ المعنى , وهو على نوعين صوت فرعي مستحسن[٤] ، وصوت فرعي غير مستحسن .

وعَدَّ جمهور العلماء الأصوات الأصول تسعة وعشرين صوتاً ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)تحدَّث عنها في مقدمة كتابه العين وقرَّر أنها تسعة وعشرون حرفاً ،يقول : ((في

العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً، لها أحيزٌ ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي ، الواو والياء والألف اللّيِّنة والهمزة)) [٥].

وتحدث عنها سيبويه في كتابه فقال : ((فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا ، الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ،والغين ،والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشّين ،والياء ، واللام ،والراء ،والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاءُ ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو)) [٦] .

وقال عنها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في باب أسماء الحروف : ((اعلم أنَّ أُصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفًا ، فأولها الألف وآخرها الياء))[٧] .

وهذه الأصوات تكون خمسةً وثلاثين صوتًا بأصوات هُنَّ فروع مستحسنة ، وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي ((النون الخفيفة ، والهمزة التي بَيْنَ بَيْنَ ،والألفُ التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التفخيم)) [٨] . وتكون اثنين وأربعون صوتًا بأصوات غير مستحسنة ، قال سيبويه : ((وتكون اثنين وأربعين حرفًا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَنْ تُرْتَضى عَربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف [٩]، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء ، وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين جيّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون ، لا تتبين إلا بالمشافهة ...))[١٠] .

ولقد عَدَّ سيبويه الأصوات المستحسنة ستة أصوات [١١] ،ووافقه ابن جني على ذلك فقال ((وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام ، وهي النون الخفيفة ويقال النون الخفية ، والهمزة المخففة ، وألف التفخيم ،وألف الإمالة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي))[١٢] .

واتفقَّ معهما ابن سنان الخفاجي (٦٦٤هـ) إذ عَدَّها ستة أصوات هي : ((النون الخفيفة التي تخرج من الأنف ، الهمزة المخففة ، ألف الإمالة ، ألف التفخيم ، وهي التي بها ينحى نحو الواو ، والصاد التي كالزاي نحو قولهم في مصدر : مزدر ، والشين التي كالجيم ، نحو قولهم في أشدق : أجدق)) [١٣] .

ويظهر من كلام سيبويه أنَّ أساس تقسيم الأصوات إلى مستحسنة ومستقبحة ، هو كثرة الاستخدام وقلَّته، فما كثر استخدامه منها في لغة منْ تُرضى عربيتهُ كان مستحسناً ، وما قلَّ استخدامه كان مستقبحاً [١٤] .

ولمَّا كان الأساس الذي استند إليه سيبويه في بيان عدد الأصوات العربية هو السماع من العرب وقرَّاء القرآن الكريم فمن المتوقع إذن أنْ يروي غيرهُ أصواتاً أُخرى إمَّا لأنه لم يسمعها أو أنَّه عَدَّها صوتاً واحداً ، وعدَّها غيرهُ أكثر من صوت ، ومن ثم

زاد علماء العربية وبعض علماء القراءات في عدد أصوات العربية ، حتى بلغ بها عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ) اثنين وخمسين صوتاً [١٥] ، أي بزيادة عشرة أصوات على ما ذكره سيبويه [١٦] .

والأصوات الفرعية المستحسنة التي زادها عبد الوهاب القرطبي على ما ذكره سيبويه هي : اللام المفخمة التي هي فرع على المرقَّقة , والراء المرقَّقة التي هي فرع على المغلَّظة ، والواو التي يُنحى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة ، والياء التي يُنحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة ، وعدَّ الهمزة المسهلة بَيْنَ بَيْنَ ثلاثة أصوات ، وكان سيبويه قد عدَّها صوتاً واحداً [١٧] ، فتلك ستة أصوات .

والأصوات الفرعية غير المستحسنة التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي زيادة على ما ذكره سيبويه هي : السين التي كالزاي ، والجيم التي كالزاي ، والقاف التي بين القاف والكاف ؛وهي تأتي كلفظ الكاف التي بين الجيم والكاف ، وعدَّ الجيم التي كالكاف صوتين ، بينما عدَّهما سيبويه صوتاً واحداً [١٨] .

وعدَّهما صوتين هو مذهب ابن جني وابن عصفور وابن مالك [١٩] . ونقل أبو العلاء الهمذاني العطار : ((أنَّ الأخفش أضاف حرفاً آخر هو الذال التي كالتاء)) [٢٠] ، وذكر أبو حيان الأندلسي القاف التي كالكاف ؛كقولهم في القمح : الكمح [٢١] .

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ عدم استحسان هذه الأصوات الفرعية يعود إلى أنها أو أنَّ معظمها لم تكن أصواتاً (ألفونية)ناتجة عن البنية الصوتية السياقية التي تقع فيها الوحدة الصوتية الفونيمية الأصلية ، وإنَّما تعود أو يعود معظمها إلى كونهِ تنوعاً نطقياً لهجياً (ديافونياً) أو تنوعاً نطقياً فردياً (فاريفونياً) variphone[٢٢] ، ولعلّ هذا هو السبب الذي دفع عالماً كبيراً كسيبويه إلى القول إنَّ هذه الأصوات غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَنْ تُرضى عربيتهُ ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر [٢٣]. أو إلى أنها أصوات مستقبحة [٢٤] .

ويرى محمد الأنطاكي أنَّ وجود الأصوات الفرعية في كلِّ لسانٍ يعودُ إلى أحدِ سببين :ـ [٢٥]

أولهما : اختلاف اللهجات بين الجماعات التي تتكلم لساناً مشتركاً .

ثانيهما : تأثيرات صوتية تُحدِثُ من تفاعل أصوات الكلمة تفاعلاً يؤدي إلى أن تفقدَ بعض أصواتها صفة أو أكثر من صفاتها .

وتختلف الألسن بعضها عن بعض في قضية الأصلي والفرعي ، فما يُعدُّ في لسانٍ ما فرعاً ، قد يُعدُّ في لسانٍ آخر أصلاً ، فالعربية تنظر إلى الجيم بكل أنواعها المعطش والخالي من التعطيش ، على أنَّها صوت واحد ، لهذا لايتغير معنى كلمة (جاء) سواء ألفظناها خالية من التعطيش على الطريقة القاهرية ، أم لفظناها بتعطيش كامل على الطريقة الشامية ، أم لفظناها بنصفِ تعطيش على الطريقة الفصحى ، في حين نجد اللغة الفرنسية يتغير فيها معنى الكلمة ، فكلمة (jars) بالتعطيش تعني ذكر الإوز ، أما كلمة (gare) بغير تعطيش فتعني محطة السكة الحديدية [٢٦] .

من كلِّ ما سبق يتبين لنا أنَّ الأصوات

المستحسنة هي الأصوات المتفرعة عن الأصوات الأُصول ، والتي يعتريها من جراء الموقعية شيء من التبديل ولكنه لايؤدي إلى تغير المعنى ، وسبب تسميتها بالأصوات المستحسنة هو كثرة استخدامها في لغة منْ تُرضى عربيَّتهُ ،وكثرة استخدامها في قراءة القرآن الكريم والشعر العربي .

المبحث الثاني :-

الأصوات المستحسنة التي ذكرها سيبويه

حظيت الأصوات العربية بعناية طوائف من العلماء والباحثين منذُ عصر تدوين علوم العربية في القرن الثاني الهجري حتى عصرنا ، فقد تناولها بالبحث علماء العربية من نحاة ولغويين ، كما تناولها بالبحث علماء القراءات القرآنية .

وسنفرد هدا المبحث لدراسة الأصوات المستحسنة التي ذكرها سيبويه وسنعرض آراءهُ فيها وآراء اللغويين ، كما سنذكر أيضاً آراء علماء القراءات القرآنية . ليتبين لنا مدى حضورها في مؤلفاتهم ؛ ومدى إدراكهم لتلك الأصوات .

وأول الأصوات المستحسنة هي : -

١- النون الخفيفة : هكذا وردت في كتاب سيبويه ، وتسمى أيضاً الخفيَّة [٢٧] ، وهي النون الساكنة إذا كان بعدها حرف من الحروف التي تُخفى معه. قال عنها عبد الوهاب القرطبي ((أَمَّا النون الخفيفة فإنها النونُ الساكنةُ التي مخرجها من الخيشوم نحو النون في مِنْكَ ، وعَنْكَ ، ومِنْ زيدٍ ؛ وهي صوتٌ يجري من الخيشوم جريان حروف المد واللين في مواضعها)) [٢٨]. ويطلق عليها علماء القراءات النون المُخفاة .

والإخفاء هو ((حالة بين الإدغام والإظهار ولا بُدَّ من الغنة معهُ)) [٢٩]. وهو نطق النون الساكنة أو التنوين بشكل متوسط بين الإظهار والإدغام وذلك إذا جاء بعدها أحد الأحرف الآتية ((ص ،ذ، ث ،ك ، ج ، ش ، ق ، س ، د ، ط ، ز ، ق ، ت ، ض ، ظ))[٣٠] ، وقد جمعت في أوائل كلمات البيت الآتي تيسيراً لحفظها :

صِفْ ذا ثنا كمْ جادَ شخصٌ قد سما

دُمْ طيِّباً زِدْ في تُقى ضعْ ظالما [٣١]

قال البناء الدمياطي (١١١٧هـ) : ((فاتَّفقوا على إخفاء النون الساكنة عند الخمسة عشر حرفاً إخفاءً تبقى معه صفة الغنة ، فهو حال بين الإظهار والإدغام)) [٣٢] ؛ وإنما حصل الإخفاء لأنَّ الحرف الأول فيه غير منقلب إلى جنس الثاني ولا تشديد فيه ، فقارب باب الإدغام في قلب الأول إلى جنس الثاني بتشديد ظاهر [٣٣].

ومن أمثلة الحروف التي تخفى معها النون الساكنة ما يمكن أن يظهر في الأمثلة القرآنية الآتية :

الصاد في نحو قوله تعالى : ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾[آل عمران : ١٦٠]

والذال في نحو قوله تعالى : ﴿لِيُنْذِرَ﴾ [يس : ٧٠]

والثاء في نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾[الأعراف:٨]

والكاف في نحو قوله تعالى: ﴿أَنْكَالًا﴾[المزمل:١٢]

والجيم في نحو قوله تعالى: ﴿أَنْجَيْتَنَا﴾[يونس:٢٢]

والشين في نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنْشِئُ﴾[الرعد:١٢]

والقاف في نحو قوله تعالى: ﴿يَنْطِقُ﴾[المؤمنون:٦٢]

والزاي في نحو قوله تعالى : ﴿ أَنْ سَيَكُونُ ﴾ [المزمل : ٢٠]

والدال في نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]
والطاء في نحو قوله تعالى: ﴿يَنْطِقُ﴾ [المؤمنون: ٦٢]
والزاي في نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]
والفاء في نحو قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ﴾ [البقرة: ٢٦٤]
والتاء في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ [هود: ١١٢]
والضاد في نحو قوله تعالى: ﴿مَنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]
والظاء في نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]

ومخرج هذه النون من الخياشيم ، قال ابن جني : ((ويدلك على أنَّ النون الساكنة إنَّما هي من الأنف والخياشيم أنَّك لو أمسكت بأنفك ، ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة)) [٣٤] ، وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : ((مخرج النون والتنوين مع حروف الإخفاء الخمسة عشر من الخيشوم فقط)) [٣٥] ، وقال المرعشي (ت ١١٥٠هـ) : ((النون المخفاة غُنَّة مخرجها الخيشوم)) [٣٦] .

وهو يرى أنَّ مخرج النون المخفاة زائد على ما مرَّ من مخارج الحروف الأُصول بخلاف سائر الحروف المتفرِّعة فإنَّ مخارج تلك ليست زائدة على مخارج الحروف الأُصول يقول : ((ولمَّا كان كل من تلك الحروف اشترك فيه حرفان كما في الرعاية [٣٧] ، وحصل من امتزاجهما كما ذكر فمخرج كل منها مخرج للحرفين اللذين امتزجا ، ولبعض المصنفين هنا مسامحة [٣٨] ، ثم أقول لأنَّ الخيشوم مخرج للحرف الفرعي أُخر عن مخارج الحروف الأصول)) [٣٩] .

ويتساءل المرعشي فيقول : ((إنْ قلتَ ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغنة ؟ قلت هما متحدان ذاتاً لأنَّ كلاً منهما صوت يخرج من الخيشوم ، لكن ذلك الصوت في الأصل للنون والميم الساكنين كما في (عَنْ) و (لَمْ) ويسمى حينئذٍ غُنَّة ، وقد تخفى النون الساكنة ومعناه أنْ يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي الغُنَّة كما في عَنْكَ ، وسُمِّيت الغُنَّة الباقية من النون نوناً مخفاة))[٤٠] .

ويرى المحدثون ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الذي يحدث في الإخفاء ليس إلاَّ محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها عندما يميل مخرج النون من الفم وينتقل إلى مخرج الصوت المجاور لها [٤١] ، فيصاحب نطق النون غُنَّة ، تتزامن مع وضع اللسان في مخرج حرف الفم ، الذي يأتي بعد النون ، وإطالة مدّة النطق بهذا المصاحب للغنة حتى يصير بمقدار حرفين ، أولهما ساكن والثاني متحرك [٤٢] .

ويرى الدكتور كاصد الزيدي أنَّ المراد من الإخفاء الحفاظ على النون وعدم فنائها وذلك بإطالتها تلك الإطالة التي أطلقوا عليها اسم الغُنَّة ، ويلحظ مع ظاهرة الإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها [٤٣] .

وقد تحدَّثَ الدكتور تمّام حسّان عن هذه النون وفرق في المعنى بين النون الخَفيَّة والنون الخَفيفة إذ قال : ((المعروف أنَّ النون الخفيّة غير النون الخفيفة ، فالخفيَّة هي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي التاء ،والثاء،والجيم ، والدال ، والذال ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والفاء ، والقاف ، والكاف . وأمّا الخفيفة فهي إحدى

نوني التوكيد ولها أحكام في الوقف تفردها بطابع خاص حيث تصير في الوقف ألفاً نحو قفا = قفن)) [٤٤] ، أي أنَّها تقلب ألفاً عند الوقف .

والذي نقوله إنَّ النون الخفيَّة والتي تخفى بعد أصوات الإخفاء الخمسة عشر التي عَدَّها سيبويه صوتاً مستحسناً ملحقاً بالنون الأصلية ما هي في الواقع سوى تنوُّع صوتي أو صورة ألفونية متفرِّعة سياقياً عن الوحدة الصوتية الأساسية (الفونيم) [٤٥] ، إذ يطلق الدرس الصوتي الحديث على التنوُّعات الصوتية المتفرِّعة سياقياً عن الوحدات الصوتية الأساسية مصطلح (ألفون) [٤٦] .

٢- همزة بَيْنَ بَيْنَ :

تُعَدُّ الهمزة من أشد الأصوات في العربية ، ولذلك مالت اللهجات العربية إلى تخفيفها أو التخلص منها بالحذف ، وهو ما نلحظه اليوم في كلامنا الدارج في الأقطار العربية كافة ، إذ نقول : بير ، وراس ، ونشا بدلاً من بئر ، ورأس ،ونشأ [٤٧] .

ويرى الدكتور كاصد الزيدي أنَّ شدة الهمزة ترجع إلى أنَّ فتحة المزمار تنطبق عند النطق بها تماماً ، بحيث لا تسمح للهواء بالنفوذ من الحنجرة خلال هذه الفتحة ، فيُحبس فيما دون الحنجرة ، ثم تنفرج فتحة المزمار ، أي الوتران الصوتيان فجأة فيسمع صوت انفجاري [٤٨] .

ونظراً لشدَّة الهمزة فقد تعَّرضت لضروب من التغيير في العربية ، إذ كانت تحذف في أحيان وتُسَّهل في أخرى إمَّا بإبدالها ألفاً أو واواً أو ياءً أو هاءً أو بجعلها بَيْنَ بَيْنَ ، بحسب تسمية سيبويه لها عندما عَدَّها من الأصوات المستحسنة [٤٩] .

و قال ابن جني : ((معنى قول سيبويه بَيْنَ بَيْنَ ، أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، إنْ كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف وإنْ كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء ، وإنْ كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو ، إلاَّ أنَّها ليس لها تمكُّن الهمزة المحقَّقة ، وهي مع ما ذكرنا من أمرها في ضعفها وقلة تمكُّنها ، بزنة المحققة ، ولا تقع الهمزة المخفَّفة أولاً أبداً ، لقربها بالضعف من الساكن ، فالمفتوحة نحو قولك في سأل : سَأَل ، والمكسورة نحو قولك في سَئِمَ : سَئِمَ ، والمضمومة نحو قولك في لَؤُمَ: لَؤُمَ)) [٥٠] .

وقد عقدت كتب القراءات القرآنية للهمزة أبواباً تحدثت فيها عن تحقيقها وتسهيلها وجعلها بَيْنَ بَيْنَ ،فإذا كانت الهمزة المتوسطة مفتوحة أو قبلها ألف جعلتْ بَيْنَ بَيْنَ ؛ أي بين الهمزة والألف عند النطق بها ، وهذه الصفة الصوتية للهمزة لا تظهر في الكتابة بل تظهر في النطق ، وهذا النوع الذي كان يسمِّيه القرَّاء القدامى ما(لايضبطه الكُتّاب)[٥١] ؛ أي لا تبيّنه وتوضحه الكتابة ، وذلك مثل : (رأى) و (جاء) عند تخفيف همزة كلٍ منهما وجعلها بَيْنَ بَيْنَ. قال الداني (ت ٤٤٤هـ) : ((ومعنى بَيْنَ بَيْنَ ؛ أي بين الهمزة المحقَّقة وبين الحرف الساكن الذي منه حركتها فالمفتوحة بين الهمزة والألف ، والمكسورة بين الهمزة والياء الساكنة ، والمضمومة بين الهمزة والواو الساكنة ، فهي ضعيفة ليس لها تمكُّن الحقَّقة ولا خُلُوصُ الحرف الذي منه حركتها ، وهي في

الوزن محقَّقة ، إلاَّ أنَّها بالتوهين والتضعيف تقْرُبُ من الساكن ، ولذلك لايبتدأ بها كهوَ ، فإنْ أُبدِلَتْ ثبتَ المبدل منها دونها إمَّا مظهراً وإمَّا مُدغماً ، وإن أُلقِيَ حركتها على ساكن قبلها تحرَّك بها ، وذهبتْ هي من اللفظ رأساً لسكونها وتقدير سكون الحرف المحرَّك بحركتها فكانت بالحذف أولى لاستثقالها وزوال حركتها))[٥٢] .

وقال أيضاً: ((والهمزة إذا سَهُلت وجُعِلَتْ بَيْنَ بَيْنَ أُشير إليها بالصدر إنْ كانت مفتوحة ، وإنْ كانت مكسورة جُعِلَتْ كالياء مختلسة الكسرة ، وإنْ كانت مضمومة جُعلتْ كالواو مختلسة الضمة من غير إشباع ، وتلك الكسرة والضمة هي التي كانت مع الهمزة إلاَّ أنَّها مع الهمزة أشبع منها مع الحرف المجعولِ خَلفاً منها))[٥٣] .

وقال عبد الوهاب القرطبي : ((وأَمَّا همزة بَيْنَ بَيْنَ فإنَّ سيبويه عَدَّها حرفاً واحداً ، وكان ينبغي على التحقيق أن تُعَدَّ ثلاثة أحرف ، وذلك لأنَّ همزة بَينَ بَيْنَ هي الهمزة التي تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، فإن كانت الهمزة مكسورة فجُعِلتْ بَيْنَ بَيْنَ فهي بين الهمزة وبين الياء كقولنا في سَئِمَ : سَيمَ بَيْنَ بَيْنَ ، وإن كانت مضمومة فجُعِلتْ بَيْنَ بَيْنَ فهي بين الهمزة وبين الواو كقولنا في لَؤُمَ : لَوُمَ بَيْنَ بَيْنَ ، وإذا كانت مفتوحة وجعلت كذلك فهي بين الهمزة والألف كقولنا في سَألَ : سالَ . ولمَّا كان كلُّ واحدٍ من هده الحروف الثلاثة غير الآخر وجب أنْ يكون الحرف الذي بينهُ وبين الهمزة غير الحرف الذي بين الهمزة وبين الأخيرينِ))[٥٤] .

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : ((الهمزة المسهلة بَيْنَ بَيْنَ هي فرع عن الهمزة ومذهب سيبويه أنَّها حرف واحد نظراً إلى مطلق التسهيل ، وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف نظراً إلى التفسير بالألف والواو والياء))[٥٥] .

أمَّا علماء اللغة المحدثون فكان اهتمامهم فيها كبيراً، فقد تحدث عنها الدكتور عبد اللطيف الخطيب وأشار إلى تخفيف الهمزة وجعلها بَيْنَ بَيْنَ فهي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، إنْ كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف ، وإنْ كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء ، وإنْ كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو [٥٦].

وتحدث عنها الدكتور تمّام حسّان فقال : ((هي همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية))[٥٧].

أمَّا الدكتور كاصد الزيدي فيرى أنَّ الهمزة إذا كانت مكسورة أو مضمومة كانت بَيْنَ بَيْنَ عند التخفيف إذا تحرك ما قبلها بأية حركة ، أو كان قبلها ألف مثل (سئمَ) و(سائل) و (قائم) و(بإمام) وهذه الهمزة لا يوضِّحها الخط بل يوضِّحُها النطق ، ولذلك تسمع عن طريق المشافهة في أُصول القراءات [٥٨] .

ويرى محمد سالم محيسن أنَّ الهمزة المسهلة تُعَدُّ حرفاً فرعياً فإذا كانت مفتوحة تسهل بين الهمزة والألف وإذا كانت مكسورة تسهل بين الهمزة والياء ، وإذا كانت مضمومة تسهل بين الهمزة والواو [٥٩] .

ويقول الدكتور إبراهيم انيس : ((إذا صحَّ النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركةً حركة وراءها ، فالذي نسمعه حينئذ لا يمتُّ إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة ، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتَيْ لين قصيرين ، وهو ما يسمِّيه المحدثون Histus ويغلب في معظم اللغات أن تؤدِّي مثل هذه الحالة إلى صوت لين انتقالي ينشأ من الحركتين أو صوتي اللين القصيرين))[٦٠].

والذي يؤيد ما ذهب إليه بشأن نطق الهمزة بَيْنَ بَيْنَ، أنَّ مثل هذه القراءة لا تكون إلا حين تحرَّك الهمزة بحركة ما ، أمَّا الهمزة المشكَّلة بالسكون فلا تقرأ بَيْنَ بَيْنَ . وهو يرى أن بعض القراء يجعلون تلك الحركة التي خلَّفتها الهمزة بعد سقوطها من النطق حركة مهموسة ، فتسمع حينئذ كما لو أنَّها نوع من الهاء ، ففي قراءة قوله تعالى :﴿أأعجمي ... ﴾ قراءة بَيْنَ بَيْنَ للهمزة الثانية ، تسمع العبارة كأنما هي أهعجمي [٦١].

ومهما يكن من أمر فإنَّ هذه الهمزة التي وصفها اللغويون بأنَّها خفيفة ، وبأنها فرع للهمزة المحقَّقة تُعَدُّ تنوُّعاً ألفونياً للوحدة الصوتية الفونيمية الهمزة التي وردت عند أولئك اللغويين ضمن الأصوات التسعة والعشرين الأصلية [٦٢] .

٣- الألف الممالة إمالة شديدة :

تُعَدُّ ظاهرة الإمالة إحدى الظواهر اللغوية التي كانت متفشِّية بين القبائل العربية منذ زمن بعيد قبل الإسلام ، وتنسب الإمالة إلى القبائل التي كانت تعيش وسط الجزيرة وشرقيَّها ؛أمثال تميم وقيس وأسد و طيء وبكر بن وائل وعبد القيس [٦٣] ، وهي طارئة على كلام العرب وإن لم تكن قليلة ، إذ الأصل في كلامهم الفتح أو التفخيم [٦٤] .

وتحدث عنها سيبويه في باب ما تمال فيه الألفات فقال : ((الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك : عابِدٌ ، وعالِمٌ ،ومساجِدُ ، ومفاتيحُ ، وعذافِرٌ ، وهابِيلُ ، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ،أرادوا أنْ يقربوها منها)) [٦٥] . ويبين ابن يعيش وجه التقريب هنا فيقول : ((والغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل ؛ وذلك إذا وَلي الألف كسرة أو بعدها ، نحو : عماد ، وعالِم ،فيميلون الفتحة قبل الألف إلى الكسرة ، ويميلون الألف نحو الياء ...قرَّبوا الألف من الياء ، لأنَّ الألف تُطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه ، فتنافرا ، ولمَّا تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء))[٦٦] .

وتحدث ابن جني عنها فقال : ((وأمَّا ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء ، نحو قولك في عالِم ،وخاتِم : عالِم ،خاتِم))[٦٧].

وقال عنها عبد الوهاب القرطبي : ((وحقيقتها أنْ ينحى بالفتحة التي قبل الألف نحو الكسرة ، فتخرج الألف بين الألف وبين الياء ، كقولنا في جَاءَ : جِاءَ ، وفي أعمى : أعمِى ، وهي على ضربين : مُشْبَع وغير مُشْبَع ، فالمشبعُ ما كان بين الكسر الذي يوجب القلب وبين الفتح الخفيف ، وغير المشبع ما

كان بين الفتح وبين الإمالةِ))[٦٨] .

وقال عنها السيوطي ((الإمالة أنْ ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض ويقال له أيضاً الإضجاع والبطح والكسر قليلاً ، وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبَيْنَ بَيْنَ ؛فهي قسمان شديدة ومتوسطة وكلاهما جائز في القراءة ، والشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة))[٦٩] .

والإمالة على ضربين ((إمالة متوسطة وإمالة شديدة ، والقرَّاء تستعملهما معاً ، فالإمالة المتوسطة حقَّها أنْ يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة ، والإمالة الشديدة حقَّها أَنْ تقرَّب الفتحة من الكسرة ولألف الساكنة من الياء ، من غير قلب خالص ، ولا إشباع مبالغ))[٧٠] .

وتمال الألف نحو الياء وذلك حين يكون أصل تلك الألف ياء ، أو من الممكن أنْ تصير ياء ، فمَّا أصله ياء (هَدَى) و (سَعَى) ، ومما يصير إلى الياء (نزا) و (دعا) ، إلاَّ إذا بُني للمجهول يصير (غُزِيَ) و (دُعِيَ) وهذه الإمالة لا إشكال في جودتها[٧١] ، وأما فائدة الإمالة فلسهولة اللفظ ((وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال ، وأمَّا من فتح فإنّهُ راعى كون الفتح أمتن أو الأصل))[٧٢] ، والغاية منها التناسق بين الأصوات ، وذلك بتقارب نغماتها وتحسين جرسها وتخليصها من التنافر[٧٣] .

أمَّا مَنْ أمال فكل القراء العشرة إلا ابن كثير فإنَّه لم يمل شيئاً في جميع القرآن[٧٤] .

وعَدَّ الدكتور محمد سالم محيسن (ورش ، وأبو عمرو بن العلاء البصري ،وحمزة بن حبيب الزيات ،و الكسائي) من القرَّاء المميلين بكثرة ، وهو يرى أنَّه لا يمكن للإنسان أنْ يحسن النطق بالإمالة سواء أكانت كبرى أم صغرى إلا بالتلقي والمشافهة[٧٥] .

ومن القرَّاء المشهورين بإمالة الألف حمزة (ت ١٥٦هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) بل بإمالتهما كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل مثل { هَدَى }[البقرة : ١٤٣] و{ الْهَوَى } [النساء : ١٣٥] و { أَعْطَى وَاتَّقَى } [الليل : ٥] { أَمَاتَ وَأَحْيَا } [النجم : ٤٤] ، فألف الإمالة ألف بين الألف والياء ، ليست ألفاً خالصة ، ولا ياء خالصة ، وإنما قريبة من لفظ الياء ، وقد قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى :١ ، ٢]. قال ابن عاشور : ((وكتب في الم صحف (والضحى) بألف مقصورة في صورة الياء مع أنَّ أصل ألفه الواو لأنهم راعوا المناسبة مع أكثر الكلمات المختومة في هذه السورة فإنَّ أكثرها منقلبة ألفا عن الياء ، ولأنَّ الألف تجري فيها الإمالة))[٧٦].

وقد وضَّحَ ذلك الدكتور تمام حسان بقوله : ((فيجعلون صوت الألف الأخير في الضحى وسجى كصوت الياء في نطق العامة في مصر لكلمة بيت))[٧٧].

ولقد ذهبت الباحثة عالية محمود إلى أنَّ ألف الإمالة تنوع صوتي (ألفوني) للوحدة الصوتية الفونيمية المسماة في التراث ألفاً ، التي تعرف في الدراسات الصوتية الحديثة بأنَّها فتحة طويلة[٧٨] .

٤- الشين التي كالجيم :

ذكرها سيبويه في تتمة الخمسة والثلاثين حرفاً ، وهي عنده من الأصوات المستحسنة [٧٩] . أمَّا ابن جني فقال عنها : ((هي الشين التي يقلُّ تفشِّيها واستطالتها ، وتتراجع نحو الجيم))[٨٠] . وقال عنها عبد الوهاب القرطبي : ((وأمَّا الشين التي كالجيم فقولك في أشْدَق : أَجْدَق))[٨١] .

وقدم القرطبي تعليلاً صوتياً لهذه الظاهرة بقوله : ((إنَّ الدال حرف مجهور والجيم مجهور شديد ، والشين مهموس رخو ، فهي ضد الدال في الهمس والرخاوة فقرَّبوها من لفظ الجيم ، لأنَّ الجيم قريبة من مخرجها موافقة الدال في الجهارة))[٨٢] .

ويرى ابن الجزري أنَّه إذا وقفت على نحو ﴿الرُّشْدُ﴾ [البقرة : ٢٥٦] فلا بد من بيان تفشِّي الشين وإلاَّ صارت كالجيم ، وإنْ وقع بعدها جيم فلا بُدَّ من بيان لفظ الشين وإلاَّ تقترب من لفظ الجيم كقوله تعالى : ﴿ شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[النساء : ٦٥] و﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ ﴾ [المؤمنون : ٢٠]ونحو ذلك [٨٣] .

وتكلَّمَ عنها المحدثون في دراساتهم فقال الدكتور تمّام حسّان : ((وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية واللبنانية فكان الناطقون بهذه الشين من العرب يجعلون كلمة أشدَق كأنَّها أجدَق ومثل هذا ما نسمعه في لهجة القاهريين في كلمات مثل الأشغال والأشجار))[٨٤] .

وقال الدكتور محمود السعران : ((والنظير المجهور للشين هو النطق العامي للجيم في سوريا وبعض بلاد المغرب ، وهو مثل الصوت الأخير في كلمة (rouge) الفرنسية (رُوج) ؛أي أنَّه يتكون تكون الشين ويفترق عنه في أنَّ الوترين الصوتيين في نطقهِ يحدثان نغمة موسيقية ، ويمكن أنْ يرمز إليه بـ [٣] ، فهذا الصوت صامت مجهور لثوي – حنكي احتكاكي)) [٨٥] .

وقال محمد الأنطاكي ((هي شين يصيبها نوع من الجهر فتنقلب إلى ما يرمز له في الألسن الأجنبية برمز (j) ؛ أي تنقلب إلى جيم معطشة ، ويحدث ذلك كما تقرِّر القوانين الصوتية ، إذا وقعت الشين ساكنة بين صوتين مجهورين : مثل يشبع ؛ أي تنطق : يجبع بجيم معطشة))[٨٦] .

والواقع أنَّ صوت الشين التي كالجيم ((هو صورة صوتية متفرِّعة عن الوحدة الصوتية الأصلية الشين بسبب الموقع السياقي النطقي الذي وقعت فيه ، ولكنَّ الموقعية الخاصة ليست هي الوحيدة التي شأنها إحداث هذه الظاهرة ، فهذا الصوت يتعرَّض للتجهير أيضاً في نطقنا أو في النطق المعاصر لمعظمنا ـ على الأقل ـ إذا وقع ساكناً قبل صوت الغين المجهور ، ومثل نطقنا للكلمات الآتية : أشغال ، ومشغول ، وأشجار التي تصبح كأنَّها : أجغال ، ومجغول ، وأَجَّار على التوالي))[٨٧] .

ولذا يمكننا أنْ نقول ’نَّ هذا الصوت الفرعي هو تنوُّع صوتي ألفوني يتعرض له صوت الشين في بعض السياقات النطقية التي يرد فيها وقد مثل له اللغويون بقولهم : أجدق في أشدق [٨٨] .

٥- الصاد التي كالزاي :

وهي من الأصوات المستحسنة التي ذكرها

سيبويه [٨٩]،((التي يقلُّ همسها قليلاً ، وحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي ؛ وذلك قولك في يَصْدر يصدر ، وفي قَصَدَ قَصدَ ، ومن العرب منْ يخلصها زاياً ، فيقول : يَزْدُرُ ،و قَزَدَ ، وقالوا في مَثَلٍ لهم :(لم يحرم مَنْ فُزدَ له) ؛ أي فُصِدَ له))[٩٠].

ولقد فسَّر ذلك ابن جني بقوله : ((فُزْد له ؛ أي : فُصِدَ له ، إلاَّ أنَّهُ أسكن الصاد تخفيفاً ، كما يقال في ضُرِبَ زيد : ضُرْب ، وفي قُتِلَ : قُتْل ، فلمَّا سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التي بعدها ، بأنْ قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد ، وهي الزاي ، لأنَّها مجهورة ، كما أنَّ الدال مجهورة فقالوا : فُزْدَ))[٩١].

وقال أيضاً :((فإنْ تحرَّكت الصاد لم يَجُزْ فيها البدل ، وذلك نحو صَدَرَ، وصَدَفَ ، لا تقول فيه زَدَ ر و زَدَ ف ، وذلك أنَّ الحركة قَوَّت الحرف وحَصَّنته ، فأبعدته من الانقلاب ، بل قد يجوز فيها إذا تحرَّكت إشمامها رائحة الزاي ، فأمَّا أنْ تُخَلَص وهي ساكنة فلا ، وإنما تقلب الصاد زاياً أو تُشمّ رائحتها إذا وقعت قبل الدال ، فإن وقعت قبل غيرها لم يَجُزْ ذلك فيها))[٩٢].

قرأ أبو عمرو: (اهْدنا الزِّراطَ) بالزاي الخالصة ، وهي لغة بني عذرة وبني كلب وبني القين ، وهم يقولون في (أصدق) (أزدق)[٩٣].

وقرأ حمزة بإشمام الصاد زاياً ؛أي بمزج الصاد بالزاي فتكون زاياً مُفَخَّمة؛ وذلك لأنَّ الزاي تُؤاخِي السين في الصفير ، والراء في الجهر[٩٤].

وقرأ حمزة و الكسائي وخلف قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾[المعارج : ٢٦] بإشمام الصاد زاياً أيضاً [٩٥] .

ويرى أبو علي الفارسي وابن جنِّي أنَّ الصاد إذا تحركت لم يَجُزْ فيها إلاَّ إشمامها رائحة الزاي [٩٦], حتى إنَّ أبا علي الفارسي ردَّ قراءة أبي عمرو السابقة وطعن فيها لأنَّها من رواية الأصمعي وهو – في نظره – ليس بنحوي [٩٧]، ولكنَّه يعترف في نهاية المطاف بأنَّ قلب الصاد زاياً من كلام العرب ، فيقول : ((ولستُ أدفعُ أنَّه من كلام الفصحاء من العرب))[٩٨].

ويرى مكي بن أبي طالب القيسي أنَّ حجة منْ قرأ بالإشمام أنَّه لمَّا رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في صفة الجهر أشمَّ الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها فصار قبل الطاء حرفا يشبهها في الإطباق والجهر ، وحَسُنَ ذلك لأنَّها تخرج من مخرج السين والصاد مؤاخية لها في صفة الصفير والرخاوة [٩٩].

أمَّا المحدثون فكانت لهم وقفة عند هذه الصاد التي كالزاي ، يقول الدكتور تمَّام حسّان :((هي صاد مجهورة مفخَّمة تشبه نطق العامة في مصر للظاء في كلمة (ظالم) مثلاً والقاهريون ينطقون هذه الصاد المجهورة في كلمة (مصدر) كما كان العرب ينطقونها قديماً ، ولكن العرب كانوا ينطقونها من أجل الصاد في مثل الصقر والصراط كذلك))[١٠٠].

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه الصاد التي تتعرَّض في بعض السياقات النطقية إلى التجهير والقلب إلى صوت كالزاي ((لم تفقد خاصيَّة التفخيم أو الإطباق التي تتسم بها وتميزها , ولهذا فإنَّ الصورة الصوتية للصاد هنا ليست زاياً خالصة ، وإنَّما هي زاي مطبقة ، قريبة الشبه من نطق صوت الظاء في مثل كلمة (ظالم) في معظم العاميّات العربية))[١٠١].

لذا فإنَّ هذا الصوت الذي ذكره سيبويه وغيره من اللغويين هو عبارة عن تنوع صوتي ألفوني للوحدة الصوتية الفونيمية الصاد[١٠٢]. وليس تنوعاً صوتياً أو فرعاً للزاي كما ذكر السيوطي[١٠٣].

٦- ألف التفخيم :-

التفخيم في اللغة مأخوذ من فَخُمَ الشيءُ يَفْخُمُ فَخامة ،وهو فَخْمٌ عَبْلٌ،وفَخُمَ الرجلُ فَخامةً؛ أي ضَخُمَ، ورجلٌ فَخم ؛أي عظيم القدر ، فالتفخيم التعظيم ، وتفخيم الكلام تعظيمه [١٠٤].

وهو في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على صوت الحرف عند النطق به ، فيمتلئ الفمُ بصداه ، والتفخيم والتسمين والتغليظ كلها ألفاظ مترادفة بمعنى واحد [١٠٥].

وهذا السمن الذي يدخل جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه هو التفخيم الناجم عن عمليتي الإطباق والاستعلاء [١٠٦]. والتفخيم لغة أهل الحجاز ، ولغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[١٠٧].

وألف التفخيم هو الصوت الفرعي المستحسن الأخير الذي ذكره سيبويه[١٠٨]، وقال عنه ابن جني ((هي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم سُلام عليكم ، وقُام زيدٌ ، وعلى هذا كتبوا : الصلوة ، والزكوة ، والحيوة بالواو لأنَّ الألف مالت نحو الواو))[١٠٩]، ووافقه على ذلك عبد الوهاب القرطبي بقوله : ((وأمَّا ألف التفخيم فهي ضدُّ ألف الإمالة ، لأنَّ الإمالة يؤخذُ بها فيه نحو الواو وذلك بأنْ تُنحى بالفتحة التي قبلها نحو الضمة فتخرج هي بين الواو وبين الألف))[١١٠].

وحكم الألف أنَّها تابعة لما قبلها تفخيماً وترقيقاً ، فإذا كان الحرف الذي قبلها مفخماً فُخِّمت نحو : قال ، وطال ، والطامَّة ، وإذا كانَّ مرققاً رُقِّقت نحو : ناعمة ، عالية [١١١] .

قال الزمخشري : ((فإنْ قلت لما كُتب ﴿ الضعفؤا ﴾ [إبراهيم : ٢١] بواو قبل الهمزة قلت كُتب على لفظ مَنْ يُفخمِّ الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ، ونظيره ﴿ عُلَمَآؤا بني اِسرائيلَ ﴾ [الشعراء : ١٩٧]))[١١٢].

وقال أيضاً : (({ الربا } كتب بالواو على لغة مَنْ يُفَخمِّ كما كُتبتْ الصلاة والزكاة))[١١٣] .

والألفات المفخَّمة الواردة في القرآن الكريم قليلة ، وقد كتبت كلها بالواو إشارة إلى إمالتها نحو الضم مثل الصلوة والزكوة والحيوة [١١٤] .

ويبدو من الأمثلة السابقة التي قدَّمها بعض اللغويين لهذا الصوت أنَّ هذه الظاهرة الصوتية التي كانت خاصة بالناطقين من أهل الحجاز ، كما يذكر سيبويه لم تكن مرتبطة بسياقات نطقية تتطلَّب تفخيماً ولهذا حرص الكُتّاب في الماضي ، وخاصة كُتّاب القرآن الكريم على إظهار خاصَّة التفخيم بهذه الألف بوساطة رسمها بالواو للإيحاء بخصِّيصة الإطباق فيها [١١٥] .

ويرى عبد الوهاب القرطبي أنَّ الفرق بينَّ الألف الأصلية وألف التفخيم أنَّ الألف المفتوحة الأصلية هي التي يؤتى بها بين منزلتين بين التفخيم وبين الإمالة المشبعة [١١٦] ، ويدلُّ على ذلك أيضاً الملاحظة التي كان ابن جني قد ذهب إليها في اعتداد

سيبويه ألف الإمالة وألف التفخيم حرفين غير الألف المفتوحة [١١٧] .

ويرى الدكتور تمّام حسّان أنَّ ألف التفخيم ((هي ألف تستدير في نطقها الشفتان قليلاً مع اتِّساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل ، ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً فيصير الفم في مجموعهِ حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسمِّيها التفخيم على لغة أهل الحجاز ، وهو أوغل في بابه من تفخيم القبائل الأخرى ، حتى إنَّ بعض الألفات المفخَّمة على لغة الجازيين في مثل كلمتي الصلاة والزكاة لمَّا جاورت أصواتاً غير مطبقة ، فخشي مدوِّنو القرآن على تفخيم الألف ، فلهذا السبب كتبوها في صورة الواو ليعلم القارئ أنَّ هذه الألف مفخَّمة))[١١٨] .

ولقد عدَّتْ الباحثة عالية محمود حسن ألف التفخيم تنوُّعا لهجيا (ديافونيا)[١١٩] للوحدة الصوتية الألف [١٢٠] .

وبناءً على ما سبق فإنَّنا لا نستطيع أنْ نعدَّ هذا الصوت الذي عدَّهُ كثير من اللغويين خاصَّاً بلهجة من اللهجات العربية - وهي لهجة أهل الحجاز – تنوُّعاً صوتياً ألفونياً للوحدة الصوتية الأصلية الفونيمية وهي الألف ، وإنما نؤيد ما ذهبت إليه الباحثة (عالية محمود حسن) بأنَّها تنوع لهجي (ديافوني) لتلك الوحدة الصوتية ؛ أي الألف .

المبحث الثالث :

الأصوات المستحسنة التي زادها عبد الوهاب القرطبي

تكلَّمنا في المبحث السابق عن الأصوات المستحسنة التي اشترك فيها القرطبي مع سيبويه ، وسنتحدث في هذا المبحث عن الأصوات المستحسنة التي زادها عبد الوهاب القرطبي على ماذكره سيبويه ، وأول هذه الأصوات هي :

١- اللام المفخَّمة :-

وهي من الأصوات المستحسنة التي قال عنها القرطبي : ((اللام المفخَّمَة فرعٌ عن المرققة ،لأنَّ التفخيم يجب بسبب طارئ))[١٢١].

فاللام صوت متوسط مجهور ذلق ، يتكون بمرور الهواء من الحنجرة وتحريك الوترين الصوتيين ، وبعد ذلك يتَّخذ مجراه إلى الحلق ، ثم إلى جانبي الفم في مجرى ضيِّق ،محدثاً فيه نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، وفي أثناء مرورهِ يتصل طرف اللسان باللثَّة [١٢٢]، وبذلك يمنع مرور الهواء من وسط الفم فيتسرّب من أحد جانبيه فتكون اللام مرققة ، أو يتسرب من جانبيه كليهما فتكون مفخمة [١٢٣] . وعلماء القراءات القرآنية يطلقون عليها تسميّة اللام المغلّظة ، وذلك ؛ لأنَّ الأصل فيها الترقيق ولا ترد مفخَّمة إلاّ نادراً فسمَّوها بالمغلظة [١٢٤] .

((ولا تغلَّظ إلاّ لسبب هو مجاورتها حرف الاستعلاء ، وليس تغليظها إذ ذاك بلازم ، وترقيقها إذا لم تجاور حرف الاستعلاء لازم))[١٢٥].

وقد اشترط جمهور القرّاء لتفخيمها شروطاً هي:[١٢٦]

أ- أنْ يليها صوت مطبق ، صاد أو ضاد أو ظاء أو طاء ، فتفخَّم عندئذ لتلائم فخامة الإطباق في هذه الأصوات ، وليسهل النطق بها ، أو كما قال مكي : ((ليعمل اللسان عملاً واحداً في التفخيم)) [١٢٧]

وذلك مثل : ﴿ لَطِيفٌ ﴾ [يوسف : ١٠٠] و ﴿لَظَى﴾[المعارج:١٥]و﴿لَصَوْتُ﴾[لقمان:١٩].

ب- وتفخَّم أيضاً إذا كانت اللام في لفظ الجلالة (الله) وكان ما قبله مفتوحاً أو مضموماً ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ [مريم : ٣٦] ، وقوله : ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ١٠] فإنْ وَلِي لفظ الجلالة اسماً أو حرفاً مكسوراً رققت لامه ، كما في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ [هود : ٤١] ، وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٨٩] .

ج- إذا كانت اللام نفسها مفتوحة مثل قوله تعالى : ﴿ يَصْلَى ﴾ [الأعلى : ١٢]، وقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] وقوله : ﴿ لَعِبًا ﴾ [المائدة : ٥٨] .

وقلنا في أول حديثنا عن اللام المفخَّمة أنَّ الفرق بينها وبين المرقَّقة هو في وضع اللسان مع كلٍّ منهما لأنَّ اللسان مع المغلّظة يتَّخذ شكلاً مقعراً كما هو الحال مع أصوات الإطباق [١٢٨] .

قال الدكتور إبراهيم أنيس : ((فالفرق بين اللام المرقَّقة والمغلَّظة هو نفس الفرق ام المغلَّظة برمز خاص تختلف باختلاف الكلمة)) [١٢٩] .

ولهذا عدَّ الدكتور إبراهيم أنيس نوعي اللام صوتاً واحداً أو فونيماً واحداً وعدَّ صوتي التاء والطاء فونيمين مستقلَّين يختلف معنى الكلمة مع كل منهما [١٣٠].

أمّا (كارلس فوركسن) فقد عدَّ اللام المفخَّمة فونيماً مستقلاً في اللغة العربية ، ويبدو أنَّ رأيه هذا قد لاقى قبولاً فيما بعد إذ نجد أنَّ الدكتور سلمان العاني يصنف اللام المفخَّمة كفونيم مستقل ويعتمد على رأي فوركسن [١٣١] .

والذي نقوله إنَّ اللام المفخَّمة التي عدَّها عبد الوهاب القرطبي صوتاً مستحسناً ، ما هي في الواقع سوى تنوُّع صوتي أو صورة ألفونية متفرِّعة سياقياً عن الوحدة الصوتية الأساسية وهي اللام الأصلية .

٢- الراء المرققة :-

وهو الصوت المستحسن الثاني الذي زاده عبد الوهاب القرطبي على الأصوات المستحسنة إذ قال : ((الراء المرققة فرعٌ على المغلظة)) [١٣٢].

ولقد وصف سيبويه الراء بالتكرار، فقال : ((وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام)) [١٣٣] ، وقال أيضاً : ((والراء إذا تكلَّمت بها خرجتْ كأنّها مضاعفة))[١٣٤] .

ولم يخرج علماء العربية عمَّا اصطلحه سيبويه لهذا الصوت سوى إيضاحهم معنى التكرير فقد وصف بـ (الترجيع) وبـ (تعثر اللسان) ، قال المبرد : ((هي شديدة ولكنها حرف ترجيع ، فإنّما يجري فيها الصوت لما فيها من التكرار)) [١٣٥]. أمَّا ابن جني فقد قال : ((إنَّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرار))[١٣٦].

وتابع علماء القراءات ما قاله سيبويه في صفة التكرير ؛ قال مكي : ((الحرف المكرر وهو الراء سُمّيَ بذلك لأنَّه يتكرر على اللسان عند النطق به))[١٣٧]. وقال عبد الوهاب القرطبي : ((إنَّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر

بما فيه من تكرار ، ويرتعد لما هناك منه))[١٣٨] .

واتفق المحدثون مع القدماء وعلماء القراءات في صفة التكرير لصوت الراء ، فهو لديهم : ((صوت لثوي تكراري مجهور ينطق به بترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ، ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكرّرة ، وهذا معنى التكرار في صفته))[١٣٩] .

قال الدكتور إبراهيم أنيس : ((والراء صوت مكرر ، لأنَّ التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرَّر في النطق بها ، كأنَّما يطرق طرف اللسان حافَّة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكوَّن الراء العربية))[١٤٠] .

والراء على نوعين : مرقَّقة ومفخَّمة ، والأصل فيها على ما ذهب إليه جمهور التفخيم لتمكُّنها في ظهر اللسان ، وقال آخرون ليس لها أصل في تفخيم و لا ترقيق وإنّما يعرض لها ذلك بحسب حركتها أو مجاورها [١٤١].

والذي يهمُّنا هنا في بحثنا هذا هو موضوع ترقيقها ، فالترقيق مشتق من الرقّة ، والرقيق في اللغة نقيض الغليظ والثخين ، وترقيق الكلام تحسينه [١٤٢].

قال ابن الجزري : ((الترقيق من الرقة ضد السمن ، وهو عبارة عن إنحاف ذات الحرف ونحوله))[١٤٣]. ولقد عدَّ عبد الوهاب القرطبي الراء المرققة من الأصوات المستحسنة[١٤٤] .

وعلى الرغم من اختلاف قرَّاء القرآن الكريم في مسألة ترقيق الراء ،إلاَّ إنَّنا نستطيع أنْ نستخلصَ من آرائهم المتعدِّدة قواعد عامة يكادون يجمعون عليها في هذا الموضوع منها :[١٤٥]

أ- ترقَّق الراء إذا كانت مكسورة نحو قوله تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر:٣]

ب- وتُرقق أيضاً إذا كانت ساكنة وقبلها كسرة لازمة ؛أي من أصل الكلمة ، كما في ﴿فِرْعَوْنَ﴾[البقرة : ٤٩] و ﴿أَنْذِرْهُمْ﴾ [مريم : ٣٩]. وكذلك إذا كانت ساكنة وبعدها ياء كما في ﴿مَرْيَمَ﴾ [آل عمران : ٤٤]و ﴿قَرْيَةٍ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، فإذا اجتمع الأمران كان ذلك أدعى لترقيقها وأقوى ، كالذي في ﴿مِرْيَةٍ﴾ [هود : ١٧] ، ولكن يشترط ألاَّ يأتي بعدها صوت مُستعلٍ كالقاف والصاد نحو ﴿فِرْقَةٍ﴾ [التوبة : ١٢٢] و ﴿إِرْصَادًا﴾ [التوبة : ١٠٧] فإنَّ التغليظ يغلب عندئذ عليها ، بسبب وجود الحرف المستعلي المفخَّم .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الفرق بين الراء المرققة والمفخمة يشبه الفرق بين اللام المرقَّقة والمغلَّظة ، أي أنَّ الراء المفخَّمة تُعدُّ من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق ، ولكنَّ الرسم العربي لم يرمز لها برمز خاص يتغير بتغيره معنى الكلمة ، ولهذا عُدَّ كلا النوعين صوتاً واحداً أو فونيماً واحداً[١٤٦].

وعلى أي حال الذي نقوله أنَّ الراء المرقَّقة التي عدَّها عبد الوهاب القرطبي صوتاً فرعياً مستحسناً ما هي في الواقع سوى تنوع صوتي أو صورة ألفونية متفرعة سياقياً عن الوحدة الصوتية الأساسية وهي الراء الأصلية .

٤،٣ – الواو التي ينحى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة فتخرج الواو بعدها بروائح الياء ، والياء التي

يُنحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة فتخرج بين الياء وبين الواو [١٤٧].

حدَّد سيبويه في كتابه العلاقة بين حروف المد والحركات فقال : ((فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة مما ذكرت لك))[١٤٨] ، وإلى ذلك ذهب المبرّد ، الذي قرر أنَّ ((الفتحة من الألف ، والضمة من الواو ، والكسرة من الياء)) [١٤٩] .وكذا ذهب ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) إلى ذلك فقال : ((اعلم أنَّ الحركات أبعاضُ حروف المدّ واللِّين ، وهي الألفُ والياء والواو ، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركاتُ ثلاث ،وهي الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرةُ بعض الياء ، والضمة بعضُ الواو))[١٥٠] .

وخصَّصَ الكثير من العلماء مصطلح (حروف المد واللين) للواو والياء إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما [١٥١]. قال مكي : ((حروف المد واللِّين ، وهي ثلاثة أحرف الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة))[١٥٢] .

وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) : ((وفي الواو لين ومد إذا سكنتْ وانضمَّ ما قبلها ،وفيها لين إذا سكنت وانفتح ما قبلها ، وفيها ثقل إذا تحركت ، وكذا حكم الياء أنَّ فيها مدّاً ولِيناً إذا سكنتْ وانكسر ما قبلها ، وفيها لين إذا سكنتْ وانفتح ما قبلها ، وفيها ثقل إذا تحركت)) [١٥٣].

ولذا تجد في بعض الأحيان أنَّ الضمة منحوٌ بها نحو الكسرة ونجد الكسرة أيضاً مشوبة بشيء من الضمة، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة .

قال ابن جني : ((وأمّا الضمة المشوبة بالكسرة ، فنحو قولك في الإمالة : مررتُ بمذعُور ، وهذا ابن بُور، نَحوتَ بضمة العين والباء نحو كسرة الراء ، فأشممتها شيئاً من الكسرة ، وكما أنَّ هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة ، فلذلك الواو أيضاً بعدها ، هي مشوبة بروائح الياء ، وهذا مذهب سيبويه ، وهو الصواب ، لأنَّ هذه الحروف تتبع الحركات قبلها ، فكما أنَّ الحركة مشوبة غير مخلَصَة ، فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمها))[١٥٤] .

وأمّا الكسرة المشوبة بالضمة فنحو قُيل و بُيع وغُيض وسُيق ، قال ابن جني : ((وكما أنَّ الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة ، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو))[١٥٥] .

وعلى ذلك جاءت قراءة الكسائي وابن عامر لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة : ١١] ، وقوله : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الزمر : ٧١]، وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ﴾ [هود : ٧٧] ، وقرأ بذلك أيضاً نافع في قوله : ﴿سِيءَ﴾ [هود : ٧٧] ، والحجة لمن قرأ بذلك هو أنَّه لمَّا كان الأصل (فُعِل) بضم الفاء التي يدلُّ ضمه على ما لم يسمَّ فاعله أرادوا المحافظة على ذلك ، فجاء الإشمام للدلالة عليه [١٥٦]. وعزيت هذه القراءة إلى كثير من قيس وعقيل وأسد [١٥٧] .

أمّا المحدثون ففسَّروا ذلك وفقاً لنظرية السهولة أو تقليل الجهد ؛ إذ تنتقل الأصوات من الثقيل إلى

الخفيف فالأخف ؛ فالضمة صوت ثقيل ، والكسرة أخف منه ، وعلى ذلك تكون (سوء) هي الأصل ، ثم تطوَّر هذا الصوت المركَّب (au) إلى صوت الضمة الممالة نحو الكسرة (eu)[١٥٨].

والذي نقوله إنَّ الواو التي ينحى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة ، التي عدَّها عبد الوهاب القرطبي كذلك صوتاً فرعياً مستحسناً ،ما هي في الواقع إلاّ تنوُّع صوتي أو صورة ألفونية متفرعة سياقياً عن الوحدة الصوتية الأساسية ؛هي الواو الأصلية .

وكذلك الياء التي يُنحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة ، فتخرج بين الياء والواو ؛ التي عدَّها عبد الوهاب القرطبي كذلك صوتاً فرعياً مستحسناً ،ما هي في الواقع إلاّ تنوُّع صوتي أو صورة ألفونية متفرعة سياقياً عن وحدة صوتية أساسية ؛هي الياء الأصلية .

الخاتمة : -

كان الهدف من هذا البحث هو إلقاء الضوء على جانب من جوانب الدرس الصوتي العربي ، ألا وهو الأصوات المستحسنة عند سيبويه والقرطبي ، وتوصلنا من خلال البحث إلى النتائج الآتية :

١- كشف لنا البحث أنَّ الأصوات الفرعيّة المستحسنة التي ذكرها سيبويه وما زاده عليها عبد الوهاب القرطبي كانت في أغلبها تنوعات صوتية إلفونية متفرِّعة سياقياً عن الوحدات الصوتية الأساسية (الفونيم).

٢- كشف لنا البحث عن مدى إدراك علماء العربية ؛ وبالأخص سيبويه وعبد الوهاب القرطبي الأصوات الفرعية المستحسنة ، وأنَّها لا تؤدي إلى تغيير معاني المفردات ، ومن ثمَّ لم يخصّص لها في الكتابة الهجائية رموز مستقلَّة ، فهي لا تتبيَّن إلاّ بالمشافهة .

٣- أنَّ ما ذكره سيبويه وعبد الوهاب القرطبي ، وغيرهما من الأصواتيين العرب، وعلماء القراءات القرآنية بشأن الأصوات الفرعية المستحسنة ، يدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ الصوت اللغوي يمكن أنْ يتطوَّر ويتغيَّر نتيجة تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض ، فضلاً عن موقع الصوت في الكلمة ، والتحول في مخارج الأصوات

الهوامش

١. ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : محمّد الأنطاكي ١/ ٣٩ .

٢. ينظر : المصدر نفسه ١/ ٣٩ .

٣. ينظر : في البحث الصوتي عند العرب : ١٠٧ .

٤. الاستحسان في اللغة مشتق من الحُسْنِ ، وحَسُنَ الشيءُ فهو حَسَنٌ ، والحَسَنُ : هو كون الشيء ملائماً للطبع ، ويطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه حسياً كان هذا الشيء أم معنوياً ، وإنْ كان مستقبحاً عند غيرهِ . ينظر: لسان العرب (حسن) ١٣ / ١١٧ .

٥. العين : ١/ ٧٥ .

٦. الكتاب : ٤/ ٤٣١ .

٧ سر صناعة الإعراب : ابن جني ١ /٥٥ .

٨. الكتاب : ٤/ ٤٣٢ .

٩. عدَّ سيبويه هذا حرفاً واحداً ، لأنَّ النطق لا يختلف ، وراعى ابن جني الأصل فَعدَّ ذلك حرفين وتبعه ابن عصفور وابن مالك ، (ينظر : ارتشاف الضرب ص٤) ، وعلى هذا الأساس جعل ابن جني مجموع حروف أصليّها وفرعيّها ثلاثة وأربعين (ينظر: سر صناعة الإعراب ١ / ٥٩).

١٠. الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

١١. المصدر نفسه ٤ / ٤٣٢.

١٢. سر صناعة الإعراب : ١ / ٥٩ .

١٣. سر الفصاحة : ١٩ .

١٤. ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٦ / ٢٦٥ .

١٥. ينظر: الموضح في التجويد ٨٤ .

١٦. ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٥٠ .

١٧. ينظر : الموضح في التجويد : عبد الوهاب القرطبي ٨٤ .

١٨. ينظر : المصدر نفسه ٨٧ .

١٩. ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤ ، وشرح التسهيل ٣٠٤ .

٢٠. التمهيد في علم التجويد ١٤٣ .

٢١. ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤ .

٢٢.يقصد بالفاريفون تلك الأصوات غير الثابتة ،والقابلة للتنوع ،مستقلة عن سياقها الصوتي ، فالناطق العادي قد يستعمل الصوت الواحد بتنوعات نطقية مختلفة ،دون وعي أو إدراك منه لهذه التنوعات ، وقد يعود السبب

في ذلك إلى نوعية البيئة الاجتماعية والنفسية والإقليمية التي يتفاعل معها التكلم في لحظة ممارسته للاتصال اللغوي . (ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٢٢٤ .

٢٣. ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

٢٤. ينظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٥١ .

٢٥. ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ١ / ٤٠ .

٢٦. ينظر : المصدر نفسه ١ / ٤٠ .

٢٧. ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ . و سر صناعة الإعراب ١ / ٥٩ .

٢٨. الموضح في التجويد ٨١ .

٢٩. الإتقان في علوم القرآن : ٢٥٦ و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٤٨ .

٣٠. ينظر شرح كتاب التيسير للداني في القراءات ٤٥٢ ،و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٤٨ ، وسراج القارئ المبتدئ ١٠٢ ، وتقريب النفع في القراءات السبع ٥٧ .

٣١. التجويد وعلوم القرآن ٤٨ .

٣٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٤٨ .

٣٣. ينظر : التبصرة في القراءات ١١٨ .

٣٤. سر صناعة الإعراب ١ / ٦١ .

٣٥. النشر في القراءات العشر : ٢ / ٢٧ .

٣٦. جهد المقل ١٣١ .

٣٧. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ١١١ .

٣٨. حدد المرعشي صاحب هذه المسامحة وهو مكي بن أبي طالب القيسي حيث قال : ((ومخرج كل من هذه الخمسة متوسط بين مخرجي الحرفين الذين اشتركا فيه)) (الرعاية : ١١١) .

٣٩. جهد المقل ١٣٩ .

٤٠. المصدر نفسه ١٣٧ .

٤١. ينظر : الأصوات اللغوية : ٧٠ .

٤٢. ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨٨ .

٤٣. ينظر : فقه اللغة العربية ، الدكتور كاصد الزيدي ٤٦٩ .

٤٤. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

٤٥. عرف دانيال جونز الفونيم بأنَّه : ((عائلة أو أسرة من الأصوات ، في لغة معينة ، متشابهة الخصائص

،ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أنْ يقع في كلمة من الكلمات ، في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها)) علم أصوات العربية : ١٣٢ .

٤٦. الألفون : وهو النوع الصوتي السياقي للفونيم ، أو هو عبارة عن أي صوت لغوي مفرد بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل . ينظر : أسس علم اللغة ٤٧ .

٤٧. ينظر : فقه اللغة العربية ، كاصد الزيدي ٤٨٥ .

٤٨. ينظر : المصدر نفسه ٤٨٦ .

٤٩. ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

٥٠. سر صناعة الإعراب ١ / ٦١ .

٥١. كتاب السبعة في القراءات ١٠٦ .

٥٢. التحديد في الإتقان والتجويد ٩٩ ــ ١٠٠ .

٥٣. المصدر نفسه ٩٩ .

٥٤. الموضح في التجويد ٨٢ .

٥٥. النشر في القراءات العشر ١ / ٢٠١ .

٥٦. ينظر معجم القراءات ١١ / ٢٥ .

٥٧. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

٥٨. ينظر : فقه اللغة العربية : الدكتور كاصد الزيدي ٤٨٨ .

٥٩. ينظر المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ٨٧ .

٦٠. الأصوات اللغوية ٨٨ .

٦١. ينظر : المصدر نفسه ٨٨ .

٦٢. ينظر : الدرس الصوتي في التراث البلاغي ٥٦ .

٦٣. ينظر : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ٩٤ .

٦٤. التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٣٢٥ .

٦٥. الكتاب : ٤ / ١١٧ - ١١٨ .

٦٦. شرح المفصل ٩ / ٥٤ ــ ٥٥ .

٦٧. سر صناعة الإعراب ١ / ٦٤ .

٦٨. الموضح في التجويد ٨٣ .

٦٩. الإتقان في علوم القرآن ٢٤٤ . وينظر : تقريب النفع في القراءات السبع ٥٨ ، و معجم القراءات القرآنية

مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء ١٣٦ .

٧٠. المدخل إلى علم أصوات العربية ١٦٦ .

٧١. التبيان ٧ / ١٥٨.

٧٢. الإتقان في علوم القرآن ٢٤٦ . وينظر : المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ١١٦ .

٧٣. ينظر : شذا العرف في فن الصرف ١٥٩ ، وموسوعة النحو والصرف والإعراب ١٥٠ .

٧٤. ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢٤٦ .

٧٥. ينظر : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ٩٤ -٩٥ .

٧٦. التحرير والتنوير ١٦ / ٢٩٧ .

٧٧. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

٧٨. ينظر : الدرس الصوتي في التراث البلاغي٩٧ .

٧٩. ينظر : الكتاب ١ / ٤٣٢ .

٨٠. سر صناعة الإعراب ١ / ٦٤ .

٨١. الموضح في التجويد ٨٣ .

٨٢. المصدر نفسه ٣٨ . ، وينظر : شرح المفصل ١ / ١٢٧ .

٨٣. ينظر : التمهيد في علم التجويد ١ / ١١٥ .

٨٤. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٤ .

٨٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٤٧ . وينظر : فقه اللغة العربية ٤٧٥ ، وفقه اللغة : الدكتور عبد الحسين المبارك ٩٢ .

٨٦. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ١ / ٤٤ .

٨٧. التفكير الصوتي عند سيبويه ٤٨ ــ ٤٩ .

٨٨. ينظر : سر الفصاحة ١٩ . والدرس الصوتي في التراث البلاغي ٩٧ .

٨٩. الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

٩٠. سر صناعة الإعراب ١ / ٦٥ وينظر : الموضح في التجويد ٨٣ .

٩١. سر صناعة الإعراب ١ /٦٥ .

٩٢. المصدر نفسه ١ / ٦٥ ــ ٦٦ .

٩٣. ينظر : البحر المحيط ١ / ٢٥ .

٩٤. ينظر : النشر في القراءات العشر ١ / ٣٧٢ والحجة في القراءات السبع ٦٢ ــ ٦٣ .

٩٥. ينظر النشر في القراءات العشر ١ / ٢٧٢ .

٩٦. ينظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٦٦ .

٩٧. ينظر : الحجة في علل القراءات السبع ١ / ٣٧ .

٩٨. المصدر نفسه ١ / ٣٨ .

٩٩. ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١ / ٢٤ ، والإشارات الجليلة في القراءات السبع ٢٨ .

١٠٠. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٤ ، وينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٤٦ ، وفقه اللغة : الدكتور عبد الحسين المبارك ٩٢ .

١٠١. الدرس الصوتي في التراث البلاغي ٩٩ .

١٠٢. ينظر : المصدر نفسه ٩٩ .

١٠٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢ / ٢٢٩ .

١٠٤. ينظر : لسان العرب (فخم) ١٢ / ٤٤٩ .

١٠٥. ينظر : النشر في القراءات العشر ٢ / ٩٠ ، والتمهيد في علم التجويد ٧٢ ، وغاية المريد في علم التجويد ١٥٧ .

١٠٦. ينظر : المحيط في أصوات العربية ١ / ١٧ .

١٠٧. مجمع البيان ٧ / ٣

١٠٨. الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

١٠٩. سر صناعة الإعراب ١ / ٦٤ .

١١٠. الموضح في التجويد : ٨٣ .

١١١. ينظر : غاية المريد في علم التجويد ١٥٧ .

١١٢. الكشاف ٣ / ٢٧٦ .

١١٣. المصدر نفسه ١ / ٢٤٤ .

١١٤. ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ١ / ٤٣ .

١١٥. ينظر : التفكير الصوتي عند سيبويه ٥١ ــ ٥٢ .

١١٦. ينظر : الموضح في التجويد ٨٣ .

١١٧. ينظر الخصائص ٣ / ١٢٣ .

١١٨. اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

١١٩. يقصد بالديافون : كل صوت كلامي في لهجة معينة يختلف عن آخر في لهجة أخرى من الناحية

الصوتية ويطابقه من الناحية الوظيفية ، ضمن نفس اللغة . مثل : ا a ا الامريكية و ا o ا البريطانية عند لفظ كلمة (dog) (ينظر: الدرس الصوتي في التراث البلاغي هامش ص ٩٨).

١٢٠. ينظر : المصدر نفسه ٩٨ .

١٢١. الموضح في التجويد ٨٤ .

١٢٢. ينظر : الوجيز في فقه اللغة ١٦٢ .

١٢٣. ينظر : الأصوات اللغوية : ٦٤ . وفقه اللغة العربية ٤٦٤ .

١٢٤. ينظر : شرح كتاب التيسير ٥٦٧ .

١٢٥. المصدر نفسه ٥٦٧ ، وينظر : تقريب النفع في القراءات السبع ٧٢ .

١٢٦. ينظر : فقه اللغة العربية ٤٦٥ ــ ٤٦٦ .

١٢٧. الكشف عن علل وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/ ٢١٩ .

١٢٨. ينظر : الأصوات اللغوية ٦٤ .

١٢٩. المرجع السابق ٦٤ .

١٣٠. المرجع السابق ٦٤ .

١٣١. ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٣١ .

١٣٢. ينظر : الموضح في التجويد ٨٤ .

١٣٣. الكتاب ٤ / ٤٣٥ .

١٣٤. المصدر نفسه ٤ / ٤٣٦ .

١٣٥. المقتضب ٢ / ١٩٦ .

١٣٦. شرح المفصل : ١٠ / ١٢٨ .

١٣٧. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٦٩ .

١٣٨. الموضح في التجويد ٩٢ .

١٣٩. مناهج البحث في اللغة : ١٠٤ .

١٤٠. الأصوات اللغوية ٦٦ . ، وينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٤٢ .

١٤١. ينظر : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ١٧٨ .

١٤٢. ينظر : لسان العرب (رقق) ١٠ / ١٢١ .

١٤٣. التمهيد في علم التجويد ٧٢ .

١٤٤. ينظر : الموضح في التجويد ٨٣ .

١٤٥. ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١ / ٣٠٩ ــ ٣١٠ .

١٤٦. ينظر : الأصوات اللغوية : ٦٥ .

١٤٧. ينظر : الموضح في التجويد ٨٤ .

١٤٨. الكتاب ٤ / ٢٤٢ .

١٤٩. المقتضب ١ / ١٩٤ .

١٥٠. سر صناعة الإعراب ١ / ٣٣ .

١٥١. ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٣ .

١٥٢. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ١٠١ .

١٥٣. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٤ .

١٥٤. سر صناعة الإعراب ١ / ٦٨ .

١٥٥. المصدر نفسه ١ / ٦٧ .

١٥٦. ينظر : الكتاب ٤ / ٣٤٢ . والمحتسب ٢ / ١٧٧ .

١٥٧. ينظر : البحر المحيط ١ / ٦١ .

١٥٨. ينظر : اللهجات العربية في الكتاب ١٦٨ ــ ١٦٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : أحمد بن محمّد بن عبد الغني الدمياطي الملقب بشهاب الدين البناء (ت ١١١٧ هـ) ؛ تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .

٢. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب : محمّد بن يوسف بن حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق : الدكتور مصطفى أحمد النحّاس ، مطبعة النسر الذهبي ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ .

٤. أسس علم اللغة : ماريوباي ، ترجمة : الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

٥. الإشارات الجليلة في القراءات السبع : الدكتور محمّد سالم محيسن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٦. الأصوات اللغوية : الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٧ م .

٧. البحر المحيط : لأبي حيَّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ،ط٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٨. التبصرة في القراءات : مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق : الدكتور محيّ الدين رمضان ، ١٩٨٥م .

٩. التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٠. التجويد وعلوم القرآن : عبد البديع صقر ، دمشق ، ط٣ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٩٦م .

١١. التحديد في الإتقان والتجويد : لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) ، تحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨ م .

١٢. التحرير والتنوير : محمّد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

١٣. التفكير الصوتي عند سيبويه : الدكتور محمّد جواد النوري ، مركز الأبحاث الإسلامية ، القدس ، ١٩٩٣م .

١٤. تقريب النفع في القراءات السبع : علي محمّد الصبّاغ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، (د . ت) .

١٥. التمهيد في علم التجويد : شمس الدين أبو الخير محمّد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٦. جهد المقل : محمّد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زادة (ت ١١٥٠ هـ) ، تحقيق : الدكتور سالم قدوري الحمد ، دار عمار ، الأردن ، ط٢ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

١٧. الحجَّة في علل القراءات السبع : لأبي علي بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد

الفتاح إسماعيل شلبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٨. الحجة في القراءات السبع : لابن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرَّم ، دار الشروق ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
١٩. الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٤ ،١٩٩٠م .
٢٠. الدرس الصوتي في التراث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير): عالية محمود حسن ياسين ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ،الأردن ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢٢. دراسة الصوت اللغوي : الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢٣. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : لأبي محمّد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، الأردن ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٤. سراج القارئ المبتدئ : لأبي القاسم علي بن عثمان القاصح ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ط٣ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٢٥. سرُّ صناعة الإعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل و أحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢٦. سرُّ الفصاحة : لأبي محمد عبد الله بن محمّد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٩م .
٢٧. شذا العَرْف في فن الصرف : أحمد بن محمّد بن أحمد الحملاوي ، تحقيق : محمّد بن فريد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،مصر ، (د . ت) .
٢٨. شرح كتاب التيسير للداني في القراءات المسمى الدر النثير والعذب النّمير : عبد الواحد بن محمّد بن علي بن أبي السَّداد أبي محمّد المالكي الشهير بالمالقي (ت ٧٠٥هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوَّض و أحمد عيسى العصراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢٩. شرح المفصَّل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) المطبعة المنيرية ، مصر ، (د. ت) .
٣٠. علم أصوات العربية : الدكتور محمد جواد النوري ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، مطبعة النصر الحديثة ، نابلس ، ١٩٩٧م .
٣١. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : الدكتور محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ . ١٩٩٧م .
٣٢. العين : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي ، بغداد ، ١٩٨١ م .

٣٣. غاية المريد في علم التجويد : عطية قابل نصر ، القاهرة ، ط٧ ، (د . ت) .
٣٤. فقه اللغة : الدكتور عبد الحسين المبارك ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م .
٣٥. فقه اللغة العربية : الدكتور كاصد ياسر الزَّيدي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣٦. في البحث الصوتي عند العرب : خليل إبراهيم العطية ، دار الجاحظ للنشر ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، بغداد ، ١٩٨٣م .
٣٧. كتاب سيبويه : لأبي بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، (د . ت) .
٣٨. كتاب السبعة في القراءات : لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٣٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لأبي محمّد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : الدكتور محيّ الدين رمضان ، دمشق ، ٣٩٤١هـ - ١٩٧٤م .
٤٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق : محمّد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م .
٤١. لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمّد مكرَّم (٧١١هـ) ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، (د . ت) .
٤٢. اللهجات العربية في الكتاب أصواتاً وبنية : صالحة راشد آل غنيم ، مركزالبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٤٣. مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٥م .
٤٤. المُحتَسَبُ في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٤٥. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : محمّد الأنطاكي مكتبة دار المشرق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢م .
٤٦. المدخل إلى علم أصوات العربية : الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٤٧. معجم القراءات : الدكتور عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
٤٨. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء : الدكتور أحمد مختار عمر و الدكتور عبد العال سالم مُكرم ، مطبعة الإسوة طهران ،ط٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .
٤٩. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة : الدكتور محمّد سالم محيسن ، دار الجيل ، بيروت ،

ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٥٠. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية : الدكتور محمّد سالم محيسن ، الكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م .
٥١. المقتضب : لأبي العباس محمّد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمّد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٥٢. مناهج البحث في اللغة : الدكتور تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
٥٣. موسوعة النحو والصَّرف والإعراب : الدكتور أميل بديع يعقوب ، الاستقلال ، طهران ، ط٤ ، (د.ت).
٥٤. الموضح في التجويد : عبد الوهاب بن محمّد القرطبي (ت ٤٦١هـ) ، تحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، الأردن ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٥٥. النشر في القراءات العشر : لأبي الخير محمّد بن محمّد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تحقيق : علي محمد الصباغ ، دار الفكر ، (د . ت) .
٥٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمّد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت ، (د. ت) .
٥٧. الوجيز في فقه اللغة : محمّد الأنطاكي ، دار الشرق ، بيروت ، ط٣ ، (د . ت) .

رمزيةُ المكانِ في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

Symbolism of Place in Tamim Ibn Muizz Al Fatimid's Poetry

أ.م .د محمد حسين المهداوي الباحثة : ضحى ثامر محمد
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية
Assist.Prof.Dr. Mohammed Hussein Al-Mahdawi & Ms. /Dhuha Thamer Muhammad
University of Kerbala,College of Education for Humanities ,Department Arabic

ملخص البحث

تكمنُ طرافة البحث في استثمار آليات المنهج الرمزي في استكناه جماليات المكان للنصوص الشعرية ، فغالباً ما يرتبط الرمز الشعري بالتجربة الشعورية التي يعانيها المبدع ، والتي تمنح الأشياء مغزىً خاصاً ، فيصبح عمله فضاءً للقراءات المتعددة ذات الدلالة البعيدة عن الواقع المذكور ، فيبهم القارئ بها ، إذ لم يكن يتمتع بالبعد الفكري الادبي .وقد اخترنا مصطلح (الرمز المكاني) واظهار اهميته في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، لما تميز به شعره من تنوع وتعدد الاماكن التي رمز إليها الشاعر في ديوانه ، والتي كشفت عن شخصية مبدعة بإنزياحها الأسلوبي .

Abstract

The novelty of this research lies in the employment of symbolism in discerning the aesthetics of place in poetical texts. Poetic symbol is often associated with the emotional experience suffered by the poet himself, and this gives matters a special significance. Then, a certain work becomes a subject of multiple interpretations which carry different meanings far from the intended one, which causes misunderstanding in the reader who doesn't have any intellectual literary background.

The researchers have chosen the term place symbolism to illustrate its importance in Tamim Ibn Muizz Al-Fatimid because his poetry is famous for the diversity of places that the poet codes in his diwan . In turn,this can reveal the personal creative style of the poet.

المقدمة

الحمدُ للهِ وحدَه ، وصلى الله على نبيه وعبده ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الأخيار المنتجبين ، أَمَّا بعد .

إن الإنسان منذ بدء تكوينه ميال بطبيعته التكوينية نحو سر الغموض والإيهام ، وذلك لمنح شخصيته آفاقاً بعيدة ومساحات واسعة للغوص في معرفة حقيقة هذه الشخصية . فكيف بالشاعر الذي يتخبى وراء نصوصه ؟ فهو يتخذ من الرمز وسيلة يلجأ إليها عندما لا يريد الإفصاح عن الهدف المقصود ، فاخذ يلف أجواء نصه بالغموض والإشارات الدلالية ، لينفتح فيما بعد على تأويلات متعددة وتفسيرات مختلفة ، يقوده إلى عوالم ماوراء الحس (الميتافيزيقيا) لينتهي به المطاف إلى سراديب الأدب الغيبي .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الشعر العربي لم يكن بعيداً في مضامينه عن الرموز والإيحاءات الخفية ، فهو من الوسائل التي التفت إليها الشعراء ، فاهتموا بتوظيفه واغنائه خدمة لغاياتهم في بلوغ الإتقان الفني ، وباعتبار أن شاعرنا تميم بن المعز لدين الله الفاطمي قد عانى من غربة واغتراب مكاني ، فكثيراً ما كان يرمز إلى مكانه ومنزلته التي سلبت منه ، كي لا يفصح عنها مباشراً ، وخاصة ماكانت تتعلق بالخلافة المسلوبة منه .

ووفق ذلك ارتأينا تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث : (رمزية المرأة) ، و(رمزية الطلل) ، و(المكان المعنوي) ، وقد سبق هذه المباحث تمهيد جاء على قسمين الأول تكفَّل التعريف بالشاعر ومنزلته الأدبية . وجاء القسم الثاني موسوما بـ (خصوصية المصطلح) .

ولحق ذلك كله مسرد بالمصادر والمراجع المعتمدة بالبحث.

وأخيرا نرجو الاعتذار عن كل وهنة وقعنا فيها ، متمنين في الوقت نفسه أن نكون قد وفقنا فيما عرضناه .وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين .

التمهيد

اضاءات عن الشاعر والمصطلح

أولاً : التعريف بالشاعر ومنزلته الأدبية .

ومما لاشك فيه إنّ الشعر الفاطمي استطاع مجاراة الشعر في العصور الأخرى بما سجله من حضور قوي في الشعرية العربية القديمة , وما أنتجته من شعراء مبرزين كانت لهم قصب السبق في حيازة المنزلة الرفيعة , ومنهم المترجم له (تميم بن المعز لدين الله الفاطمي) , فلابد لنا ونحن في مقام قراءة ملمح بارز من وسائل تشكيل شعره (رمزية المكان) أن نعطي اضاءات سريعة عن حياته لنلقي بوساطته الضوء على ابرز نقاطها , ونعرف بمفاصلها المهمة ولاسيما التي أثرت تأثيرا قويا في تشكيل أمكنته .

فهو تميم بن المعز لدين الله (الخليفة الفاطمي الرابع) بن إسماعيل المنصور بن محمد(القائم) بن عبيد الله, ولد الأمير تميم سنة(٣٣٧ هـ) ، في عهد جده المنصور بالله، في مدينة المهدية بتونس، تلك المدينة التي بناها جده عبيد الله، واتخذها عاصمة له سنة(٣٠٨ هـ)، وكني أبوه المعز لدين الله بأبي تميم، ولم يولد تميم بعد[١] .

نشأ الأمير في قصر الخلافة بالمهدية[٢]،وقضى طفولته فيها[٣] ، وحين صار تميم في الخامسة والعشرين من عمره، انتقل برفقة أبيه المعز لدين الله إلى مصر سنة(٣٦٢هـ)، وسكن القصر الكبير في القاهرة [٤] ، فقضى شبابه بالمنصورية، وترعرع في أبهة الملك في القصر بالمنصورية[٥] .

انطلقت شاعرية الأمير مذ كان صغيرا في المغرب؛ لأن الذي يأتي إلى مصر ويقول الشعر فلابد انه كان شاعرا ؛ولكن لم يصل إلينا شيء عن شاعريته مثلما لم يصل إلينا شيء عن حياته في المغرب، وكأنما كانت قصة تميم أسطورة مغلقة بسبب ضياع كثير من شعره وأخباره، ولم تعرف الأسباب التي أدت إلى ضياع كثير من شعره[٦].

وكثيرة هي المصادر الأدبية التي ورد ذكر تميم فيها شاعرا ، والتي أطالت فيما أوردته من شعره لمكانته الأدبية الرفيعة التي ميزته عن باقي شعراء الدولة الفاطمية ، ولعل أولها كتاب زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني الذي قال فيه: «كان يحتذي مثال ابن المعتز، ويقف في التشبيهات بجانبه، ويفرغ فيها على قالبه، ويتبعه في سلوك ألفاظ الملوك» [٧] ، وهذا يدل على أنه كان يقرن بالشاعر ابن المعتز العباسي، لما بينهما من تشابه، فكلا الشاعرين من بيت الخلافة، ومن شعراء البديع، وكلاهما ممن أكثر من الوصف والمجون، ودافعا عن عقيدتهما[٨] .

وقال عنه ابن الأبار البلنسي : «شعر تميم مدون، ومحاسنه كثيرة وتصرفاته بديعة، وهو شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع، وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس، غزارة علم ومعانة أدب، وحسن تشبيه، وإبداع تخيل، وكان يقتفي آثاره، ويصوغ على مناحيه في شعره أشعاره» [٩] .

أما ابن الجوزي في المنتظم فقد قال عن شعره : « وكان في تميم فضل ووفاء، وكرم وفصاحة ، وله شعر حسن»[١٠] ، وقال عنه المقريزي :» شاعراً

ماهراً...، وأشعاره كلها حسنة»[١١].

أما منزلته في المصادر الأدبية الحديثة فقد قال عنه محمد كامل حسين : «كان شاعرا من أكبر شعراء عصره» [١٢] ، وذكره محمود مصطفى أنه : «في مكانته الشعرية جدير أن يكون حامل لواء الشعر في هذا العصر» [١٣] ، وقد وصفه د. عارف تامر بأنه «أمير الشعراء المصريين دون منازع»[١٤] .

ويرى احمد أمين بأنه كان «شاعرا ماهرا لطيفاً ظريفاً ,يشعر بخلجات نفسه , ونبضات قلبه ,ولم تر مصر شاعراً من هذا القبيل قبله مثله , يصف حياته اللاهية من حبه وعشقه وليالي غرامه ونحو ذلك في قول عذب»[١٥]، وذكره د. محمد عبد الغني حسن فقال : « تعرض تميم ابن المعز للظلم بعد مماته حين نسي الناس شعره، إذ قل المترجمون لسيرة حياته، وقل المتحدثون عنه في كتب التاريخ والأدب، فأخباره قليلة جدا لا تتكافأ مع منزلته الشعرية، وهذا واضح، فنحن لا نجد في الكتب التاريخية والأدبية عن تميم إلا القليل، والظلم الآخر كان قد وقع عليه وهو حي عندما اتهم من بعض أقاربه أن الأمير تميماً كان يستعين بغيره على عمل الشعر، أي اتهموه بأنه شاعر مصنوع «[١٦] ، ولم يجد شاعرنا معها مفرّا من الرد عليهم وتبرئة نفسه من هذا الاتهام عدا شعره.

ويتساءل د. محمد عبد الغني حسن وأراد بتساؤله إنصاف الشاعر حين قال:» لماذا يستكثر الشعر الجيد على شاعر كتميم بن المعز, والحق أن الشعر موهبة قد تعطى للأمير كما تعطى للفقير ، وقد كان هناك في الأدب العربي ملوك وأمراء يقولون الشعر ويجيدونه ,كامرئ القيس في الجاهلية , وابن المعتز في الإسلام فلماذا لم يستكثر عليهم ما استكثر على تميم»[١٧].

ويرى د. محمد زغلول سلام أن « الأمير وُهب حظين في الحياة حظ الإمارة وعيش الثراء والنعمة، والتمتع بكل أسباب النعيم، وحظ الشعر»[١٨] ، وإن شعر تميم بن المعز الفاطمي يزخر بكل روعة شعرية بما امتاز به من رقة وعذوبة وتشبيهات جميلة ، فقال عنه محمد حسن الأعظمي إنه : «من مصاف الشعراء الأمراء الفحول الذين ولدوا والشعر بيوم واحد»[١٩].

ثانياً: خصوصية المصطلح.

الرمز لغة :»الإشارة بالشفتين ، أو العينين ، أو الحاجبين ، أو باليد والفم أو اللسان»[٢٠]،وعند صاحب اللسان فهو»تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم ، من غير إبانة صوت ،وإنما هو إشارة بالشفتين»[٢١].

أمّا في المفهوم الاصطلاحي: فهو احد أقسام البلاغة الذي جعل ضمن الكناية غالباً[٢٢]، إلا انه لم يحظ بالاهتمام الذي حظيت به الكناية أو الأقسام الأخرى؛ إذ يرى ابن وهب الكاتب(ت ١٢٥هـ)أنّ الرمز هو « ما اخفي من الكلام ، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه، في ما يريد طيه عن الناس ، والإفضاء به إلى بعضهم ، فيجعل للكلمة أو للحرف اسما من أسماء الطيور أو الوحش ، أو سائر الأجناس ، أو حرفا من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك من يريد إفهامه رمزه ، فيكون ذلك قولاً مفهوما بينهما ، مرموزا عن

غيرهما»[٢٣] .والجاحظ (ت٢٥٥هـ) يعده من أدوات البيان الخمس[٢٤].

ويستشف من المعنى اللغوي والاصطلاحي بأن الرمز ما اخفي من الكلام الحقيقي، وأشار إليه بدلالة مختصرة بعيدة عن الواقع ؛ لأن الرمز معناه « الإيحاء أي التعبير غير المباشر من النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على إدراكها اللغة في دلالاتها الوضعية ، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء» [٢٥] ، فوظيفته الإشارة أو الإيحاء بمعنى خفيٍّ خلفه .

ويعدُّ الرمز أحد أهم الروافد التي أثرت على النتاج الأدبي على اختلاف أنواعه شعرا ، ومسرحا ، ورواية ، وهدفُ الأدباءِ في توظيفهم الرمز أن يتخلص فيه الأديب من المباشرة عن طريق الإيحاء ؛ لذلك يعُد الرمز خاضعا «لمستويات عديدة من التأويل والتغيير»[٢٦]، ويشير موضوع الرمز إلى موضوع آخر يفهم من الدلالة السياقية للنص ، فالنص الأدبي غالبا ما يعتمد على الإيحاء أو الإشارة بالأفكار والمشاعر بدلا من تقديرها أو تسميتها.

ويرتبط الرمز الشعري بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر ؛ التي تمنح الأشياء مغزىً خاصاً؛ إذ تتفاوت أهمية الأشياء بالنسبة للنفس الشاعرة وهي في بؤرة التجربة [٢٧]، فنجد النص الشعري يحمل رموزاً متعددة ومتنوعة ، والرمز المكاني واحد من تلك الرموز التي تُحمل النص فضاءً للقراءات المتجددة متنوعة الدلالات، والرمز المكاني من أصعب ما يمكن أن يدرجه الشاعر في نصه ؛ لأن هذا يقتضي فنية وبراعة ومتانة في الأسلوب ؛ إذ تكمن فيه رغبة الشاعر بحسب رؤيته الفكرية واندفاعه النفسي والموضوعي مما يقوده إلى انزياحية في أسلوبه فـ « كل عمل أدبي مهما كانت قيمته أو مدى تماسكه، يشتمل على مدلول رمزي ، فهو جهد ذو منطويات رمزية تضيء لنا عالم الكاتب ، وتفصح عن مخبآت نفسه وما فيها من قيعان أو ذرى نفسية ووجدانية »[٢٨] .

وبما أنّ الأماكن قد تنوعت لدى شاعرنا، وذلك على وفق التجارب النفسية التي عاشها ، فقد كان للرمز في المكان عنده خصوصية كبيرة ؛ إذ تعامل معه تعاملا رمزيا ، منحه أبعادا فكرية ، وفنية ، ونفسية ، وجمالية ، جعلت من متلقي النص في حالة تواصل مستمر لاستنباط إيحاءات النص ومعرفة مدلولاته.

وقد اقتضت طبيعة البحث التعرف على الدلالات الرمزية للاماكن وخصوصيتها في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، في ضوء نظرة الذات الشاعرة لأماكنها المتعددة ، واكتشاف ابرز المدلولات الكامنة وراء رمزه المكاني ، وتباين الدلالات بين مكانٍ وآخر.

المبحث الأول : رمزية المرأة

إنَّ حضور المرأة في التراث الشعري قديم ،ولا يكاد يدانيه حضور، فقد ارتبط المكان وبخاصة – مكان الأهل – بفقدان المرأة الحبيبة عند الشاعر العربي ، فهي عامل التواجد الإنساني؛ إذ كانت نظرة المجتمع إلى المرأة عن طريق امتزاجها بالمكان ، وإعطائهِ دلالة الحياة، والألفة «فالأرض العامرة مرتبطة

بالمرأة ، وهذه الأخيرة رمز العطاء والعمران والتواصل،ولذلك فرحيلها عن المكان أو منع الشاعر من التواصل بها يعني اندراس معالمه وتحوله إلى أطلال متهدمة»[٢٩]،وهي بالنسبة للشاعر العربي مركز استقراره ، ومصدر إلهامه ويردد ذكرها في كل مناسبة للقول ، فيفتتح بها قصائده ، ويقف على أطلالها باكياً ، ويكلم منازلها مشتاقاً[٣٠]، ودائما ما كان يربط الشاعر العربي بين ذكر المرأة وبين مكانها الذي تسكن فيه ، فهو « يشفع حبه لبيئته بحبه لمحبوبته ، ويهيج في نفسه حبه لمحبوبته حبه لبيئته «[٣١].

وتكمن قوة إبداع الشاعر في حضور المرأة فيه؛ لما ترفده من تشعبات خيالية، وتحولات دلالية في النص؛ عبر الصور الشعرية مقارنة بوجودها الواقعي,وكانت في شعر تميم بن المعز حقيقة ورمزا في آن واحد, وقدمت في قالب إيحائي جميل ؛ لأنها رمزٌ للعطاء ,والجمال,والحياة,والمتنفس الوحيد الذي يعمد إليه الشاعر,لإخراج ما في نفسه من ألم, وقهر يبوح به في شعره ، فوجد في الرمز الملجأ الذي يلجأ إليه ، وبخاصة أنها عند شاعرنا لم تكن ذاتا جوهرية ؛ لأنها « ليست صاحبة,ولا زوجا,بل هي غالبا غانية أو قينة ,من نساء المتعة ,تمتعه حسا,بمتع الجسد,وصوتا,بلذة الغناء»[٣٢]، ولذلك صارت المرأة موضوعا أو أداة رمزية قابلة للتوظيف أو التحميل الدلالي المتعلق بقطب مركز واحد وهو الهروب من الواقع الذي يعيش فيه شاعرنا.

يقول شاعرنا في هذا السياق:

(الطويل)

خليل هل بعــد الفراق تواصل
وهل بعد توديع الحبيب مقامُ
دهتني النوى حتى كأن أحبتي
على القرب مني والـدنُّو حرامُ
ومما استهام القلب وهو مُصـدعٌ
وأوهى جُمانَ الدمع وهـو سجامُ
مطّوقةٌ ورقاء تندب شجـوها
وتسهر فيه الليل وهو تمامُ
تنوحُ بلا دمعٍ وللحزن آيةٌ
على نَـوْحِها مشهورةٌ وغرامُ
ألا يا حمام الأيك مالك والهاً
كأنك ممن أسكرتــه مدامُ
كلانا محبٌ صدَّع البَيْن شمله
وكل محب بالفـراق يُضامُ
سـلام على من حَجَّبَتْ شخصَهُ النوى
وان كان لا يغني المحب سـلامُ[٣٣]

يضعنا الشاعر بإزاء موقف من اشد المواقف على الإنسان قسوة ,ألا وهو الرحيل ، ومفارقة الوطن والأحبة ,ويحملنا إلى عالم الذكريات ,أو مناجاة أحباء نأوا وتناسوا فجاء يوقظهم ويذكر حنينه وشوقه، ويخاطب طائر(الورقاء)عندما سمعه ينوح على غصن الأفنان ، فكلاهما معذبان من فراق الحبيب,وكلاهما صدع لفراق حبيبته,وأصاب صميمه,ونحن نجده في هذا النص يحمل الشوق، ويذكر بفراق الحبيب ما هو إلا رمزٌ للوطن، والحنين العارم إليه ، مما جعل النص في حالة تواشج كبير بين الحبيبة ، ومكانها ، وهذا أسهم في بلورة

رؤية الشاعر للمكان عندما مزج شوقه بين الحبيبة والوطن ،فعبر عنه في تجربته الشعرية التي تحمل رمزا إلى عالم آخر , فالواقع الشعري « إذ يستمد مادته من واقع الحياة من حوله ولكن هذا الواقع على الرغم من ذلك يستحيل في الشعر إلى واقع آخر متميز من الواقع الحقيقي الذي صدر عنه؛ لأن الفن عامة والشعر خاصة لا يقصدان إلى تصوير الحياة كما هي في حقيقتها تصويرا فوتوغرافيا»[٣٤].

ويقول أيضا:(الخفيف)

ظلموا البين والنّوى والرَّقيبا
والنَّوى لا تُبعّدُ المحبُوبا
إن يكن دون من أُحِبّ حجابٌ
فعنِ القلبِ لم يَرح محجوبا
لا أذُمّ الفراق في بُعد من قد
سكنَ العينَ والحشا والقلوبا
لا ولا أظلم الوُشاة ولا أشكو رقيباً ولا أذُم شحـــوبا
ما وشى به سوى الدموعِ ولا أضحـ
ـــى سوى مهجتي عليه رقيبا
ولو إني رَعَيتُ حقَّ الهوى لـم
أمنعِ الجسمَ بعدهم أن يذوبا
خُدَعُ العاشقين رقَّت فشقّوا الـــــ
جيب يوم النّوى وحثوا النَّجيبا
إنما رقّهوا القلوب وعافُـــوا
شقَّها سلوةً فشقوا الجيـوبـا[٣٥]

شكلت المرأة في شعر تميم ثيمة أساسية كشفت عن حضورها الواسع والثري بمعانيه ودلالاته , بصورة عبرت فيه عن انشغال الشاعر بها , وهي هنا تبرز العلاقة بينها وبين الأرض أو الوطن بعد الفراق ؛ إذ إن الانفعال الناتج من فراق الحبيبة ينتقل إلى الأرض فتكون المرأة رمزا لذلك الفراق الأرضي[٣٦]. وتمثل المرأة جزءاً من المكان ، وسبباً من أسباب وجودها فيه, لما امتلكه المكان من ميزات تجعله بؤرة إشعاع ؛ تجسده المرأة في حياة الشاعر,وعند غيابها من المكان يهيج ذكراها فهو يقول :

(الطويل)

ذكرتِك بالـريحانِ والراح ذكرةً
مردَّدةً كادت لها النفسُ تُزهقُ
فلمّا تناولن الغِناء شوادياً
وأتبع مزموماً من الضَّربِ مُطلقُ
تتبَّعتِ العينانِ شخصك فيهم
فلما نأى ظلت دُموعِي تَرقرق
إلى الله أشكو فقدها مثل ماشكا
إلى الله فقد الماء عَطشانُ مُوثقُ
كأن فؤادي مُنذُ بان بها الرَّدَى
جناحٌ وَهَت أجزاؤهُ فهو يخفُقُ[٣٧]

ففي هذا النص خلا المجلس من شخصها,فراح يبكيها ويتذكرها ,وينعى على نفسه فقدها, فالمرأة هنا رمزٌ للمجلس الذي عاش فيه أحلى الذكريات وأجملها , وهذه المقطوعة حملت تدرجا في الأحداث وكأنه يعالج حكاية درامية شكل مجلس الأنس بما فيه من شواد , وعازفين وحدة المكان فيما الشاعر بطل هذه الحكاية، وشكل الموقف وحدة زمنية جمعت أركان الحادثة ، فهذه محاولة إثبات وجود المرأة في المكان الآني، وقد تحقق حضورها عبر تجسيد دلالة المكان

فيها .

وكانت المرأة حاضرة في خيال الشاعر, وهو دائما ما كان يستمد محفزاتها من موجودات المكان كي تهيج مشاعره وأحاسيسه, وهو في مكان الغربة يحدث نفسه, كأنه يكثر من لومها, ويحملها سبب بعد حبيبته عنه وسبب ابتعاده عن أرضها ,فجاءت المشاعر جياشة طافحة بالصدق ,والألم , والشكوى ؛ لأنه يتلوى لفراق الحبيبة وفراق الوطن ,ويذرف بدل الدموع دماً لفراقهما ,فقد كان الشاعر العربي منذ القدم «وفياً لذلك المهد والمراح كل الوفاء لا يفتأ يذكر اسمه في لهوه وجده, فإذا أنشد في غرامه ذكر اثنين:محبوبة صافاها وده, ومربعا رتع هو وإياها على عهده»[٣٨]، ولهذا اتخذ شاعرنا من المرأة رمزاً لحنينه وأشواقه, وبخاصة في المقدمات الغزلية, حيث تصبح المرأة مرتبطة بتجربة الغربة التي عانى منها الشاعر منذ أن خرج من وطنه فيقول: (المنسرح)

ما قال أوَّه لفقده واها

كمستريحٍ لقوله آها

تبرُّمُ النفسِ من بلابلها

يُفسد إقرارها ودعواها

إن يحجُبوا وصلها فما حجبوا

عنّي سُرى طيفها وذكراها

بعيدةُ الدار وهي دانيةٌ

منّي على بعدها ومنآها

في ناظر القلب شخص مرآها

وفـي صميم الفؤاد مَثواها

غَرّاء للدِّعِص ملءُ مـئِزرها

وللقضيب الرَّطيب أعلاها[٣٩]

أعارت الرّاح لون وجنتّها

وطبع ألحاظها ومعناها

فالخمرُ لو لم تكن كمقلتها

في الطبع ما أسكرت نداماهـــا[٤٠]

ذكر الشاعر في هذه المقدمة الغزلية والتي أراد بها مدح الخليفة العزيز بالله ، فذكر محبوبته التي بعدت عنه, وظل سحر خيالها يراوده ,ولم يستطع أن يمنع نفسه من تمثل شخصها في مخيلته، ومحبوبته (المرأة)، هنا رمزٌ للخلافة المسلوبة منه, وكان تميم بن المعز يظن أنه الأجدر بها, فكانت معاني الغزل فيها مرتبطة بتلك الخلافة التي حرم منها , وقد دلت عليها عبارات منها (تبرم النفس),و(إن يحجبوا وصلها),و(فما حجبوا عني سرى طيفها وذكراها),و(بعيدة الدار وهي دانية)،كلها إشارات لحقه المسلوب ، وعندما يقول : (في ناظر القلب شخص مرآها), كأنه قد يئس من استعادة حقه الضائع, فكانت أحلامه مسرحاً لطيفها وخيالها، ويعزز ذلك نبرة الحزن ، واللوعة ، والشكوى المريرة[٤١]، وشاعرنا لجأ إلى رمز المرأة؛لأن المرأة صفة أو محل الانفعال لذلك يمنحها الشاعر دلالات ثرة، ولما للرمز من قدرة على جعل الكلمة تثير جملة من الانفعالات القوية,إلى جانب ما تؤديه من معنى[٤٢].

وتكون المرأة حاضرة على مستوى الدلالة الباطنية الإيحائية للنص (التعبير غير مباشر) ,فتغدو رمزاً لمكان افتقده الشاعر وفي هذا السياق يقول الشاعر:

(الكامل)

إن كنتِ مُتهمتي بغدرِكِ فاسألي

عنّي رُكوبي فيِك كُلّ جليل

وفُتور أعضائي ونار تَنَفُّسي

ودموعَ أجفاني وطول نُحولي

وخُفوق قلبي عند ذكرِكِ هيبةً

لك وأطّراحي فيك كُلَّ عذول

أنّي ليعذُبُ لي إليك تذلُّلي

حُبّاً وما أنا في الورى بذليل

وأرى التّهتك في هواك صبابةً

وأرى التَّجمّل فيكِ غير جميل

ولو استطعت خَبَأتُ شخصك غيـرةً

في مُهجتي مَعَ زفرتي وغليلي[٤٣]

نرى الشاعر في هذا النص يعمق الدلالة الرمزية للمكان عبر ما جسدته المرأة وجعلته في مناجاة بديعية يخرج إليها الشاعر، إذ إن المرأة هي الحبيبة وهي الأرض وصلابتها والوطن وكرامته ,وهي منفذٌ من منافذ الانقلاب العاطفي يلجأ إليها الشاعر ليتخذ منها ملاذاً آمنا إذا ما أشقاه البعاد , فيعبر عن عاطفته تجاه حبيبته وهي رمزٌ لبلاده ، ولشدة حبه لها يتخيلها بأنها تعاتبه وتتهمه بالغدر والهجران فمن اجلها تعرض إلى أنواع العذاب من نار الشوق والفراق ، فالمرأة جسدت في شعر تميم بن المعز الدلالة الرمزية لصورة الوطن (مصر) التي غادرها مجبرا في بعض أوقات حياته .

ومثلت المرأة في شعر تميم أيضا منفذا رمزيا لحديث الذكريات وما ينطوي فيها من مغامرات لهو ومصاحبة النساء في أماكن اللهو حيث قال:

(السريع)

كانت رضا النفس ونيل المنى

ولذّةَ العيش وطِيبَ المدام

لهفي على ما فات من قربها

لهفاً له في كلّ عضو سَقام

لهفي على تلك الطِّباع التي

قد خُلِّصت من عَيب وَذَام

لهفي وقلِّ اللهفُ منّي لمن

كان سلّوى عنه كلّ اهتمام

لم ادرِ في حبّي لها ما الأسى

ولا تطعمتُ أليمَ الغرام[٤٤]

يقارن الشاعر في هذه الصورة الرثائية صورة حاضرة لجارية توفيت وصورة الماضي الزاهي حيث الشباب والمتعة واللهو والنساء ، وفي الصورتين إيحاء ودلالة بشدة الصراع النفسي الذي يعانيه حيث جسدت الجارية لذلك المكان الذي كانت النفس ترتاح به وتنال من لذة الحياة فيه رمزا ويتلهف على ذلك المكان الذي كانت فيه تلك الجارية رمزا للحياة .

ويشعر الشاعر بالألم والحرقة كلما تذكر وداع حبيبته فإن»فقد الأحبة في الأوطان غربة ,فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة»[٤٥]،فيقول :

(البسيط)

مازال في الحب شوقٌ موجـعٌ وأسىً

مُبّرِحٌ يقطع الأحشاء والكبدا

حَتَّى رمى البينُ بالتفريقِ أُلفَتَنا

وَحَلَّ من وَصِلها ما كان قد عُقدا

قالت وَعبرتُها مخلوطـة بدمٍ

تجري وأنفاسُها مرفوعةُ صُعُدا

لا تطلُب النطقَ مني بالسّـلامَ فَمَا

أبقى فراقك لي رُوحاً ولا جسداً

فظلتُ ملتثما من صَحِن وَجنتِها

ورداً ومرتشفاً من ثغرها برداً

وطاوياً في الحشا منها رسيسَ هوى

لا أحسبُ الدهر يبلي عهده أبداً[٤٦]

أصبح المكان أكثر من حالة نفسية يعاني منها الشاعر عند فراقه, ففي هذا النص يصور الشاعر يوم الوداع وداع حبيبته,فيجعل من مصر حبيبة يملكها الأسى والجزع حتى لم تعد قادرة على رد السلام,وأي سلام؟ إنه سلام الوداع ,فالنص إيحاء واضح بمناجاة الحس الداخلي للشاعر وهو في ديار الغربة,يتذكر كل شيء في بلده ويناجيه.

ومن هنا تبين أهمية دلالة توظيف (رمز المرأة) رمزا شعريا إيحائيا في الدلالة على حركة الحياة وتبدلها ومنفذا لأحداث الشاعر، ومدلولاً من مصاديق المكان الذي يمثل ماضي الشاعر وحاضره.

المبحث الثاني : رمزية الطلل

المكان في الحديث الطللي لم يعد مكاناً جغرافياً فحسب,بل تحول إلى مكان يرمز به إلى الماضي السعيد, وهذا الحديث الطللي يبدو أنّه قد تحول إلى وسيلة من وسائل التعبير الرمزي التي يصطنعها الشاعر وبخاصة أنّ الطلل يقترن بالمرأة بوصفها رمزاً مؤهلا[٤٧]، ويعد الطلل عاملاً من عوامل التفريغ النفسي؛ إذ يقف الشاعر أمامه مبدياً ضعفه ، وحزنه ، وانكساره وإحساسه بالألم لفراق أحبته ، وماضيه السعيد في هذا المكان ،الذي جعله محفزاً لبث مشاعره الحزينة ، وما تركه المكان من أثر في نفسه . فضلاً عن إيغال الشاعر في خياله ليصطنع كل الدلالات الحيوية الخاصة بالطلل .

ومن الأمثلة على ذلك قول تميم بن المعز الفاطمي في لوحة طللية قدم بها قصيدته في مدح الخليفة العزيز بالله قائلاً:

(الرجز)

ربعٌ لأسماء بـربع دارِ

بينَ نقا الصمّان فالضمارِ[٤٨]

تأبدت إلاّ من الإقفار

ومن شجيج في الثرى موَّارِ[٤٩]

وشـطر نُؤيٍ دارِس الآثار

كأنـــــه مقسمٌ السِّوارِ

أحنى عليها كل غادٍ سارِ

داني الربابِ شاسعِ الأقطار[٥٠]

واهي الكُلى منفتق الأزرارِ

كأن لَمعَ برقهِ المُثَار[٥١]

يفتّر عن مثلِ أوارِ النارِ

أو منتضٍ سيفاً من النضار

أو لاعب في الأُفق بالشرّارِ

يكاد أن يذهب بالأبـــصار

حتى اذا أرخى على النهارِ

هيدبـهُ ليلاً بلا انفجار[٥٢]

وكحل الجو بمثل القـارِ

وقام فيه الرعدُ كالمزمار

غنَّت له الريحُ بلا أوتارِ

ما ظل في رفعٍ وفي انحدار

يختلط الإقبال بالإدبـارِ

ثم حدتهُ الريـحُ باقتدار

حتى تبدّى يـققُ الإزار

واختال بالمشي بلا اسـتدار[٥٣]...

ونمت الأرضُ على الأمطار

بما اكتست من بِدع النُوَّار

من احمر قانٍ على اخضرار

وأبيض قد لاحَ في اصفرار[٥٤]

وقف الشاعر على عتبات المكان (الطلل) في مقدمته هذه فعلى الرغم من اندراس معالمه,عاد ليحتضن رموز الحياة ؛ إذ تكون وظيفة المقدمة أشبه ما تكون «بالشفرة,وتومئ لموضوعها, وتلمع فكرتها»[٥٥] ,وشاعرنا لا يتحدث عن ربع أسماء بوصفه ربعاً لحبيبته الواقعية التي بعدت عنه , وإنما أراد أن تكون منها رمزاً للبلاد المصرية التي نعمت في ظل حكم الخليفة العزيز بالله ؛ الذي أعاد إليها الحياة، ونشر السلام بين ربوعها ,وهذه الجزئية من حديثه الطللي (ربعٌ لأسماء بربع دار) ، (وشطر نؤي) و(تأبدت الأمن الإقفار) يشير إلى ما صنعه الخليفة من توحيد الدولة، وتوسيع سلطانه ، ومن هنا كانت هذه المقدمة رصدا لموضوع القصيدة وجاءت معبرة عن حال البلاد المصرية في ظل حكم هذا الخليفة[٥٦]. فضلاً عن المعجم الطللي الخاص بالشاعر الذي يوحي بمقدرته على خلقه لغة تتناسب مع قوة تأثير هذا الطلل .

وعند النظر في موضوع المكان داخل الطلل نجده تتحكم فيه ثلاثة عناصر وهي عنصر(الزمن) وهو الذي يعطي للمكان القيمة المتغيرة المتحولة ، وعنصر (القلق) بمختلف مصادره الاجتماعية ، والسياسية ، والفكرية ، والعنصر الآخر هو (المرأة) بكل ماتحمل من أحاسيس ومشاعر وجمال ،فهي الماضي والحاضر للحركة الإنسانية[٥٧]، وتتجلى تلك العناصر سابقة الذكر في قول الشاعر :

(الخفيف)

أيُّ ربـــــع لآل هِنـــــــد ودار

جادك الغيث من محلّة دارِ

وثوى فيكِ كلُّ غادٍ وسارِ

حكمت بعد قاطِنيكِ الليالي

فـي مغاني رُباكِ بالإقفـارِ

ورمتِك الخطوبُ منهم ببينٍ

ورحيلُ القطين موتُ الديارِ

فاسقياها الدموع إن بخل الغيـ

ـــــــثُ عليها بواكف مدرارِ

ليس للدمـع إن تأخـر عذرٌ

فدعاه فيها خليع العِذارِ

يا طلول اللوى غدوتِ رسوما

دارساتِ الأعـلام والأحجار

بعد ماكنتِ مألـف العزّ والحسـ

ـن وملهّى لأعينِ النظار

وكذلك الزمان منقلب الحا

لين بين الإقبال والأدبار[٥٨]

اسقط الشاعر في نصه جملة أحاسيسه واتخذها رمزاً لرؤيته الخاصة تجاه مكان الحبيبة، فهو هنا لا يتحدث عن ربع هند بوصفها حبيبة ، وإنما أراد بها رمزاً (لبغداد) التي ساءت فيها الأحوال في الدولة العباسية وهو يتمنى أن يدخلها الفاطميون لتنعم بحياة هانئة كما نعمت مصر؛ إذ إن مناسبة القصيدة جاءت رداً على عبد الله بن المعتز في تفضيله العباسيين على العلويين[٥٩] ، لذلك نرى ثمة صلة بين هذه المقدمة وموضوع القصيدة ، فديار آل هند أصابها الإقفار,والموت، والبلاء برحيل الحبيبة منها ، فوقف يصفها وهو تحت معاناة واضطراب نفسي فأخذ يصور حاله وحال تلك الديار ، فوقوفه على أبعاد ذلك المكان ودلالاته يجعلنا نمسك بخيوط العلاقة التي تربط الشاعر بذلك المكان ، فالأطلال ما هي إلا إشارة رمزية إلى خلود المكان وهو كنواة رحم في ذاكرة الشاعر، قد استطاع الشاعر عبر ما رسمه من ملامح الطلل بالبكاء والأسى تارة وباستشعار عاديات الزمن ، وقدرته على المحو تارة أخرى ، أن يوعز نواة المكان الذي كان يمثل صيرورة حياته المتسمة بالحركية، فجاءت تجربته وهو يبكي الطلل ويناجيه ويصفه بأنه رمز للماضي ، والسعادة ، والحب في كنف ذلك المكان.

ويعد الوقوف على الأطلال عاملا من عوامل التفريغ النفسي ، عندما يقف أمامه منكسراً، ولم يبقَ له سوى ذلك الطير الذي ينوح كما ينوح هو على آثار الأحبة والماضي السعيد عندما يقول :

(البسيط)

لولاه لم ألق في آثار دارهم

لي مُسعدا يؤنس الأطلال والبِيدا

بكى فأبكى جفوني مِلئهُنّ دما

وجدَّد النوح لي إذ ناح تجديدا

الفى والفك بانا ياحمامُ فنُح

حتى تنوح ونستبكى الجلاميدا

ويلُ امّه ساق حرٍّ زاد مُحزنُه

بثّا على حُزن أيُّوبٍ وداودا [٦٠]

يمثل الطلل هنا رمزا يبتغي الشاعر من ورائه ما هو أعمق من المعنى الظاهري، فهو رمز لوطنه الذي بعُد عنه، وراح كل شيء يذكره به حتى طير الحمام بنوحه يذكره ، وعادة ما كان الطلل عند الشعراء في مثل هذه المواقف» ما يثير عواطفهم الحادَّة ، ويلزمهم بالوقوف عند هذه القطعة الزمنية العزيزة ، التي ذابت بين حناياها أعز الأيام ، وأحجارها أغلى ذكريات الصبا ، وأيام الشباب الزاهرة»[٦١]، وبهذا وجدنا الطلل جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشاعر واتخذه أداة رامزة لأمكنته التي أراد الإشارة إليها بطريقة غير مباشرة .

المبحث الثالث:المكان المعنوي

يقصد به ذلك المكان الذي يتشكل في إطار التركيب المجازي للغة الشعرية، أي هو ذلك المكان غير الحسي الذي لا يدرك بالحواس ,وإنما يدرك بالعقل عبر التشكيل اللغوي ، ويمتاز بتجريده عن الأبعاد الهندسية الطوبوغرافية من حيث الطول والعرض

,والارتفاع ,ولكنها تشترك مع الأماكن الحسية في صفة الاحتواء والضم وهذه أهم خصيصة في المكان[٦٢].

وثمة عدد من الألفاظ الموحية التي تم استقراؤها في شعر شاعرنا يمكن تسميتها بأماكن غير محددة من ذلك قوله :

(الخفيف)

ظلموا البين والنَّوى والرَّقيبا

والنَّوى لا تُبعِّد الـمحبوبا

إن يكن دون مـن أحبّ حجابٌ

فعن القلب لم يَرح محجـوبا

لا أُذُم الفراق في بُعد من قد

سكنَ العينَ والحشا والقلوبا[٦٣]

شاعر عاشق له قلب أكثر ما يخشاه عليه هو (البين ، والنوى ، والرقيب)؛ لأنها مجلبات للهم والغم والكدر , ولكي يتغلب على ذلك جعل شاعرنا من قلبه بيتا معدا لسكن الحبيب ؛ إذ إن الحبّ تجربة روحية ترتبط بمعاني الطهارة والعفة أمام الشهوات , فالشاعر أراد أنْ يبين للحبيب منزلته في نفسه فأعطاهُ هذه المنزلة وهي السكن في القلب ، والعين ، والحشا ، والقلوبا دلالة على الحضور الدائم في الوجدان.

وفي موضع آخر يبين منزلة المحب في العين والقلب ،فيقول :

(الكامل)

الشوقُ يستسقي العُيون الأدمعا

والـعدلُ يسقي القلب سمّاً مُنقعا[٦٤]

فهو قد جعل من العين مكاناً للشوق والدمع ، الذي فيه راحة للنفس العاشقة حين ينفس الإنسان عن همومه بدمعه المنحدر من عينه ، والقلب هو الآخر مستودع للعذل الذي شبهه بالسم يسقي قلبه ,فالشاعر متيم القلب ,يتقلب على حرارة الحب والعاطفة والحنين ,لا يقبل العتاب واللوم لأنه يرى فيه سماً يهتك العاشق.

وفي السياق نفسه يجعل قلبه رقيبا عليه قبل أحبته ,فيقول :

(الطويل)

تـرى عِندهم علــمٌ وان شطّت النّوى

بأنّ لهمُ قلبي علىّ رَقيبُ[٦٥]

ففي حالتي الحضور والغياب يكون قلب الإنسان رقيباً عليه ، يهيج مشاعره بالمودة والعشق ؛ لأن القلب مصدر للحب والعاطفة ؛ ولأن الحب كيان يجتاح جسد الإنسان وقلبه ، فلابد من وعاء يحتوي ذلك الكيان ,والقلب في جسد الإنسان هو الوعاء الحاوي لذلك الكيان ؛ لأن القلب هو منبع العواطف وبؤرة تجمعها .

لقد عُدَّ القلب مكاناً موازياً للمكان الحقيقي ,فالاثنان يحملان تعبيرا خاصا بهما ، وذلك عبر اللغة التعبيرية للمكان ؛ لأنها لا تبقى عند حده الجغرافي , وإنما تنتقل إلينا بصورة أو بأخرى ، ومثلما يكون المكان الحقيقي مصدرا للحب والبغض لفعل الخير والشر ,للفرح والحزن كذلك القلب ذلك المكان المعنوي ؛ لأنه غير محدد بحدود فيحمل إيحاءات متباينة يسعى الشاعر إلى إيصالها ، فيقول :

(البسيط)

مودّةُ العين لا يزكـو الوفـاءُ بها

والودُّ بالقلبِ ليس الودُّ بالنظرِ[٦٦]

يتمركز النص حول مكانين أولهما :العين , القلب ، والشاعر في مفاضلة المودة التي تنطلق منهما ,فالود «مصدر المودة , وهو الحب يكون في جميع مداخل الخير»[٦٧]، وشاعرنا تميم الفاطمي في بيته هذا فضل المودة التي يخفيها القلب على المودة الظاهرة من العين ,لأن مودة العين لايليق الوفاء بها . وكثيراً ما تكون ألفاظ المكان المعنوي مرتبطة ًبالفخر بالذات ، والطموح نحو العلى كأن الشاعر وجد ضالته فيها ومثل ذلك في قوله :

(الطويل)

ولكنّني للمجد أرتـاح والعلى

وللجود والإعطاء أصـبو وأطرب

وللحلم يوم البطش منّي حمّيةٌ

وللحفظ يوم الغدرِ فيّ تغضُّب

ومن بين جنبيه كنفسي وهمّتي

يروح له فوق الكواكب مَوكب

ومن أين لا أغدو ولي كلّ مفخرٍ

يضيقُ افتخار الناس عنه ويُحجبُ[٦٨]

فقد حمل النص دلالة تعبيرية عن المنزلة الاجتماعية التي رمز بها الشاعر إلى ذلك المكان الذي يفتخر فيه بمجده , وعلاه , وكرمه , وحلمه , وعلو همته , فالشاعر يفتخر بقيم عالية , وجدها متمثلة في شخصه بسبب «مكانته من البيت الفاطمي تسمح له بأن يفخر , ويطيل الفخر إلى ابعد الآماد «[٦٩].

ومن ذلك ايضا قوله: (الخفيف)

لا ألفِتُ العلى ولا ألِفَتني

إن تـوشحتُ دونها بوشاح

أو ترفّهت أو تشاغلتُ عنها

بأباطيلِ قينةٍ أو بِراحِ

انا فـردُ النُّهى وربُّ المعالي

وحُسامُ الكِفاح يوم الكِفاح

انا كالجدِّ في الأمور إذا ما

كان غيري فيهن مثل المُزاحِ[٧٠]

تكتسب القيم الاجتماعية نعوتا مكانية للدلالة على سموها ومكانتها وجدارتها فـ (الشريف),و(الوضيع) ,و(المعالي),و(العلى),و(الدني),و(الصغير),و (الكبير)،الخ أوصاف يجسدها الموقف البصري ، ويحد حدودها شكلا ومضمونا ولها اثر عند الإنسان في لحظة من تاريخه، واستعارة معانيها لقيمة اجتماعية[٧١]، وفي هذا النص الشعري ارتبطت لفظة (العلى) ، و(المعالي)، وفيهما إشارة إلى مسألتين، الأولى: إشارة بصورة غير مباشرة للمنزلة الحقيقية التي كانت من حقه بتوليه الخلافة ،ويؤكد بأن لا صلة له بالعلى,ولا للعلى صلة به , إذ حجب وجهه عنه , أو تشاغل عنها بطلب القيان والراح ، رب المعالي وسيدها أي المكان العالي الذي يجب أن يكون فيه بدلا من التنقل بين البلدان . ويعبر المكان المعنوي– في بعض الأحيان- عن العلاقة الأليفة بين الشاعر وممدوحه لذلك يتغنى بالقيم العليا التي يتصف بها الممدوح ليعكس منزلته الاجتماعية .

يقول في ذلك :

(المتقارب)

ليهنك يابدر أفِقِ العلى

ولادةُ شـمِسك للأنجم

أتتك بـه خير من يعتزى

لمجد وأكرم من يَنتمِى

يزين للعلى ويبثّ النَّدى

ويجلو سواد الدّجى المظلمِ

فهنّيته مطلع الفرقـدين

ومُلِّيتَه مـدّة الأزلم

ولازلتُ في شرق المكرمات

مكان السَّوار من المِعصَم

أكافيك بالمدح قبل الفعال

على ودّك الأطيب الأكرم[٧٢]

أدت الدلالة التعبيرية دوراً بارزاً في إظهار قيمة المكان المعنوي المتمثل بـ (أفق العلى ، المجد ، مطلع الفرقدين ، مكان السوار) ، عبر المظهر الخارجي للتعبير إذ يصب اهتمامها فيما تتركه من أثر في متلقيها ؛ لأنها تعتمد أساسا على واقعية الأشياء والشعور بها فتترك لدى المتلقي إشارة ، أو تلميحا يتم في ضوئها صياغة مكانية تتحد خصائصه ومميزاته ودلالته .

والاتجاهات والمسافات هي الأخرى شكّلت مقاييس مكانية تحفظ للكائن الحي توازنه في المكان , وتعطيه ذلك الإحساس بالانتماء إلى مكان ما ,فإذا بعُد عنه أحس بالغربة[٧٣]، وتتعامل الذات الإنسانية مع الاتجاه المكاني خارج المفهوم الجغرافي؛ وذلك عبر ما تحمله من دلالات تعبر عن المشاعر، والقيم المصنوعة بمادة اللغة ، وتساعده في ذلك المخيلة ، وتحمل الاتجاهات دلالات مختلفة نتيجة علاقة الشاعر بها فيستعمل الشاعر(الشرق – الغرب)، للدلالة على الاتساع والانفتاح في قوله : (المنسرح)

ياآل عبَّاسَ أنتُمُ لبِنِي الزّهـــــ

ـــــراءِ ثأر وقد دنا الأجل

لاصَحَبتِنِي يدي ولا اتَّسَعَت

إلى بلوغِ العلى بي السُّبُل

إن لم أزُركُم بجَحفلٍ لِجبٍ

سماؤهُ البيضُ والقنا الذُّبُل[٧٤]

يَسُدُّ شرقَ الدّنا ومغربها

به الكُماةُ الضَّراغِم البُزُلُ[٧٥]

في كبِد الأرض منهمُن خسفٌ

وفي فُؤادِ السُّها لهُ وجلُ

يصبحُكُم في خِلالِ داركُمُ

به هِزبرٌ من هاشِمٍ بَطَلُ[٧٦]

يرسم لنا الشاعر صورة تعبر عن الحالة النفسية للشاعر في ردة فعله تجاه ما صنعه العباسيون بآل البيت (عليهم السلام), من ظلم وتعذيب ,ويتوعدهم بجيش يمتـــــد مـــــن مشارق الأرض إلى مغاربها من كل مكان يحيط بهم ,فهو يعبر عما يعتري بداخله من تلك المشاعر الملتهبة ، فهو لكي يرهب العدو يصف اولاً الامتداد المكاني الذي يسير منه الجيش من الشرق إلى الغرب ، فهذان الاتجاهان حملا دلالة الاتساع المكاني الذي يلف بأعداء آل النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم).

وتتلون الاتجاهات في مختلف المستويات الاجتماعية ,والنفسية, والفكرية , لما لها من أثر في حياة الإنسان ,فترتبط بالذات الإنسانية فهي تارة تحمل دلالة الحب ، وتارة أخرى تحمل دلالة البغض[٧٧]، يقول الشاعر : (الكامل)

لا أستكين من الزمان ضراعةَ
كلّا ولا أشكو وغاه تَوَجُّعا
وإذا وَعدَتُ وفيت لا مُتبَرِّمًا
وإذا هممت فعلتُ لا مُتَوقِّعا
لا تُبطِر السَّراءُ بي خُلُقًا ولا
أغدو على ضرّائها مُتخشِّعا
لي في المشارق والمغارب جولةٌ
يغدُو بها قلبُ الزمانِ مُصَدَّعا[٧٨]

استمد الشاعر هذه المقطوعة من واقعه الذي عاشه فوجد أنّ البوح به عبر شعره راحة له,فجاءت لوحة امتزج فيها الماضي بالحاضر عبر ما أوحت ثنائية (المشرق –المغرب) عن جولات الشاعر في بقاع الأرض وغالباً ما تأتي الدلالة المكانية في بنية النص مفعمة بالجو النفسي ، الذي يشكل المخاض الحقيقي للمعاناة البشرية[٧٩], فهذه الجولات في مشارق الأرض ومغاربها كان لها اثر في نفسية الشاعر، ولهذا الأثر استجابة واضحة في شعره. وهذا ما وضحه عندما رجع من الشام إلى مصر ليمدح أخاه العزيز بالله قائلا:

(الطويل)

رجعتَ وقد قضّيت مالم يقضِّه
إمامٌ وما لم يحوِ أمثاله عصر
يفتح بشرِق الأرض والغرب ذكرهُ
تغنّي به الدنيا ويحدو به السّفر [٨٠]

فالمسافة هي الأخرى شكلت ملمحاً بارزاً في شعر الشاعر ؛ إذ تحمل دلالة زمانية ومكانية في آن واحد ، وتعمل المخيلة الشعرية بتأثير العامل النفسي على أن تبني أبعادا قائمة على القريب والبعيد وتنضجها داخل إبداعها الشعري. لقد تجلت تلك المسافة بالقريب والبعيد في شعر تميم ؛ إذ أوحت هذه الثنائية برموز مكانية متباينة عبر ما يشير إليه القرب من اطمئنان نفسي واستقرار وجودي يدل على المودة والمحبة , على عكس البعد الذي يحمل معاني الفراق والسوء ، فيكتب شاعرنا إلى أخيه يبين مكانته في قلبه حين يقول :

(البسيط)

إني وان كان لي قلب أراك به
في القرب والبعد يابن السادة الغُررِ
فليس يُقنعني رؤياك منفرِدا
بالفكر إن لم تكن رؤياك بالبصر
عينُ المحبّ على مافي جوانحه
دليلهُ فاختبر ماشئت بالنظر
من كان في قلبه أو حبه كدرٌ
فان حُبَّك في قلبي بلا كدر[٨١]

نجد الشاعر في هذه الأبيات قد استعمل (القرب – البعد) كي يدل على منزلة الممدوح في قلبه ، فهو في حالة تواجده بالقرب منه أو بعيدا عنه فمنزلته في قلبه ويشاركه في التفكير حتى وهو بعيد عنه ، وتكمن رؤية الشاعر في مسافة القريب والبعيد بأنها ثنائية

قائمة على الامتزاج والانفكاك ،وفي ذلك يقول :

(المتقارب)

فيا مُلبِـسِي النِعَم السابِغـات

وموجِبَ حقّي ومُعْلِـــــى مكاني

ملكتَ ثنائي ببذل الجميل

ووصلِ الأيادِي وقربِ التّداني

فأصبحتُ عنك حسِير الجفون

إذا رمتُ شكرا كليل اللِّسانِ[٨٢]

يحمل النص إشارة على ثنائية مكانية معنوية متجلية بـ المنزلة والمكانة العالية التي منحها الممدوح للشاعر والأخرى متمثلة بأنه جعله قريباً منه .وأراد من ذلك أن يبين مدى التواشج والعلاقة المتينة التي تربطه بأخيه الممدوح فالقريب للنفس تكون منزلته قريبة وان بعُد عنه مكانيا .

الخاتمة

بعد أن أنهت الدراسة رحلتها مع شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي لا بد أن نسجل أبرز النتائج التي أفضت إليها مفاصلها وبالنقاط التي ذكرها :

١. عُد الرمز من أبرز الأدوات التي تسلح بها شاعرنا لبيان أهمية المكان عنده وكيف أشارت إليه لإظهار جوهرية ذاته ومدى تمسكه بالمكان .

٢. شكلت المرأة جزءاً من المكان وسبباً من أسباب وجودها فيه ، والذي أسهم في بلورة رؤية الشاعر للمكان عندما مزج شوقه بين الحبيبة والوطن ، فحملت رمزاً للوطن والحنين العارم إليه .

٣. تخطى الطلل في شعر تميم ظاهرة الحجارة والنؤى والأثافي ورمز به إلى الماضي السعيد حيث المكان الذي يفيض بالذكرى والشوق للأهل والأحبة .

٤. يعد المكان المعنوي مكاناً لا يدرك إدراكا مباشراً إنما يفسر تفسيراً ذهنياً عبر المعنى الدال عليه من خلال إكساب بعض الأفكار نعوتاً مكانية للدلالة على سموها ومكانتها .

الهوامش

١. ينظر: ترجمته ، وبعض أخباره ، وشعره في ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : المقدمة ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ١/ ٤٥٢، والمنتظم في تأريخ الملوك والأمم : ١٤ / ٢٦٢ ، والحلة السيراء:٢٩١/١ , ووفيات الأعيان: ٨/١، والوافي بالوفيات : ١٠ / ٢٥٤لا، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ١٣٨/٤ ,ومعجم المؤلفين: ٤٥٩/١ والأعلام: ٢/ ٧٢، واعيان الشيعة :٥ /٥٦٠ ,وتاريخ الأدب العربي : كارول بروكلمان :٤٨٥ ، وعبقرية الفاطميين : ٢٣٥ ــ ٢٣٩ ، ومصر الشاعرة في العصر الفاطمي : ٢٠ -١٣٤ .

٢. المهدية , وهي مدينة افريقية منسوبة إلى المهدي جد الشاعر . ينظر : معجم البلدان :٢٣٠/٥ .

٣. ينظر: سيرة الأستاذ جوذر: ١٠٠.

٤. الديوان ، مقدمة المحقق: ط ١ : م .

٥. المنصورة , وهي مدينة قرب القيروان استحدثها المنصور بن القائم بن المهدي سنة ٣٣٧ ,ثم صارت منزلا للملوك من بعده . ينظر :معجم البلدان : ٥ /٢١١ .

٦. ينظر: تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال :٢٧.

٧. زهر الآداب وثمر الألباب: ٢/ ٧٥٧.

٨. ينظر: وفيات الأعيان:٤/٣.

٩. الحلة السيراء : ١/ ٢٩١.

١٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ١٤/ ٢٦٢.

١١. المواعظ والاعتبار: ٢/ ٧٤٣.

١٢. في أدب مصر الفاطمية: ١٤٦.

١٣. الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي:٢٢٥.

١٤. تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال:٤٧.

١٥. مصر الشاعرة في العصر الفاطمي: ٢٥-٢٧.

١٦. ظهر الإسلام :١ /٢١٢ .

١٧. تميم الأمير الشاعر:٤٢.

١٨. الأدب في العصر الفاطمي : ٢ /٧٥ .

١٩. عبقرية الفاطميين : ١٩ .

٢٠. القاموس المحيط ، (رمز).

٢١. لسان العرب ، (رمز).

٢٢. ينظر : مفتاح العلوم :٤١١ ، الإيضاح في علوم البلاغة :٤٤٦ .

٢٣. البرهان في وجوه البيان :١٣٧

٢٤. أدوات البيان الخمس ، هي (اللفظ ، الإشارة ، العقد ، الخط ، الحال) ، ينظر :البيان والتبيين :١ /٧٦ -٧٩ .

٢٥. الأدب المقارن : ٣٩٨.

٢٦. الرمز في مسرح علي عقلة عريان (رسالة ماجستير) ، غانم صالح الحمداني ، جامعة الموصل ٢٠٠٤ :٦ .

٢٧. الشعر العربي المعاصر ــ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ــ :١٩٨.

٢٨. في حداثة النص الشعرية : ٥٥ .
٢٩. دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر:٧٩- ٨٠ .
٣٠. ينظر: الشعر الجاهلي(مقاربات نصية):٢٥٢.
٣١. الوطن في الأدب العربي: ٢٧.
٣٢. الأدب في العصر الفاطمي: ٦٤/٢.
٣٣. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٣٧٥.
٣٤. بين القديم والجديد:٨٧.
٣٥. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:٧٥ -٧٦.
٣٦. ينظر:المرأة بحث في سيكولوجية الأعماق:١٦٦.
٣٧. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:٣٠٣.
٣٨. الوطن في الأدب العربي:٢٧.
٣٩. الدعص ، كثيب الرمل,اللسان (دعص) .
٤٠. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:٣٤ -٣٥ .
٤١. ينظر: حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية ،(أطروحة دكتوراه) ، محمد حسين المهداوي ،كلية الآداب، جامعة الكوفة ، ٢٠١١ :٢٠٤ .
٤٢. ينظر:في النقد الأدبي الحديث:٢٠١.
٤٣. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٣٢٥.
٤٤. م .ن : ٤٠٦.
٤٥. أدب الغرباء :٣٢.
٤٦. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :١٣١.
٤٧. ينظر:الصورة الفنية في الشعر الجاهلي:١٣١.
٤٨. الصمان ، ارض غليظة دون الجبل ,وكانت في قديم الدهر موضعا لبني حنظلة,وقال: بعضهم هي جبل أحمر في أرض تميم,وقيل ، هي من نواحي الشام بظاهر البلقاء، معجم البلدان:٣/ ٣٢٤ ,الضمار، موضع بين نجد واليمامة ، معجم البلدان:٣ /٤٦٢.
٤٩. تأبدت ، توحشت,وتأبدت الدار، خلا منها أهلها وصارت تسكنها الوحش ، اللسان (أبد). الشجيج، الوتد. اللسان (شجج) . الموار، المتردد,اللسان (مور).
٥٠. الرباب ، السحاب الأبيض ,اللسان (ربب).
٥١. الكُلى ، كلية السحاب، أسفلها,اللسان (كلا).
٥٢. الهيدب :من نعوت السحاب,وهو ماتدلى من أسافله إلى الأرض ,اللسان (هدب).
٥٣. اليقق :شديد البياض,اللسان (يقق).
٥٤. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:١٧٥ -١٧٦.
٥٥. الرمزية في مقدمة القصيدة :١١_١٢.

٥٦. ينظر : حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية ،(أطروحة دكتوراه) :١٩٨ .
٥٧. فلسفة المكان في المقدمة الطللية (بحث) : ٢٥٤ .
٥٨. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٨٥ .
٥٩. ينظر : ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٨٥ .
٦٠. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :١٢٦ _ ١٢٧ .
٦١. تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام :١٦٨.
٦٢. ينظر :المكان في القرآن الكريم .أنماطه ودلالاته (أطروحة دكتوراه) :١٣٩.
٦٣. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٧٥.
٦٤. م.ن:٢٦٨.
٦٥. م.ن:٥٣ .
٦٦. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٢٢٤ ,وينظر :٣٥, ١٥٢, ٣٣٩ وغيرها.
٦٧. اللسان،)ودد).
٦٨. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٤٢.
٦٩. مصر الشاعرة في العصر الفاطمي :٧١.
٧٠. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٩٣ .
٧١. ينظر : فلسفة المكان في الشعر العربي: ١٣.
٧٢. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٣٩٥
٧٣. المكان في الشعر العراقي (١٩٦٨-١٩٨٠)، (أطروحة دكتوراه)،سعود احمد يونس، جامعة الموصل،كلية الآداب،١٩٩٦ :٥٩
٧٤. اللجب ، الصوت والصياح ,وهو صوت العسكر ,وعسكر لجب , اللسان (لجب).
٧٥. البزل ، جمع بازل ,وهو الرجل الذي كمل عقله ,وتجربته , اللسان (بزل).
٧٦. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:٣٣٢.
٧٧. ينظر :الفضاء الشعري عند السياب (أطروحة دكتوراه) ، لطيف حسن محمد ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤ : ١٨١ .
٧٨. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي :٢٠٢.
٧٩. ينظر : المكان في الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة ماجستير) : ١٦٨ .
٨٠. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٢٠٢ .
٨١. م.ن :٢٢١.
٨٢. م.ن :٤٢٦.

المصادر والمراجع

١- أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) ، تحقيق : د. محمد حلمي محمد أحمد ، لجنة أحياء التراث ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

٢- الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي،محمود مصطفى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٣- أدب الغرباء ، أبو الفرج الاصبهاني ، ط١ ، نشره عن مخطوطة فريدة في العالم، د. صلاح الدين منجد ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت _ لبنان ، ١٩٧٢ .

٤- الأدب في العصر الفاطمي ، د. محمد زغلول سلام ، منشأة العارف ، الإسكندرية ، مصر ، د.ت .

٥- الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال ، ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

٦- الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٧- أعيان الشيعة ، الإمام السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) ، ط٥ ، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

٨- الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، ط٤ ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ .

٩- البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين إسحاق إبراهيم بن سليمان بن وهب (من أعلام القرن الرابع) ، تحقيق: د. احمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٧.

١٠- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، شرح وتحقيق : عبد السلام هارون ، ط٥ ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

١١- بين القديم والجديد ، إبراهيم عبد الرحمن ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٧ .

١٢- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : عبد الحليم النجار، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ .

١٣- تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د. نوري حمودي القيسي ود. عادل البياتي ود.مصطفى عبد اللطيف ، ط٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل، ٢٠٠٠ .

١٤- تميم الأمير الشاعر ، محمد عبد الغني حسن ، ط٢، دار الرفاعي الرياض، ١٩٨٣.

١٥- تميم الفاطمي – ابن الإمام المعز لدين الله الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال ، د. عارف تامر ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .

١٦- الحلة السيراء ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

١٧- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر – دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، من منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠١ .
١٨- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي (ت ٣٧٤ هـ) ، تحقيق : محمد حسن الاعظمي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة – مصر ، ١٩٥٧ .
١٩- الرمزية في مقدمة القصيدة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ، د. أحمد الربيعي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشراف ، ١٩٧٣ .
٢٠- زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو اسحق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣ ه) ، ط١ ، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه ، د. صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ٢٠٠١ .
٢١- سيرة الأستاذ جوذر ، أبو علي منصور الجوذري (ت ٣٦٨ ه) ، تحقيق : محمد كامل حسين ، د. محمد عبد الهادي أبو شعيرة ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
٢٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، د . نصرت عبد الرحمن ، ط٢ ، مكتبة الأقصى ، عمان – الأردن ، ١٩٨٢ .
٢٣-ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
٢٤- عبقرية الفاطميين ، محمد حسن الأعظمي ، دار الكتب المصرية ، مكتبة الحياة، د.ت .
٢٥- فلسفة المكان في الشعر العربي ، حبيب مؤنسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ .
٢٦- في أدب مصر الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٥٠ .
٢٧- في حداثة النص الشعري – دراسة نقدية ، د. علي جعفر العلاق ،ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ .
٢٨- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،ط٢ ، مطبعة البابي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
٢٩- لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١ ه) ، تحقيق : نخبة من الأستاذة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨١ .
٣٠- المرأة بحث في سيكولوجية الأعماق ، بييرداكو ،ط٣ ، ترجمة : وجيه سعد ، الدار المتحدة ، ١٩٩١ .
٣١- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ، محمد عبد الغني حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٣ .
٣٢- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، المجلد الثاني ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت.
٣٣- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد المعروف السكاكي (ت ٦٢٦ه)، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٣٧ .
٣٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، أبو الفرج عبد الرحم الجوزي (ت ٥٩٧ ه)، ط١ ، تحقيق : عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٣٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : د. محمد زينهم ، مديحة

الشرقية ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٩ .
٣٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ه)، ط١ ، قدم له وعلق عليه ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ .
٣٧- الوطن في الأدب العربي ، إبراهيم الايباري ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٧٣) ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٢ .
٣٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١ه)، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
٣٩- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ .

الـرسـائـــل والأطـــــاريح الجامعية

٤٠- حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية (٣٥٨-٤٢٧هـ)- دراسة في الموضوع والفن ، محمد حسين عبد الله عبد الحسن المهداوي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١١.
٤١-الرمز في مسرح علي عقلة عريان،رسالة ماجستير ، غانم صالح الحمداني، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ .
٤٢- المكان في الشعر العراقي (١٩٦٨ – ١٩٨٠) ، سعود أحمد يونس ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة الموصل ، ١٤١٧ ه، ١٩٩٦ م.
٤٣- المكان في القرآن الكريم ، أنماطه ودلالاته ، يوسف سلمان إسماعيل الطحان، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل،٢٠٠٠ .

البحوث والدوريات

٤٤-فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي ، د.سعيد محمد الفيومي ، مجلة الجامعة الإسلامية – سلسلة الدراسات الإنسانية ،جامعة القدس المفتوحة ،غزة – فلسطين ، مجلد ١٥ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٧ .

القراءاتُ المختارةُ في تفسيرِ (جوامع الجامع) للشيخ الطَبَرْسِيّ
المتوفى سنة ٥٤٨هـ
دراسةٌ في الفروقِ المعجميّةِ

The Selected Methods of Quranic Recitation in Tafsir 'Jami Al-Jawami' of Sheikh Al-Tabrsi (d.٥٤٨): A Study in lexical Differences

م. م. مقدام محمد جاسم البياتي

Mr. Muqdam Mohammed Jassim Al Bayati

ملخص البحث

تُعدُّ القراءاتُ القرآنية ميداناً رحباً للدراسات اللغوية بكافة مستوياتها ، إذ تتنوع الظواهر اللغوية فيها من حيث الإعراب والتصريف والصوت ، وقد أولى المفسّرون عناية كبيرة بالقراءات ، فوظّفوها في تفسير الآيات والاحتجاج بها على المسائل الصرفية ، والنحوية .

ومن هؤلاء المفسّرين أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، صاحب تفسيري (مجمع البيان ، وجوامع الجامع) ، والذي تميّز بإيراد الكثير من القراءات ، وبيان الحجة فيها ، وإعرابها ، بل واختيار بعضها وتقديمها على القراءة المشهورة الآن في أغلب البلدان الإسلامية، قراءة حفص عن عاصم .

وقد ارتأى الباحث أن يدرس القراءات المختارة عند الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) دراسة معجمية دلالية للوقوف على الفروق من حيث المعنى بين القراءات ، ومدى إسهام هذه الفروق في بيان دلالة الآيات القرآنية .

Abstract

Methods of Quranic recitation has been a vast area to various levels of language studies because language phenomena vary in terms of inflection (i-rab), conjugations and pronunciation . Quran commentators (mufassir) have paid a considerable attention to recitation and have employed it in the interpretation of verses (Ayat) and in the morphological and syntactic matters. One of these commentators is Sheikh Abu Ali Al-Fadl Ibn Al-Hasan Al-Tabarsi (d. 548 AH), the author of the two commentaries ‘Majma’ al-bayān’ and ‘Jawami al-Jami’ . Al-Tabarsi is distinguished by the inclusion of a lot of recitations, their explanations, and inflection (i-rab).

The researcher has studied the selected methods of Quranic recitation in Al-Tabrsi’s commentary ‘Jawami al-Jami’ from a lexical and semantic level to identify the differences among these methods of recitation, and the extent to which these differences play a role in the meanings of the Ayat of Quran.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، الذي ﴿ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الزمر من الآية ٢٣) وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على المبعوث رحمة للعالمين رسول الله محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وجميع أنبياء الله المرسلين .

أمّا بعدُ :

فلا يخفى على القارئ مدى أهميّة القراءات القرآنية في الدراسات اللغوية، إذ تشكّل الظواهر التي تنماز بها القراءات بعضها عن بعضٍ رافداً مهمّاً للدراسات اللغوية بكافة مستوياتها، إذ تتنوع هذه الظواهر من حيث الإعراب والتصريف والصوت، وقد أولى المفسّرون عنايةً كبيرةً بالقراءات، فوظّفوها في تفسير الآيات القرآنية، واحتجّوا بها على المسائل الصرفية، والنحوية .

ومن هؤلاء المفسّرين أمينُ الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، صاحب تفسيري (مجمع البيان، وجوامع الجامع)، والذي تميّز بإيراد الكثير من القراءات، وبيان الحجة فيها، وإعرابها، بل واختيار بعضها وتقديمها على القراءة المشهورة الآن في معظم البلدان الإسلامية، قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التي رواها عنه حفص بن سليمان الأسدي .

وقد ارتأى الباحث أن يدرس القراءات المختارة عند الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) دراسة معجمية للوقوف على الفروق الدلالية بين القراءات، ومدى إسهام هذه الفروق في بيان تفسير الآيات القرآنية، إذ لو لم تكنّ ثمّة فروق دلالية بين القراءات لما تعدّدت، واختلف القرّاء من مصر إلى مصر، ومن عصر إلى عصر .

فكان العنوان (القراءات المختارة عند الطبرسي ت٥٤٨هـ في تفسيره (جوامع الجامع) دراسة في الفروق المعجمية)، ونقصد بالفروق المعجمية هي تلك الفروق التي تكون بين كلمتين قد تتناظران في عدد الحروف وترتيبهما ولكنّهما تختلفان في التضعيف والتخفيف، أو في شكل الحركات، أو غير ذلك، مما يقود إلى الاختلاف في المعنى، فتعطي كلّ قراءة معنًى غير المعنى الذي تعطيه القراءة الأخرى .

والطبرسي لم يصرّح بالقراءات المختارة، ولكن يمكن الاطمئنان إلى اختيارات الطبرسي من خلال تقديمه لهذه القراءات في التفسير، وإيراد القراءات المصحفية بعدها مسبوقة بكلمة (وقرئ) .

وكان المنهج في البحث أن أورد القراءتين، المصحفيّة والتي تخالفها في المعنى، وأذكر من قرأ بها، ومن ثَمَّ أبيّن اختيار الطبرسي للقراءة الأخرى، غير المصحفيّة .

واقتضت طبيعة البحث أن يقسّم على ثلاثة مباحث تتقدمها مقدّمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة بالنتائج والتوصيات وجريدة المصادر .

وقد بيّنت في المبحث الأوّل القراءات القرآنية التي يكون الاختلاف فيها في تضعيف حرف أو تخفيفه، أمّا المبحث الثاني فقد ذكرت فيه الاختلاف بين القراءتين من حيث الحركات التي تُشكَل بها الأحرف المكوّنة للكلمة، أي الحركات التي ما عدا حركات الإعراب، أمّا المبحث الثالث فقد خصصته بالقراءات التي تختلف فيما بينها في عدد الأحرف ونوعها .

التمهيد : الطبرسي والقراءات

تختلف القراءات القرآنية فيما بينها بوجوه كثيرة، كالإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، والتخفيف والتشديد، والتحقيق والتسهيل، والفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق، والإدغام والإظهار، أو يرجع تعدد القراءات إلى الاختلاف في ضبط الكلمة، كالاختلاف في الأفعال بين الماضي والأمر، أو بين المبني للفاعل والمبني للمفعول، أو الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في ضبط بعض أحرفها، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي ذكرها العلماء، وبعض هذه الاختلافات لا تؤثّر في معنى الكلمة، أي أنّ المعنى يبقى واحداً، بيد أنّ بعض هذه الاختلافات تقود إلى الاختلاف في المعنى المعجمي للكلمة مما يؤدي إلى التنوع والتوسّع في دلالة الآيات الكريمة .

ومن أجل ذلك نرى المفسّرين قد أولوا عناية كبيرة بالقراءات القرآنية، فأوردوا جملة كبيرة من القراءات في تصانيفهم، وذكروا الحجّة فيها، وأعاريبها، ووظّفوها في شرح الآيات القرآنية، وكان لكلّ مفسّر منهجٌ خاصّ في القراءات، يقبل ويرجّح ويضعّف وينكر، وربّما يختار قراءة على قراءة.

ومن هؤلاء المفسّرين الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ صاحب تفسيري (مجمع البيان، وجوامع الجامع)، إذ ذكر في هذين التفسيرين الكثير من القراءات القرآنية، ودلّ ذلك على سعة اطلاع الطبرسي على القراءات وغزارة حفظه، ودلّ أيضاً على أنّه ينحو نحو المذهب الكوفي في القراءات القرآنية، وقد خصّص في تفسيره (مجمع البيان) باباً للقراءات، يذكر فيه أهمّ القراءات في الآية، ثم يذكر الحجّة فيها، أمّا في تفسيره (جوامع الجامع) فقد اختلف إيراد القراءات عنده، فهو تارة يذكرها في بداية تفسير الآية وتارة يذكرها في نهاية التفسير قبل أن ينتقل لتفسير آية أخرى .

والطابع العام الذي يظهر على الطبرسي تجاه القراءات أنّه يكثر من ذكرها ولا يردّ منها قراءة، إلا في موارد معدودة، كما يتميز الطبرسي بإيراد الكثير من قراءات أهل البيت عليهم السلام وتقديمها في الذكر على من سواهم من أصحاب القراءات[١] .

وما يهمّنا في هذا البحث اختيار الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) لبعض القراءات وتقديمها على قراءة عاصم التي رواها عنه حفص، إذ وجد الباحث أنّ الطبرسي يختار (١٠٢) من القراءات مقدّماً إيّاها في التفسير على أنّها القراءة المعتمدة عنده[٢]. وكأنّ المصحف الذي بين يدي الطبرسي عندما أراد تفسير (جوامع الجامع) روي بقراءة أخرى غير قراءة حفص عن عاصم، أو أنّ الطبرسي لم يضع مصحفاً واحداً بين يديه وإنّما اعتمد على حفظه وما يختزنه من قراءات، ممّا يدلّ على سعة اطلاع هذا الرجل وتمكّنه من العلم الذي يريد التصنيف فيه .

وتتنوع القراءات المختارة عند الطبرسي، فهي من القراءات السبع تارة، ومن القراءات الشاذّة تارة أخرى، ومن القراءات التي يكون الخلاف فيها نحوياً إلى قراءات يكون الخلاف فيها صرفياً أو صوتيّاً، ويختار الطبرسي أيضاً بعض القراءات التي تختلف في المعنى مع القراءة المصحفيّة، بسبب الاختلاف في

ضبط الكلمة، أو زيادة بعض الأحرف أو نقصانها، أو الاختلاف في صورة الحرف، إلى غير ذلك .

وسيقتصر البحث على ما كان الاختلاف بين القراءتين، المختارة عند الطبرسي والمصحفيّة، اختلافاً معجميّاً دلاليّاً وليس لشيء آخر كالصناعة مثلاً، كما في كلمة (تذكّرون) من قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف من الآية ٣) إذ شدّد جماعة من القرّاء حرف الذال في الكلمة، وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر[٣]، وقرأ البقيّة بتخفيف الذال وتشديد الكاف، وهي القراءة المصحفيّة، وقد اختار الطبرسي القراءة الأُولى، قال: ((أي: تتذكرون فأُدغِمَ، وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خفيفة الذال بحذف التاء))[٤]، والذي يظهر من نص الطبرسي أنّ القراءة المختارة لديه هي: (تذّكّرون) ولذلك قال بعدها: ((أي: تتذكرون فأُدغِمَ)) ويريد أنّ التاء الثانية أُدغِمَت بالذال فضُعِّفَ الحرف .

ولا فرقَ دلاليّا بين القراءتين، إذ إنّ كلتا القراءتين بمعنى الفهم والدراية، من التذكّر، إلّا أنّ الصناعة فرضت سلطانها على القرّاء في اختيارهم، فالأُولى جاءت بإدغام التاء الثانية بالذال، فيما جاءت الأخرى بحذف التاء الثانية، وقد بيّن علماء القراءات الحجّة في كلتا القراءتين .

ولا يتطرق البحث أيضاً الى القراءات المختلفة تبعاً للّهجات (اللغات) العربية كما في قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾(الأعراف من الآية ٥٤) إذ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي: (يُغَشِّي) بفتح الغين وتشديد الشين[٥]، والقراءتان (يُغشي ويُغشِّي) لغتان في الكلمة من أغشى وغشّى، ومن ثمّ لا يوجد أي فرق معجمي بين القراءتين .

المبحث الأوّل

الاختلاف بين القراءتين في التضعيف والتخفيف

تتفق معظم القراءات بعدد الحروف وترتيبها ولكنّها تختلف في تضعيف أحد أحرفها أو تخفيفه، ونرى مثل هذا النوع من الاختلاف في القراءات كثيراً، ونجد أمثلته واضحة في تفسير (جوامع الجامع) .

فمن أمثلة ما كان الاختلاف بين القراءتين في تضعيف أحد أحرفها أو تسهيله قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران ٧٩) إذ اختلف القرّاء في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بين تخفيف اللام وتشديدها، والقراءة بالتشديد هي القراءة المصحفيّة، قراءة حفص عن عاصم، أمّا قراءة التخفيف فقد قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو[٦]، وقد اختار الطبرسي القراءة بالتخفيف، قال: ((﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ أي بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم، وقرئ: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ من التعليم))[٧]وواضح من كلام الطبرسي في تفسيره وتقديمه للقراءة التي بالتخفيف، وإيراده القراءة التي بالتشديد بعد قوله: ((وقرئ)) أنّه يختار الأُولى .

والفرق الدلاليّ بين القراءتين واضح، إذ إنّ التي بالتخفيف من العلم، والأخرى التي بالتشديد من التعليم، ويبدو أنّ سياق الآية ألقى بظلاله على هاتين القراءتين، فذيل الآية، أي قوله: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ

﴿تَدْرُسُونَ﴾ جاء متّسقاً مع قراءة التخفيف، إذ لم يقل: ((تدرِّسون)) أمّا القراءة التي بالتشديد فقد جاءت مناسبة لقوله: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ إذ الربّاني هو العالم الذي يؤخذ عنه العلم في قول الإمام علي وابن عباس[٨] .

ومن الكلمات التي وقع فيها اختلاف بين القرّاء كلمة (فَرَقْناهُ) في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء/١٠٦) فقد جاءت في المصحف مخفّفة الراء، وقد قرأ بها السبعة، وقرأ جماعة من القرّاء بتشديد الرّاء، أي: فرّقناه[٩]،وقد اختار الطبرسي هذه القراءة مقدّماً إيّاها في التفسير على قراءة السبعة، قال: ((﴿وَقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل مضمر يفسّره: ((فرّقناه))، وقرئ بالتخفيف، ورُوي عن عليّ (عليه السلام) بالتشديد وعن ابن عباس وأُبيّ وغيرهم، ومعنى التشديد: وجعلناه مفرّقاً منجّماً في النزول))[١٠]، والذي يظهر أنّ هناك فرقا معجميا دلاليّا بين القراءتين، إذ القراءة التي بالتخفيف بمعنى: بيّناه وفصّلناه ونزّلناه آية آية وسورة سورة، والتي بالتشديد بمعنى: أنزلناه مفرّقاً منجّماً حسب الوقائع والأحداث[١١]، ويلمح الزمخشري فرقاً آخر بين القراءتين، قال: ((وقرأ أُبيّ: فرّقناه بالتشديد، أي: جعلنا نزوله مفرّقاً منجّماً، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قرأه مشدّداً وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، يعني: أنّ فرَق بالتخفيف يدلّ على فصل متقارب))[١٢]، وواضح من كلام الزمخشري الذي عقّب به على قراءة ابن عباس أنّ (فَرَقَ) بالتخفيف تعني وجود مهلة زمنية ضئيلة أثناء النزول، بخلاف (فرّق) التي تدلّ على وجود تراخٍ زمنيٍّ كبير أثناء النزول .

ويبدو أنّ قراءة التشديد التي قرأ بها جملة من الصحابة والتابعين، وأخذ بها الطبرسي، أنسب لسياق الآية التي ورد فيها قوله: ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ والمكث يعني: المهل والتؤدة والتثبّت[١٣]، ليكون أمكن في قلوب الناس ويكونوا أقدر على التأمل والنظر فيه، وهذا يناسب أن يكون نزول القرآن الكريم نجوماً، ومما يرجّح قراءة التشديد أيضاً قوله تعالى في ذيل الآية الكريمة: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ولم يقل : أنزلناه، إذ الفرق بين الإنزال والتنزيل أنّ الأوّل يدلّ على نزول القرآن جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة من الآية ١٨٥) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان/٣) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر/١) وفي كلّ موضع من القرآن ورد فيه الفعل (أنزل) دلّ على نزول القرآن دفعة واحدة، أمّا الفعل (نزّل) فإنّه يفيد التدرّج والتكرار والتكثير والمبالغة أيضاً وهذا لا يكون إلا مع المكث والتمهّل في النزول كما في الآية مورد البحث .

ومن القراءات التي اختارها الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) مقدّمةً على قراءة عاصم التي رواها حفص قراءةُ التشديد في ﴿يَذْكُرُ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم/٦٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة

والكسائي[١٤]، وقد قدّمها الطبرسي في تفسير الآية رابطاً بينها وبين الآية التي تسبقها وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم/٦٦)، قال: ((والواو عطفت ((لا يذّكّرُ)) على ﴿يَقُولُ﴾ والمعنى: أيقول ذلك ولا يتذكّر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى، فإنّ تلك أعجب وأدلّ على قدرة الصانع، إذ أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود على غير مثال سبق من غيره، وأمّا الثانية فقد تقدّمت نظيرتها وليس فيها إلّا ردّها على ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق، (....) وقرئ: ﴿أَوَلَا يَذْكُر﴾ بالتخفيف))[١٥] .

والمعنى فيهما أنّ القراءة التي بالتشديد من التذكّر بمعنى التدبّر والفهم، وأمّا القراءة بتخفيف الذال فهي من التذكّر الذي يأتي بعد النسيان، وواضح من نص الطبرسي المتقدّم آنفاً أنّه يأخذ بالقراءة الأولى، أي: (يذّكّر)، ولذلك قام بتفسير الآية بما يدلّ على أخذه بهذه القراءة، أمّا القراءة الأخرى فقد ذكرها كعادته في القراءات المختارة، بعد كلمة (وقرئ)، ولم يبيّن الحجّة في هذه القراءة .

ومن الأمثلة الأخرى في التشديد والتخفيف بين القراءات قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار/٧) فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فعدّلك) بالتشديد في الدال[١٦]، وبها أخذ الطبرسي، قال: ((فعدّلك فصيّرك معتدلاً متناسب الخَلْق، وقرئ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى المشدَّد، أي: عدّل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت، والآخر: فصرفك عن خِلْقة غيرك وخَلَقَك خِلقة حسنة، يقال: عدله عن الطريق أي صرفه))[١٧]، ونرى الطبرسي في نصّه المارّ آنفاً أنّه يورد القراءة المصحفيّة ويبيّن معناها باحتمالين، ونرى الاحتمال الثاني يعطي معنًى يختلف عن القراءة التي بالتشديد .

المبحث الثاني

الاختلاف بين القراءتين بالحركات

لا يخفى على القارئ ما للحركات من دلالة، سواءً أكانت في نهاية الحرف الأخير من الكلمة، وهي حركات الإعراب، أم كانت على بقيّة الأحرف، فقد اتفق العلماء قديماً وحديثاً، خلا قطرباً والدكتور إبراهيم أنيس، على وجود دلالةٍ لحركات الإعراب، وهذه الدلالة دلالة نحوية غير داخلة في بحثنا، والذي نريد أن نبحثه هنا هو الاختلاف في ضبط الحروف المؤلِّفة للكلمة ما عدا الحرف الأخير الذي يكون موضِعاً للإعراب .

فكما أنّ الاختلاف في الإعراب يؤدي إلى الاختلاف في الدلالة النحوية، فكذلك الاختلاف في الحركات التي على بقية الأحرف، ومن هنا نُدرك الغاية التي من أجلها ابتكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أشكال الحركات وأخذ صورها من أصوات العلة، إذ إنّ بجهد الخليل هذا ((استطاع الدارسون أن يضبطوا كلمات النصوص القرآنية بالحركات ضبطاً كاملاً، واستطاع اللغويون أن يضبطوا بها أوزان المفردات اللغوية على اختلافها، كأن يفرقوا بين (فَعَلَ) محرّكة، وبناء (فُعِلَ) بضم فكسر ففتح، وبناء

(فَعِلَ) بفتح فكسر ففتح، إلى غير ذلك))[١٨]. وبذلك أصبحت لأشكال الحركات التي تزين الكلمات دلالة معنوية، إلى جانب الدلالة النحوية التي جاءت من حركات الإعراب .

ونلمح هذه الفروق الدلالة بين الكلمات المتّفقة في الحروف والمختلفة في الحركات في القراءات القرآنية، فقد تدلّ الكلمة على معنًى معين إذا قُرِئت بوجه، وتدلّ على معنًى آخر إذا ما قُرِئت بوجه آخر، والأمثلة في ذلك كثيرة، ولكن قد يرجع الاختلاف في هكذا قراءات إلى اللهجات العربية، فعندها لا يكون ثمّة فرق معجمي دلالي بين القراءتين كما في كلمة (الدَرْك) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء من الآية ١٤٥) إذ قُرِئت بسكون الرّاء تارة وبفتحها تارة أخرى[١٩]، وقد صرّح اللغويون بأنّ السكون لغةٌ في الكلمة والفتح أشهر، وكلاهما بمعنًى واحد وهو أسفل قعر الشيء[٢٠].

وما يهمنا في البحث ما إذا كان الاختلاف بين القراءتين مؤدّياً إلى تنوع الدلالة المعجميّة وعلاقة هذا الاختلاف بتفسير الآيات القرآنيّة .

ذكر الطبرسي في تفسيره القراءات التي تختلف فيما بينها بالحركات، مشيراً إلى الفرق بينهما من الناحية المعجميّة، وقد اختار بعضها على القراءة المصحفيّة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب من الآية ٤٠) فقد اختلف القرّاءُ في قراءةِ (خاتَم) من الآية الكريمة، إذ قرأ عاصم وحده بفتح التاء وقرأ الآخرون بالكسر[٢١]، ولهذه الكلمة في كلّ قراءة دلالةٌ ، وقد اختار الطبرسي قراءة الكسر، إذ فسّر (خاتِم) في الآية بمعنى : ((آخرهم، خُتِمَت النبوة به، فشريعته باقية إلى آخر الدهر، (....) وقرئ : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بفتح التاء بمعنى الطابع))[٢٢]، وواضح من كلامه أنّه يقصد القراءة التي بالكسر فإنّها هي التي بمعنى الآخِر، ولذلك ذكر القراءة المصحفيّة بعد قوله: وقرئ، كعادته، رضوان الله عليه، في اختيار القراءات .

ومن الأمثلة الأخرى على اختيار الطبرسي للقراءة التي يكون الاختلاف فيها بالحركة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد من الآية ٢٦) إذ قرأ بفتح الهمزة وصيغة الجمع من قوله: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ ، أي على: (أسرارهم)، ابنُ كثير ونافع وأبو عمر وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر[٢٣]، وقد اختار الطبرسي هذه القراءة، قال: ((((والله يعلم أسرارهم)) وقرئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة، أي: ما أسرّه بعضهم إلى بعض من القول، وما أسرّوه في أنفسهم من الاعتقاد))[٢٤]، والفرق بين القراءتين: إنّ التي بالفتح جمع لمصدر الفعل (سَرَّ)، والمصدر هو (سِرّاً)، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه، أمّا قراءة الكسر فإنّها مصدر الفعل (أسرَّ) ولم يُجمع لأدائه معنى الجنس، هذا من ناحية الاشتقاق، وأمّا من ناحية المعنى فإنّ الأسرار جمع سرٍّ بمعنى الحديث المُكْتَم في النفس، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه /٧)، وأمّا الإسرار فهو حديثك إلى آخر في خفية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ (التحريم

من الآية ٣) وربّما يُراد منه الإظهار ((وهذا صحيح فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يُفضَى إليه بالسرِّ وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره))[٢٥] .

ومما تقدّم يظهر أنّ بين القراءتين اختلافا معجميّا دلاليّا أوضحه الطبرسي بشكل موجز، ويبدو من كلامه أنّه يلمح هذا الفرق جيداً إلّا أنّه آثر الإيجاز؛ لالتزامه بالمنهج الذي طبع به كتابه .

وما قدّمناه من أمثلة كان الاختلاف بين القراءتين ناتجا من اختلاف حركة حرف واحد من حروف الكلمة، ولكن قد يكون الاختلاف بين القراءتين في حركة حرفين مختلفين، أي أنّ ضبط الكلمة يختلف في أكثر من حرف كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف من الآية ٥٥) إذ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء[٢٦]، وقد أخذ الطبرسي بهذه القراءة، قال: ((يأتيهم عذاب الآخرة قِبَلاً عياناً، وقرئ: ﴿قُبُلًا﴾ أنواعاً))[٢٧]، فقد قدّم الطبرسي قراءة (قِبَلاً) في التفسير، وبيّنها بمعنى: عياناً، ثُمَّ ذكر بعدها القراءة المصحفيّة، ﴿قُبُلًا﴾ ، وفسّرها بمعنى: أنواعاً .

ومما يلتقي مع القراءة السابقة في تنويع الحركة لأكثر من حرف، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ (الحاقة/٩) إذ قرأ أبو عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبان بن تغلِب الكوفي: (ومن قِبَلَه) بكسر القاف[٢٨]، وقد اختار الطبرسي هذه القراءة أيضاً، قال: ((((ومن قِبَله)) يريد: ومن عنده من حشمه وأتباعه، وقرئ: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أي: ومن تقدَّمه))[٢٩]، وهنا نرى الطبرسي يبيّن الاختلاف المعجمي بين القراءتين، ونراه كذلك يقدّم القراءة التي بكسر القاف وفتح الباء على القراءة المصحفيّة، مما يدلّ على أنّه يرتضي هذه القراءة .

المبحث الثالث

الاختلاف في الحروف نوعاً وعدداً

كُتِبَ المصحف الشريف بخطّ خاصٍّ، له قواعده وأصوله، يختلف عن خطّ بقيّة المدونات العربية، وكان هذا الاختلاف من الأسباب التي أدّت إلى تعدّد القراءات القرآنية .

إذ نرى الكثير من الكلمات تُحذَف منها الألف، وتكتب ألفاً صغيرة بين الحرفين، مما يؤدي إلى الاختلاف في نطق الكلمة فربّما حذف بعضهم هذه الألف ، وربّما كانت الكلمة خالية من الألف فيزيدها بعضهم على الكلمة .

وما نريد أنّ نبحثه في هذا المبحث هو هذا النوع من القراءات التي تختلف في زيادة حرف أو نقصانه، أو تختلف في نوع الحرف من حيث الصوت كما في السين والصاد والضاد والظاء، ومن أمثلة الأوّل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة من الآية ٥١) إذ اختار الطبرسي أن تكون القراءة في ﴿وَاعَدْنَا﴾ على (وعدنا) بلا ألف بعد الواو، وهي قراءة أبي عمرو[٣٠]، وقد فسّر الطبرسي هذه الآية على أساس هذه القراءة، قال: ((أي: وعدنا موسى أن ننزّل عليه التوراة وضربنا له ميقاتاً ذا القعدة وعشرَ ذي الحجّة (...)، ومن قرأ ﴿وَاعَدْنَا﴾ فلِأنّ الله تعالى وعده

الوحي، ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور))[٣١].

فالفرق بين القراءتين: أنّ المصحفية، ﴿وَاعَدْنَا﴾ ، بمعنى المفاعلة، أي تكون بين اثنين كما أوضح الطبرسي، أمّا القراءة المختارة عند الطبرسي فتدلّ على صدور الفعل من الله سبحانه وتعالى فقط .

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (البقرة من الآية ٨٥) فقد أورد الطبرسي القراءة في ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ على حذف الألف، أي: (تفدوهم) ثمَّ فسّرها أوّلاً مما يدلّ على أنّها القراءة المختارة لديه، قال في تفسير هذه الكلمة: ((أي : وأنتم مع قتلكم من تقتلون منهم إذا وجدتموه أسيراً في أيدي غيركم فديتموهم، وقتلكم وإخراجكم إيّاهم من ديارهم حرام عليكم كما أنّ تركهم أسارى في أيدي غيركم حرام عليكم، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوّهم ؟! وقرئ: ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ لأنَّ الفعل بين اثنين))[٣٢]، وهذه القراءة التي على ترك الألف، والتي فسّر الطبرسي الآية الكريمة على أساسها هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر[٣٣]، وواضح من كلام الطبرسي أنَّ ثمة فرقا دلاليا بين القراءتين، إذ القراءة الأولى بمعنى أنّ الفعل حاصل من طرف واحد، من الذين يقومون بفداء الأسرى، أمّا القراءة الثانية، وهي القراءة المصحفيّة فبمعنى: إنّ الآسر والمأسور منهم يقومان بالفداء، فالآسر يدفع الأسير والمأسور منهم يقومون بأداء فديته، وهذا المعنى الدلالي الذي ذهب إليه الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) يخالف ما ذهب إليه في تفسيره (مجمع البيان)، إذ أنّه رأى هناك ، في المجمع، أنّ المعنى في ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ مثل المعنى في (تفدونهم)[٣٤] .

ومن الأمثلة الأخرى في القراءات المختارة عند الطبرسي والتي يكون الاختلاف فيها بحرف من حروف الكلمة قوله تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ (التوبة من الآية ٣٠) إذ اختار الطبرسي القراءة في ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ بغير همز، أي (يضاهون) وهي قراءة السبعة خلا عاصم[٣٥]، وهما لغتان في هذه الكلمة من ضاهأتُ وضاهيتُ[٣٦]، ولكن الطبرسي يلمح فرقاً دلاليّاً بين هاتين القراءتين إذ قال في تفسير الآية: ((والمعنى: إنّ الذين في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من اليهود والنصارى يضاهي قولُهم قولَ قدمائهم، يريد أنّه كفر قديم فيهم، أو: يضاهي قولُهم قولَ المشركين: إنّ الملائكة بنات الله، وقرئ: ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ بالهمزة من قولهم: امرأة ضَهْيَأٌ على فَعْيَلٍ، وهي التي ضاهأت الرجال في أنّها لا تحيض))[٣٧]، وكلام الطبرسي آنفاً واضح في أنّ القراءتين مختلفتان دلالياً، فهو لم يصرّح بأنّهما لغتان في الكلمة، وبيّن القراءة المصحفيّة بعد القراءة المختارة، كعادته في اختيار القراءات، ثُمَّ بيّن دلالتها، وإن كنّا نرى وجود رابط مشترك بين القراءتين وهو : المشابهة .

ومن الاختلاف أيضاً بين القراءتين ما ذكره الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ (الروم من الآية ٣٢) إذ قال في تفسيرها: ((فارقوا دينهم: أي دين الإسلام، وقرئ: ﴿فَرَّقُوا﴾ أي : جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف

أهوائهم))[٣٨]، وكلام الطبرسي هذا يدلّ على أنّه يختار القراءة الأولى، أي: (فارقوا) بالألف وتخفيف الراء، وهي قراءة: الإمام علي (عليه السلام) وحمزة والكسائي[٣٩]، والفرق بين القراءتين أوضحه الطبرسي أيضاً، فالقراءة التي بالألف بمعنى تركوا دين الإسلام إلى غيره من الأديان، أمّا القراءة التي بالتشديد فبمعنى أنّهم بقوا على دينهم لكنّهم أعملوا فيه أهواءهم ورغباتهم من أجل جلب مصلحة شخصية لهم .

والطبرسي في هذا التحليل يوافق الزمخشري[٤٠]، أمّا رأيه في (مجمع البيان) فقد تابع فيه الفارسي الذي يرى أنّ معنى فرّقوا: يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وأنّ معنى فارقوا: باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول إلى معنى (فرّقوا)[٤١] ، وعلى ذلك لا فرق بين القراءتين .

وقد تختلف القراءتان بالحرف مع تقارب بالصوت، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير/٢٤) إذ ذُكِرَت في ﴿ضَنِينٍ﴾ قراءتان: الأولى بالضاد وهي القراءة المصحفيّة، والأخرى بالظاء وهي قراءة جملة من القراء السبعة، وغير السبعة[٤٢]، وقد أخذ الطبرسي بقراءة الظاء في ﴿ضَنِينٍ﴾ وفسّرها أوّلاً كعادته في تفسير القراءات الأقرب إلى اختياره، قال: ((﴿وَمَا﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿عَلَى﴾ ما يخبر به من ﴿الْغَيْبِ﴾ والوحي بـ((ظنين)) بمتّهم، فإنّ أحواله ناطقة بالصدق والأمانة، وهو من الظّنّة وهي التهمة، وقرئ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد من الضنّ وهو البخل، أي: لا يبخل بالوحي بأن يُسأل تعليمه فلا يُعلِّمه، أو يزوي بعضه فلا يبلِّغه، والفرق بين الضاد والظاء أنّ مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، وهي إحدى الحروف الشجرية، أخت الجيم والشين. والظاء مخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي إحدى الحروف الذولقية، أخت الذال والتاء))[٤٣]. وذكرنا النص بطوله لنبيّن هنا متابعة الطبرسي في تحليله هذا للزمخشري في تفسيره (الكشّاف)، إذ ذكر الزمخشري القراءتين، والحجّة فيهما، وبيّن مخرجي الضاد والظاء، والفرق الدلالي بين الكلمتين في كلّ قراءة، ثمّ بيّن أنّ استبدال أحد الحرفين بالآخر في الصلاة كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين[٤٤]، وكأنّه ، أي الزمخشري، يردّ على من يرفض هذه القراءة أو يرى أن لا فرق بين حرفي الضاد والظاء، لعسر معرفتهما .

على أنّ الطبرسي قد اختار هذه القراءة أيضاً في تفسيره (مجمع البيان)، قال في تفسير الآية: ((أي ليس هو على وحي الله تعالى وما يخبُر به من الأخبار بمتهم، فإنّ أحواله ناطقة بالصدق والأمانة))[٤٥]، ثمّ ذكر الطبرسي بعدها القراءة المصحفيّة، وفسّرها، فالذي يظهر أنّ الطبرسي تابع الزمخشري في ردّه على من لا يرون فرقاً بين حرفي الضاد والظاء، وليس في اختيار القراءة .

ويرى بعض العلماء أنّ السبب في اختلاف القراءة في هذه الآية جاء من الاختلاف في تطويل رأس الظاء أو قصرها، فمن طوّلها أصبحت ظاءً ومن قصّرها أصبحت ضاداً، وهذا الحرف غير طرف أي

أنّه لم يأتِ في نهاية الكلمة لكي يُفرّق بين رسمه في الحالتين، فمن ثَمَّ كان هذا الاختلاف بين القرّاء[٤٦] .

أقول: ما يهوّن الأمر هنا أنّ حرفي الضاد والظاء شديدا الشبه في النطق فلم يفرّق بينهما في القراءة، وأمّا من جانب الخط فإذا كُتبا غير متطرِّفين فيمكن أن يقع الاشتباه بتقصير رأس الظاء قليلاً وحرفها إلى جهة اليسار فتصير كأنّها ضاد (ضـ)، ولكنّ هذا الكلام خطير في حقّ القرآن الكريم، إذ يجوّز وقوع الاشتباه والغلط من لدن القرّاء والكتبة أثناء كتابة المصحف، واعتمادهم على الرأي في القراءة إذا احتملها الخط أو اللفظ .

والذي يراه الباحث أنّ كلا القراءتين صحيحتان لانتهائهما إلى جملة من القرّاء، وفيهم الصحابة والتابعون، ممّن يوثق بعربيتهم، وبحرصهم على القرآن الكريم ولغته .

الخاتمة

بعد هذا التطواف في رحاب تفسير من تفاسير أحد العلماء الموسوعيين يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج :

١- تُعدّ القراءات القرآنية ميداناً رحباً للدراسات اللغوية، وقد وظّفها المفسّرون في تفاسيرهم من أجل بيان دلالة الآيات القرآنية .

٢- من المفسّرين الذين أولوا عناية كبيرة بالقراءات الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي وذلك واضح في تفسيريه (مجمع البيان، وجوامع الجامع) .

٣- تمثّل اهتمام الطبرسي بالقراءات بإيراده لكثير منها في تفسيريه، وذكر الحجّة فيها، وإعرابها، وكان موقفه تجاه القراءات موافقاً لما ذهب إليه نحاة الكوفة، فلم يردّ من القراءات شيئاً إلّا في مواضع قليلة .

٤- من المواقف التي يمكن ملاحظتها أنّ الطبرسي يختار بعض القراءات مقدِّماً إيّاها على القراءة المصحفيّة المتداولة الآن في معظم البلاد الإسلامية، قراءة عاصم التي رواها عنه حفص، ويتضح هذا الأمر جليّاً في تفسيره (جوامع الجامع) .

٥- تتنوع الظواهر اللغوية في القراءات المختارة لدى الطبرسي في تفسيره (جوامع الجامع) إلى صوتية وصرفية ونحوية ودلالية .

٦- ومن الظواهر التي حفلت بها هذه القراءات: أن تختلف القراءتان في المعنى المعجمي مما يؤدي إلى الاختلاف في تفسير الآيات القرآنية الكريمة .

٧- من مظاهر الاختلاف في القراءتين المؤدّي إلى الاختلاف في المعنى المعجمي أن يكون الاختلاف بين التشديد والتخفيف، أو بزيادة حرف أو نقصانه، أو بتغيير بعض الحركات التي تُشكَل بها الأحرف المكونة للكلمة، أو غير ذلك .

٨- كل هذه الاختلافات تلقي بظلالها على تفسير الآيات القرآنية الكريمة مما يؤدي إلى التوسّع في الدلالة .

والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

الهوامش

١. للوقوف على موقف الطبرسي من القراءات القرآنية في تفسيره (جوامع الجامع) ينظر : المنهج التحليلي عند المفسّرين جوامع الجامع أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١٣٨ – ١٤٠ ، والدلالة النحوية في تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) (رسالة ماجستير) : ١٧٧ – ١٨٣ .

٢. ينظر : الدلالة النحوية في تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) : ٢٣٣ – ٢٤٢ .

٣. ينظر : السبعة في القراءات: ٢٧٨، وإعراب القراءات السبع : ١ / ١٧٦، والحجّة لأبي علي الفارسي : ٣ / ٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ١ / ٤٦٠، وجامع البيان في القراءات السبع المشهورة: ٥١١، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٤ / ١٥٩، والكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: ٥٢٢، والنشر في القراءات العشر: ٢ / ٢٦٧، وإتحاف فضلاء البشر: ٢ / ٤٤ .

٤. جوامع الجامع : ١ / ٦٤٠ .

٥. ينظر : السبعة في القراءات : ٢٨٢، وإعراب القراءات السبع وعللها : ١ / ١٨٥، والحجّة لأبي علي الفارسي: ٣ / ١٨، والكشف: ١ / ٤٦٤، وجامع البيان: ٥١٣، والكتاب الموضح : ٥٣٠ وزاد عليهم يعقوب، والنشر : ٢ / ٢٦٩ وزاد عليهم خلفاً، والإتحاف: ٢ / ٥١ وزاد : الحسن والأعمش .

٦. ينظر : السبعة : ٢١٣، وإعراب القراءات السبع وعللها : ١ / ١١٧، والحجّة للفارسي : ٢ / ٢٨٨، والكشف: ١ / ٣٥١، ومجمع البيان: ٢ / ٢٦٦، والكتاب الموضح: ٣٧٦ – ٣٧٧، والنشر: ٢ / ٢٤٠، وإتحاف الفضلاء : ١ / ٤٨٣ .

٧. جوامع الجامع : ١ / ٣٠٢ – ٣٠٣ .

٨. ينظر : الكتاب الموضح : ٣٧٧ ، ولمعرفة الاحتمالات في معنى (ربّاني) في هذه الآية ينظر: تفسير الرازي المسمّى بـ(مفاتيح الغيب) : ٨ / ١٢٢ - ١٢٣ ، واللباب في علوم الكتاب : ٥ / ٣٤٨ – ٣٤٩ .

٩. وقد نُسِبَت هذه القراءة للإمام علي (ع) وابن عباس وابن مسعود وأُبيّ بن كعب والشعبي والحسن ـ بخلاف ـ وأبي رجاء وقتادة وعمرو بن فائد وحُميد وعمر بن ذرّ وأبي عمرو بخلاف ، ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ٢ / ٢٣، وجمع البيان : ٦ / ٢٢٩، والبحر المحيط : ٦ / ٨٤ وزاد الأندلسي عليهم: زيد بن علي وعكرمة .

١٠. جوامع الجامع : ٢ / ٣٩٨ .

١١. ينظر : مجمع البيان : ٦ / ٢٢٩، وتفسير الرازي : ٢١ / ٦٩، واللباب : ١٢ / ٤٠٥ – ٤٠ .

١٢. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٦١٠ .

١٣. الكشاف : ٦١٠، ومجمع البيان : ٦ / ٢٣٠، وجوامع الجامع : ٢ / ٣٩٨ .

١٤. ينظر السبعة: ٤١٠، وإعراب القراءات السبع : ٢ / ١٩، والحجّة للفارسي: ٣ / ٤٩٩، والكشف: ٢ / ٩٠، وجامع البيان : ٦١٨، والكتاب الموضح : ٨٢٢، والنشر: ٢ / ٣١٨ .

١٥. جوامع الجامع : ٢ / ٤٦٢ .

١٦. ينظر : السبعة : ٧٤، وإعراب القراءات السبع : ٢ / ٤٤٨، والحجّة للفارسي : ٤ / ٥٢٥، والكشف : ٢ / ٣٦٤ وذكر أنّ التشديد مرويّ عن النبيّ (ص) ، وجامع البيان : ٧٧٣ ، والكتاب الموضح : ١٣٤٦، والنشر : ٢ / ٣٩٩، والإتحاف : ٢ / ٥٩٤ .

١٧. جوامع الجامع : ٣ / ٧٤١ .

١٨. عبقري من البصرة : ٤٠ .
١٩. قرأ حمزة وعاصم والكسائي بسكون الرّاء وقرأ ابن كثير ونافع وابن عمر وابن عامر بفتح الرّاء ، ينظر : السبعة : ٢٣٩، وإعراب القراءات السبع : ١ / ١٣٨، والحجّة للفارسي : ٢ / ٣٨٦، والكشف : ١ / ٤٠١، وجامع البيان : ٤٨٠، والكتاب الموضح : ٤٣٠، والنشر : ٢ / ٢٥٣، والإتحاف : ١ / ٥٢٣، وقد اختار الطبرسي قراءة الفتح .
٢٠. ينظر : العين مادة (درك) : ، والقاموس المحيط مادة (درك) : ٩٣٨، وتاج العروس من جواهر القاموس : ٢٧ / ١٤١ .
٢١. ينظر : السبعة : ٥٢٢، وإعراب القراءات السبع : ٢ / ٢٠١ – ٢٠٢، والحجّة للفارسي : ٤ / ١٧٧ – ١٧٨، والكشف : ٢ / ١٩٩، وجامع البيان : ٦٧٧، والكتاب الموضح : ١٠٣٦، والنشر : ٢ / ٣٤٨، والإتحاف : ٢ / ٣٧٦ وفيه أنّ الحسن وافق عاصماً في قراءته .
٢٢. جوامع الجامع : ٣ / ٧٠ .
٢٣. ينظر : السبعة : ٦٠١، وإعراب القراءات السبع : ٢ / ٣٢٦، والحجّة للفارسي : ٤ / ٣٥٣، والكشف : ٢ / ٢٧٨، وجامع البيان : ٧٢٣، الكتاب الموضح : ١١٨٥، والنشر : ٢ / ٣٧٦، والإتحاف : ٢ / ٤٧٨ .
٢٤. جوامع الجامع : ٣ / ٣٧١ .
٢٥. المفردات في غريب القرآن : ٢٣٦ .
٢٦. ينظر : السبعة : ٣٩٣، وإعراب القراءات السبع : ١ / ٣٩٩، والحجّة للفارسي : ٣ / ٤٤٩، والكشف : ٢ / ٦٤، وجامع البيان : ٦٠٤، والكتاب الموضح : ٧٨٧، والنشر : ٢ / ٣١١، والإتحاف : ٢ / ٢١٨ .
٢٧. جوامع الجامع : ٢ / ٤٢٢ .
٢٨. السبعة : ٦٤٨، وإعراب القراءات السبع : ٢ / ٣٨٥، والحجّة للفارسي : ٤ / ٤٦٢، والكشف : ٢ / ٣٣٣، وجامع البيان : ٧٥٢، والكتاب الموضح : ١٢٩٠ وأضاف إليهم يعقوب، والنشر : ٢ / ٣٨٩، والإتحاف : ٢ / ٥٥٧ وذكر المؤلّف أنّ الحسن واليزيدي وافقهم على هذه القراءة .
٢٩. جوامع الجامع : ٣ / ٦٢٤ .
٣٠. ينظر : السبعة : ١٥٤، الحجّة للفارسي : ١ / ٤٥٢ ، الكشف: ١ / ٢٣٩ ، والنشر : ٢ / ٢١٢ وفيه إنّها قراءة أبي عمرو والبصريينِ .
٣١. جوامع الجامع : ١ / ١٠٤ .
٣٢. المصدر نفسه : ١ / ١٢٤ .
٣٣. ينظر : السبعة : ١٣، والحجّة للفارسي: ١ / ٥٢٣، والكشف: ١ / ٢٥١، النشر: ٢ / ٢١٨ .
٣٤. ينظر : مجمع البيان : ١ / ٢٠٨ .
٣٥. ينظر : السبعة : ٣١٤، والحجّة للفارسي: ٣ / ١٢٧، والكشف : ١ / ٥٠٢، والكتاب الموضح: ٥٩٢، والنشر : ١ / ٤٠٦، والإتحاف: ٢ / ٩٠ .
٣٦. ينظر : المصادر السابقة أنفسها .
٣٧. جوامع الجامع : ٢ / ٥٩ .
٣٨. المصدر نفسه : ٣ / ١٣ .

٣٩. ينظر: السبعة : ٢٧٤، الحجّة للفارسي : ٢ / ٥٦٦، والكشف : ٢ / ٤٥٨، ومجمع البيان : ٤ / ١٥٣، والكتاب الموضح : ٥١٥ ــ ٥١٦، والنشر : ٢ / ٢٦٦، والإتحاف : ٢ / ٣٩ .

٤٠. ينظر : الكشّاف : ٨٣٠ .

٤١. ينظر : مجمع البيان : ٤ / ١٥٣ .

٤٢. وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس وابن محيصن واليزيدي وابن عباس وابن الزبير وعائشة وابن مسعود وزيد بن ثابت وعروة وابن عمر وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وهشام بن جندب ومجاهد وابن مهران وروح ، ينظر : السبعة في القراءات : ٦٧٣، وإعراب القراءات السبع وعللها: ٢/ ٤٤٦، والحجّة للفارسي: ٤/ ٥٢٣، والكشف : ٢ / ٣٤٦، ومجمع البيان : ١٠/ ٢١٤، والكتاب الموضح : ١٣٤٤، والبحر المحيط : ٨ / ٤٢٦، وتفسير الرازي : ٨ / ٤٢٦، والنشر : ٢ / ٣٩٨ ــ ٣٩٩، واللباب لابن عادل : ٢٠ / ١٩٠، والإتحاف : ٢ / ٥٩٢، ومعجم القراءات القرآنية : ٨ / ٨٥ - ٨٦ .

٤٣. جوامع الجامع : ٣ / ٧٣٧ ــ ٧٣٨ .

٤٤. ينظر : تفسير الكشّاف : ١١٨٤ .

٤٥. مجمع البيان : ١٠ / ٢١٦ .

٤٦. ينظر : الإتحاف : ٢ / ٥٩٣ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أوّلاً : الكتب المطبوعة :

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، لأحمد بن محمد البنا (ت١١١٧هـ) ، حققه وقدّم له الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، ط١، عالم الكتب بيروت- لبنان ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٢- إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، حقّقه وقدّم له عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٣- إعراب القراءات الشواذّ ، لأبي البقاء العُكْبري (ت٦١٦هـ) ، محمد السيّد أحمد عزوز ، ط١ ، عالم الكتب بيروت- لبنان ، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م .

٤- البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجود وآخرون ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

٥- تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي (ت٦٠٤هـ) ، ط١ ، دار الفكر بيروت – لبنان ، ١٤٠١ه – ١٩٨١م .

٦- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدّوق الجزائري ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .

٧- جوامع الجامع ، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرّفة ، ج١ ط٤ لسنة ١٤٣٠هـ ، ج٢ ط٥ لسنة ١٤٢٨هـ ، ج٣ ط٣ لسنة ١٤٣٠هـ .

٨- الحجّة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفّار الفارسي النحوي (ت٣٧٧هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

٩- السبعة في القراءات ، لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م .

١٠- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، ط١ ، مؤسّسة الأعلمي بيروت- لبنان ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

١١- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م .

١٢- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط٣ ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

١٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق محيي الدين رمضان ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ .

١٤- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط١، منشورات دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن ، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط١ ، دار العلوم بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

١٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، د.ت .

١٧- معجم القراءات القرآنية ، إعداد : الدكتور أحمد مختار عمر و الدكتور عبد العال سالم مكرم ، ط٢ ، دار الأسوة طهران - إيران ، ١٤٢٦ هـ .

١٨- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، ضبط هيثم طعيمي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، ١٤٨٢هـ – ٢٠٠٨م .

١٩- النشر في القراءات العشر ، لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تصحيح محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، د. ت.

ثانياً : الرسائل الجامعية :

١- الدلالة النحوية في تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) (رسالة ماجستير)، مقدام محمد جاسم البياتي ، كلّيّة التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل ، ٢٠١٤م .

٢- المنهج التحليلي عند المفسرين جوامع الجامع أنموذجاً (أطروحة دكتوراه)، بركاوي جليب دارم القريشي ، كلّيّة الفقه – جامعة الكوفة ، ٢٠٠٩م

الله
ونعم
الوكيل

ما وراء اللغةِ فِي اللسانياتِ والتراث اللغويِّ العربيِّ ... بحثٌ في المفهومِ والمشكلاتِ

Metalanguage in Linguistics and Arabic : Linguistic Tradition A Study of the Concept and Problems

د . كريم عبيد علوي
قسم اللغة العربية /كلية التربية للبنات بجامعة بغداد
Dr.Karim Uybaid Ilawy
Department of Arabic,College for Education for Women, University of Baghdad

ملخص البحث

اهتمَّ هذا البحثُ ضمن مبحثه الأول بتبيين مفهوم (ما وراء اللغة) وأهميته في اللسانيات والمسوغات العلمية التي دفعت اللسانيين إلى تبني هذا المفهوم ضمن بناء نظرياتهم عن اللغة , وقد توقف البحث عند الروافد العلمية غير اللسانية التي اقتبس منها اللسانيون هذا المفهوم , وقد عني البحث بالكشف عن المشكلات الناجمة عن (ما وراء اللغة) في تكوين الخطاب اللساني الذي سوف يلتبس بلغة الموضوع التي يضطلع بوصفها ذلك الخطاب , كما عُنِي البحث بالتفريق بين (ما وراء الخطاب) و (ما وراء اللغة) , ثم توقف البحث في نظرة تقويمية عند المقابلات العربية اللسانية التي حاولت تَمَثُّلَ المصطلح وترجمته . وفي المبحث الثاني عكف البحث على تلمس هذا المفهوم في التراث اللغوي العربي إذ توقف عند مدونات تراثية عربية نحوية ولغوية وعقائدية كلامية تمثلت بأمّات المصادر وبعض كتب الأمالي , وبعض مدونات علم أصول الفقه الإسلامي ممن تجلى عندها هذا المفهوم , مبيناً الدوافع الموضوعية التي أملت على تلك النظرات اللغوية التراثية اللجوء إلى مفهوم (ما وراء اللغة) متبنياً منهجاً تحليلياً وصفياً ومقتفياً أثر تطور المفهوم تأريخياً في تلك المدونات العربية , وموضحاً الخصوصية العربية التأريخية التي أملت على اللغويين اللجوء إلى هذا المفهوم مقترباً في كل ذلك عند مشكلات التلقي للخطاب اللغوي التي يولدها الحديث عن اللغة باللغة نفسها التي كان لها أكبر الأثر في تفريق اللغويين العرب القدماء بين اللغة و (ما وراء اللغة).

Abstract

The research deals with the concept of metalanguage , its importance in linguistics , and what makes linguists include it in their linguistic theories. The study looks at other scientific disciplines that linguists have referred to in deriving this concept. In addition, it sheds light on the problems with the term metalanguage in formulating the language of a discourse when it is confused with the discourse topic. The research also distinguishes between the two terms : metalanuage and metadiscourse. Furthermore, the research gives an evaluation of the Arabic linguistic counterpart of this concept that is used to represent this term. In the second section, the research examines this concept in Arabic linguistic heritage by looking at some Arabic collections, such as the famous sources, Al-Amali book , and some books of principles of Islamic jurisprudence which demonstrate this concept. The Arabs approached to this concept when they described language as a discourse generated by talking about the language in the same language. That view has the greatest impact on the ancient Arab linguists who were able to distinguish between language and metalanguage.

المقدمة

إنَّ مفهوم (ما وراء اللغة) ليس مفهوماً يستأثر به منهج من مناهج اللسانيات أو مدرسة من مدارسها , فتأخذ به واحدة وتتجاهله الثانية , وليس هو فكرة ينتابها قدم المعالجة وتتخطاه جدة التصور المتأخر بل هو بعد إجرائي راسخ في أي معالجة أو ممارسة لغوية أو علمية غير لغوية , تنشد لخطابها قناة إيصال يتحقق علي يديها كفاية إبلاغية علمية .

فهو يشكلُّ مصداقاً من مصاديق مبدأ العلمية في اللسانيات الذي يشمل تحديد موضوع البحث واتباع الوصف والتفسير في ضوء طرائق موضوعية , والتحقق من تلك النتائج [١] .

وإلى جنب ذلك يقف (ما وراء اللغة) , فهو على صعيد الممارسة حاضر في كل نظر و تأمل في مجال اللغة ؛ إذ يجري التعبير عن تلك الانطباعات حول اللغة باللغة نفسها , ولكن البحث اللسانيّ رصد ما ينجمُ عن ذلك من مشاكلات , وحاول ضبط اللغة النظرية اللسانية الواصفة للغة المدروسة في ضوء هذا المفهوم .

وقد حاول هذا البحثُ التعرفَ على هذا المفهوم في اللسانيات عن كثب ومن أين أفادت منه اللسانيات ؟ وما منشأ صعوبة الخطاب حول اللغة ؟ وكيف تعمل المبادئ البنيوية في تشكله الدلاليِّ وتكونه ؟ وحرص هذا البحث في المبحث الأول على التوقف عند المقابلات اللسانية العربية للمصطلح الغربيِّ , وما مدى انسجام تلك المصطلحات مع مقابلها النظريِّ الأصل ؟

أما المبحث الثاني فقد جهد بتتبع هذا المفهوم في المدونة التراثية اللغوية العربية , فقد سعى البحث من وراء ذلك إلى الكشف عن وعي العرب المتقدم بثنائية اللغة الموصوفة واللغة الواصفة , وما ينجم عن ملازمة الثانية للأولى من صعوبات ومشكلات في تلقي خطاب اللغة الواصفة ؛ الأمر الذي يبرهن على كفاءة نظراتهم التحليلية في اللغة .

المبحث الأول :

ما وراء اللغة في اللسانيات مفهومه ومسوغات تكونه

من أساسياتِ التحليلِ اللغويِّ في اللسانياتِ التمييزُ بين اللغة التي يراقبها اللغويُّ التي تسمى بـ (اللغة الهدف) أو (اللغة الموضوع) , واللغةِ التي يستعملُها في مراقبتِها ووصفِها أي (ما وراء اللغة) [٢].

ويشير (لاينز) إلى أنَّ اللغات يمكن أنْ تستعملَ للحديث لا عن العالم بل يمكنها أنْ تتحدثَ عَنْ نفسها وعن لغاتٍ أخرى . وهذه السمةُ هي سمةٌ خصيصةٌ بِهَاْ , وَقدْ أشارَ أيضاً إلى أنَّ علماءَ اللغةِ وعلماءَ المنطقِ أيضاً قد كونوا عدداً متنوعاً مِنْ اللغاتِ الواصفةِ ذاتِ الطابعِ الشكليِّ البحت . وتنحصرُ وظيفةُ (ما وراء اللغة) بوصف اللغاتِ الطبيعيّةِ على أدق وجهٍ ممكن [٣].

وَمِنْ أبرزِ مصاديق (ما وراء اللغة) تعريفاتُ المعاجم اللغويةِ للمفرداتِ , والأنحاء المدرسيّة التعليميّة , والدروس اللسانية بل كل خطابٍ عن اللغةِ يُعَدُّ لغةً واصفةً [٤] .

وَمِنْ اللغويينَ مَنْ يَعِدُّ العباراتِ المُفَسِّرَة لبعضِ المفرداتِ فِيْ الحواراتِ اليوميّةِ مصداقاً مِنْ مصاديق (ما وراء اللغة) , وهذا الأمرُ يستدعي التأملَ ؛ فهي عندَهُم لا تقتصرُ على الخطابِ اللسانيِّ , فهي حاضرةٌ في الاستعمال والخطابِ التداوليِّ , ومن أهم مصاديقها الاختصاراتُ و الرموزُ التي يلجأ إليها اللسانيونَ للتعبير عن المصطلحاتِ , وهي لغةٌ مغايرةٌ تماماً عن اللغة الطبيعيّةِ , فهي لغةٌ صوريةٌ تجريديةٌ رمزيةٌ تشبهُ لغةَ المناطقةِ ورموزَهُم في تحليلِ القضايا , ويدفعُهُم إلى ذلك تحري الدقة في الوصف [٥] .

وفي المعالجات السيميائية التي توازنُ بين اللغة البشريّةِ ومختلفِ الأنظمةِ العلاماتيةِ السيميائيةِ ولغة الحيوان تبرزُ هذه الخاصيةُ في اللغة البشريّةِ التي تفتقرُ إليها بقيةُ الأنظمةِ الإشارية غير اللغوية ولغة الحيوان [٦].

إنَّ الدراساتِ اللسانيّة نشاط علميٌّ وليس من طريقة

أخرى لوصف اللغاتِ من غير اللجوء إلى لغةٍ ما ؛ مما يخلقُ مشكلةً مفادُهَاْ استعمالُ موضوعِ الدراسة (اللغة الموصوفة) للحديثِ عَنْهَاْ . فهذاْ ٱلأَمْرُ سوفَ يهونُ وتخفُّ وَطْأَتُهُ في الدراساتِ العلميّةِ غيرِ اللسانيّةِ , فَمَاْ مِنْ عِلْمٍ مِنْ العُلُومِ إلا ويحددُ لَهُ مَوضُوعاً للدراسةِ , وبتمايز الموضوعات تتمايزُ العلومُ ومناهجُهَا , وكلُ علمٍ يحتاجُ أداةً للدراسةِ تُعَبِّرُ عن ذلك الموضوعِ , وتفصحُ عنهُ , فقد تتخذُ شكلَ البياناتِ أو الأرقام أو الجداول الإحصائية أو الرموز أو الصور أو الخرائط والإحداثيات إلى جنب اللغة الطبيعيّة وما تتوسلُ به من جهاز اصطلاحيٍّ نظريٍّ مجردٍ , فيكون موضوعُ الدراسة وأداة الدراسة مختلفين ولا توجدُ صعوبةٌ تُذْكَرُ في تمييز موضوع الدراسة عن أداتِهَاْ, لكن هذا الأمر إنْ حصلَ في بقية العلوم فهو لَنْ يَحْصلَ فِيْ الدِّرَاْسَاْتِ اللسانيّةِ والعلومِ اللغويّةِ؛ إذ يُسْتَعْمَلُ الموضوعُ بوصفه أداةً للحديث عن نفسه , فمَنَ يرومُ الحديثَ عن اللغة ووصفِهَاْ لا حيلةَ أمامَهُ من دون اللجوء إلى عباراتِ اللغةِ نفسِها , مما يولِّدُ تطابقاً جزئياً بينَ موضوعِ الدراسةِ وأَدَاْتِهَاْ [٧].

وقد دأبتِ ٱلْأدبياتُ اللسانيةُ على التفريق بين اللسانيّات العامة أو الكلية , واللسانيّات الوصفيّة العاكفةِ على دراسة لغةٍ بعينِهَاْ , ومن هذا المنطلقِ فرقَ د. المسديُّ بينَ لغةٍ واصفةٍ ضمن اللسانيّات العامة , وأخرى ضمن اللسانيات الوصفية النوعية مشيراً إلى تفاوت الصعوبة بينَ الاثنتين , فقد أكَّدَ أنَّ ((صعوبة الخطاب اللساني من حيث هو تعبير علمي يتسلط فيه العامل اللغوي على ذاته ليؤدي ثمرة العقل العاقل للمادة اللغوية . ويزداد الأمر عسراً عند الانتقال من المعالجة النظرية للظاهرة اللغوية العامة إلى دراسة لسان من الألسنة في ضرب من الكشف النوعي أو التحليل التطبيقي , ويتلابس عندئذ الخطاب القائل بالخطاب المقول بما أنَّ اللغة التي تمثل مادة الفحص تتطابق حينئذ مع اللغة التي تمثل وسيلة التعبير عن ثمرة هذا الفحص , ومن المفارقات الناجمة عن هذا الدوران أن البحث اللساني يزداد يسراً وارتياضاً كلما تباينت اللغة المدروسة واللغة الدارسة , أو لنقل ـ باقتباس ألفاظ يتداولها المناطقة في غير هذه المقاصد ـ إنَّ الخطاب العلمي اللساني يتناسب جلاؤه طردياً مع اختلاف اللغة الموضوعة عن اللغة المحمولة)) [٨] .

ويرجعُ المسديُّ هذهِ الحقيقةَ اللغويّةَ إلى ضَرْبٍ منْ الاستبطان النفسيِّ , فقد ذَكَرَ أَنَّ ((الفكر لا يعكف على اللغة بالنظر والفحص إلا بواسطة أداة لغوية وهذا يتم بفضل ما في الظاهرة اللغوية من طوعية الرجوع بنفسها على نفسها حتى يصبح الخطاب موضوعه ومادته كلاهما الكلام , وهذه من قدرات الشمول في اللغة لأنها تستطيع أن تتخذ من نفسها مرآة عاكسة ترى فيها نفسها بضرب من الاستبطان على حد عبارة علماء النفس)) [٩]

ومما يؤسفُ لَهُ أنَّ توظيفَ مصطلحِ الاستبطان النفسيِّ عندَ المسديِّ لتقريب مفهوم (ما وراء اللغة) هو توظيف قد جانبه التوفيقُ ؛ بسبب أنَّ موقفَ علماءِ النفس من (اللغة الواصفة) في التحليل النفسيِّ كانَ موقفاً سلبياً ؛ لكونه ـ في نظرهم ـ لا يشفُّ عن حقيقة المكبوتات الداخلية في لاوعي المريض ؛ بسبب رمزيةِ اللغةِ الإنسانيّةِ المحملة بمعانٍ اجتماعية ثقافية إيحائية , مما يسلبُهَا صفةَ الوساطة الحيادية في التعبير عمَّا يختلجُ في نفس المريض من مكبوتاتٍ حبيسةٍ في لاوعيه . [١٠] .

ويعيدُ المسديُّ رسمَ المثلثِ الدلاليِّ لـ (أوجدن وريتشاردز) في حديثه عن (ما وراء اللغة) , فإذا كانت الألفاظ في اللغات الطبيعية تعملُ في إحالتها للأشياء في ضوء ثلاثية الدال اللفظيِّ والمدلولِ الذهنيِّ التصوريِّ والمرجعِ الذي يحيلُ إليه في الواقع الخارجيِّ ,

فالمثلثُ الدلاليُّ فـ (ما وراء اللغة) عند المسديِّ سيختلفُ , ففي تصوره أنَّ :((انعكاس اللغة على نفسها من شأنه أنْ يجعل الكلام هو ذاته دالاً وهو نفسه مرجعاً , فتنصهر بصفة آلية كل عناصر الدلالة فلا يغدو دال ولا مدلول ولا مرجع إلا في حد واحد منصهر بحيث تتقلص أضلاع المثلث الدلالي تقلصاً يفضي بها إلى التطابق فتغدو كلها نقطة واحدة هي مركز الدائرة المحيطة في منطلقها بالمثلث متساوي الأضلاع)) [١١] .

إنَّ مستهل عبارة المسديّ المتعلقةِ بكون الكلام سوف يتحولُ إلى دال ومرجعٍ في الوقت نفسه في (ما وراء اللغة) تمتلكُ الدقةَ الموضوعيّةَ في تشخيص البعد الدلاليِّ لـ(ما وراء اللغة) , بَيْدَ أنَّ تمثيله الهندسيّ لِتَقَلُّصِ أضلاع المثلث ـ ومما يؤسف له ـ لم يكن موفقاً ,فهو يقوضُ تلك الدقةَ , فأضلاعُ المثلث الدلاليِّ تبقى على أصلها المعهود مع فارق يكمن في أنَّ المرجع سوف يتحول إلى مكونٍ لغويٍّ لا لشيءٍ خارجي متحدث عنه . وقد اكتفى المسديّ بشرح تلك المقاربة الرياضية باستعمال مفردات واصفة لها من دون تقديم رسم هندسيّ يجسد ذلك . ولبرهنة عدم الدقة لابُدَّ مِنْ رَسْمِ ذلكَ التمثيلِ الرياضيِّ الذي يتحدثُ عنهُ المسديُّ , فالبحثُ يرسمه في ضوء تصور المسديّ عنه بالنحو الآتي :

إنَّ الإتيان بالدائرة كان بسبب حاجته لإيضاح تَحَوّلِ المثلثِ و تقلصِ أضلاعِهِ إلى نقطة . وإقامةُ النقطة في وسط ضلعِ المثلثِ الواصلِ بينَ المرجعِ والدال ربما لم يكن مبرراً ولا يوضحُ تمثيلَ عمليةِ تقلصِ تلك الأضلاع من دون رسم الدائرة التي تشكلُ رؤوسُ المثلثِ و زواياه نقاطاً في محيطِها . فكانت الدائرةُ ونقطةُ مركزِها خياراً بيانياً يعكسُ تحولَ أضلاع المثلث إلى نقطة .

ولا بدَّ من رسم أبعاد محيطها لتجسيد ذلك التحول الذي سيؤولُ إلى نقطةٍ لا أبعادَ لها , متضمنا في كينونتها الدال والمدلول والمرجع في وقتٍ واحدٍ . فالبحثُ يؤكدُ أنَّ أضلاعَ المثلثِ الدلاليِّ تبقى قائمةً أيضاً في (ما وراء اللغة) , فالدالُ هو ألفاظ اللغة لا معانيها الوصفية الاستعمالية بل اصطلاحاتُها اللسانيةُ , ومدلولُها الذهنيُّ يمثلُ التصوراتِ النظريّة اللسانيّة عن لغة الموضوع الموصوفة , ومرجعُهُ الموضوعيُّ يمثلُ اللغةَ الموضوعَ المتحدث عنها , وزاويةُ المثلثِ الأخيرةُ ـ في تصور البحث ـ سوف تُقْطَعُ بنقطةِ زاويةِ مثلثٍ دلاليٍّ آخر يتمثلُ بالمثلث المألوف

إنَّ الضلع الواصل بين الدال واللغة الطبيعية رُسِمَ منقطاً مشاكلةً لأصل المثلث عند (أوجدن وريتشاردز) , فاعتباطيةُ العلاقةِ بين الدال ومرجعِهِ الخارجيِّ تم التدليلُ عليها بتلك النقاط , والأمرُ نفسه فيما يرى البحثُ يمكن أنْ يدل عليه بتلك النقاط غَيْرِ المتصلةِ فِي (ما وراء اللغة) إذا كانت اللغةُ الواصفةُ نظاماً صورياً رمزياً إذ يحتملُ هذا النظامُ ممكناتٍ شكلية كثيرة يمكن أنْ يقعَ الاختيارُ على أيٍّ واحدٍ منها للإشارة لتلك اللغة الموضوع , فليس ثمة ما يحتمُ اختيارَ رَمْزٍ من دون غيرِهِ لوصفِ مكون من مكونات اللغة . ولكن تلك الرموز لن تضطلعَ وحدها بوصف اللغة وبناءِ نظريّةٍ شارحةٍ متحدثةٍ عَنْ اللغةِ لا بل ليس بالإمكان الحديث عن اللغة من دون توظيف اللغة نفسها في وصف نفسها , مما يعني أنَّ الضلعَ

الواصلَ بَيْنَ دوال (ما وراء اللغة) ومرجعِها (اللغة الموصوفة) ينبغي أنْ يكون خطاً متصلَ النقاطِ , فالعلاقةُ تبدو علاقةً قسريةً , صحيحٌ أنَّ ثمة بدائلَ لفظية لغوية ممكنة تُشَكِّلُ خياراتٍ اصطلاحية يمكن توظيفُ أي منها والتواضع عليها , ولكن ليس هناك نظام إشاري يستطيع أنْ يكون بديلاً عن اللغة في (ما وراء اللغة) , حتى الرموز الاصطلاحية الصورية الشارحة للغة يجري التواضعُ والاصطلاحُ عليها بواسطة اللغة نَفْسِهاْ .

ولا تقتصرُ مشكلة اللسانيات الواصفة على اللبس الحاصل بينها وبين اللغة الموضوع التي تصفها فيما يخلقه خطابها من إيهام في المطابقة بينهما , بل إن تعدد النظريات اللسانية وتشعب اتجاهاتها لم يحققْ هدفَهَا بخلق لغةٍ عامةٍ تضطلعُ بوصفِ الألسن البشريّةِ جميعها وصفاً موضوعياً وبنحو علمي في إطار ما يُسْمَى بـ (اللسانيات العامة) , فقد تعددتْ كثيرٌ من نظرياتِها بتعدد اللغاتِ [١٢].

ويؤكد (روبير مارتان) أنَّ الكلمة في اللسانيات هي كلمةٌ غيرُ شفافةٍ بمعنى أنها تكفُّ عن الإحالة إلى العالم فهي تُحِيْلُ إلى نفسها , ففي كل معالجة لسانية سواء أكانت من عامة الناس غير المختصين بعلم اللسانيات أم من عالم اللسانيات تفقد العلامة اللسانية شفافيتها بنحو مؤقت وتنقطع عن الإحالة سوى إحالتها على نفسها , وفي اللحظة التي يتم فيها معالجةُ العلامةِ فِي ضَوْءِ أنْعِدَاْمِ شفافيتِهَاْ فسوف نَقِفُ موقفاً لسانياً [١٣].

وحديث (مارتان) وَرَدَ فِيْ سياقٍ تعليميٍّ في مقدمةِ كتابهِ , ويهدفُ إلى تيسير المفاهيم وتبسيطها , فمن الواضح أنه يجعل وظيفةَ (ما وراء الخطاب) تساوي وظيفيةَ (ما وراء اللغة) , فالموقفُ اللسانيُّ ينحصرُ ضمن الاشتغال العلميِّ التجريبيِّ المبرهنِ على مكوناتِ اللغةِ بدقةٍ متناهيةٍ في حديث واصفٍ يتسمُ بالتجريدِ الشديدِ , أما المواقف الصادرة على نحو مؤقت فهي إرغامات يمليها تأمينُ مقاصد الخطاب بنحو واضحٍ لا لَبْسَ فيهِ . صحيحٌ أنَّ سمةَ الانقطاعِ عَنْ الإحالة وفقدان الكلمة شفافيتها وَصْفٌ يمتلك من الدقة المتناهية في تعيين المفقودِ من أضلاع المثلث الدلاليِّ للعلامة اللسانية , والمقصودُ به هو المرجعُ الخارجيُّ , وهي صفة ملازمة في (ما وراء الخطاب) وفي اللغة الشارحة إلا أنها في الأول سرعان ما يُسْتَعَاْنُ بها من المتلقي لفهم قصد المتكلم , فيتعين مرجعها , بيد أنها في (ما وراء اللغة) تكف عن الاحالة بنحو مطلق .

وقد أكدتْ بَعْضُ الأبحاثِ اللسانيّةِ المتعلقة بالجوانب الإدراكية التصورية التي تختص بتمثيلها أنظمة اللغة تعذر إمكان وجود جمل شارحة لبعضها البعض بنحو دقيق , فشكل الجمل الشارحة يختلف عن شكل الجمل التي تشرحها في البناء وترتيب الكلمات والتنغيم , وهما وإنْ اتحدا بفكرة دلالية مركزية عامة لكن ما يسمى بالمنظور الفضائي الذي يمثل الحيز الإدراكيّ في تَمْثُّلِ الأشياء الخارجية يختلف بين شخص وآخر تبعاً لموقعه وزاوية نظره لما يَتَمْثَّلُ لَهُ , مما ينعكس في خصوصية تمثيله لما يبدو له [١٤] .

لقد مثلت مشكلة تمثيل المعنى في (ما وراء اللغة) كبرى القضايا المنهجية التي شكلت تهديداً لمبدأ العملية اللسانية المنطلق من التجريب المرتكز على مفهوم إمكان التحقق من المفاهيم النظرية , فكيف يتم الوصول إلى المعنى وتحليله والتحقق منه ووصفه وتمثيله ؟ فالأنظمة السيميائية غير اللغوية يعبر عن معانيها بواسطة نظام مغاير لها , ففي الحديث عن الرسالة الإشارية التي يدل عليها اللون الأحمر في إشارات المرور يستعمل نظام إشاري مغاير هو النظام اللغوي فيقال : إنَّ اللون الأحمر يعني التوقف . أما الرسالة اللغوية فتستعمل اللغة نفسها في الحديث عن معانيها , وإنْ كان ذلك متيسراً في الحديث عن مكوناتها التحليلية البسيطة نحو الأصوات فالأمر سوف يزداد تعقيداً في تمثيل المعنى والكلام عنه ؛ لتجرده في الذهن [١٥].

وضمن إطار اللغة الطبيعية قد يعطي معنى مفردة ما ترادفاً وصفياً لمعنى مفردة أخرى , نحو مفردة (حيوان) التي تصف مفردة (كلب) وترادفها في بعض جوانبها الإدراكية , وهذا الأمر فيما يؤكد (لاينز) يحدث أيضاً في (ما وراء اللغة) , فـ (تعبير لغوي) يدل على : (تعبير لغوي) و(وحدة معجمية) و(كلمة) , ويدل أيضاً على (كلب) و (حيوان) ؛ مثلما يدل (حيوان) على كائنين مميزين ومدركين, بمعنى أن مفردات (ما وراء اللغة) تكتسب معانيها من تقابلها في المعنى مع بعضها البعض . وتنبثق الدلالة في (ما وراء اللغة) بتعيينها لـ (اللغة الموضوع) التي ستعكف عليها بالوصف والتحليل , فهي بمثابة المرجع الذي هو موضوع الدلالة في إحالة اللغة الطبيعية الواحدة على العوالم الخارجية لحظة الاستعمال [١٦].

إنَّ هذا التفريق بين المعنى والدلالة لـ (ما وراء اللغة) كان الهدف منه لدى (لاينز) هو تقرير عمومية الخطاب الدلالي الواصف ضمن اللسانيات العامة , فهو في جهازه الاصطلاحي يمثل(معاني)النظرية الدلالية التي تقرر مبادئ وصفية تفسيرية عامة , وفي تعيينه ووصفه للغة ما يمثل ممارسة (دلالية) تعكف على وصف وتقرير معاني لغة طبيعية ما .

ويمكن الإفادة من هذا التمييز في رد الاعتراض الذي وجِّه لـ (ما وراء اللغة) باتهامه بالفشل في إيجاد لغة واصفة شارحة واحدة للغات المختلفة . فلا ضير من تعدد (ما وراء اللغة) ما دام كل واحد منها يعين مفرداته الشارحة ويحدد مفاهيمها من خلال تقابلاتها داخل الخطاب النظري الواحد المنسجم والمتماسك داخلياً.

وفي عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته اهتمت حلقة (فينَّا) بالبحث في لغة العلم ووضع لغات شكلية وحصر الاهتمام الفلسفي مشكلات فلسفية تخص اللغة مهتمة , بالتنقيب عن الخاصية العلاماتية للغة , وحددت هذه الحلقة العلاقة بين لغة الموضوع (الموصوف) واللغة الواصفة [١٧] .

وقد اقتبس اللساني (هيلمسلف) جُلَّ طروحاته في نظريته (الغلوسماطيقيا) من حلقة (فينا) التي حرصت على تأسيس منطق رياضي شكلي فكانت (الغلوسماطيقيا) نظاماً رمزياً يمثل جبر اللغة يهدف إلى وصف اللغة بطريقة رياضية صورية تتوسل بالرموز المجردة . فقد شدد (هيلمسلف) على ضرورة التمييز بين اللغة الموصوفة واللغة الواصفة. واللغة الواصفة في نظره هي علم اللغة الذي ينبغي أنْ يتحول إلى علم رياضي ينضوي تحت نظرية عامة للعلامات [١٨] .

وكأنَّ (هليمسلف) قد فطن إلى أنَّ البون بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة كلما كان واسعاً فموضوعية الوصف وانسجام الخطاب اللساني سوف يتحققانِ , ولا يحقق ذلك سوى التجريدِ الصوريِّ , ولكن لإغراق نظرته في التجريد إلى حد الغلو لم يتحقق لها الذيوع إذا ما قورنت بنظريات لسانية ومناهج مختلفة .

وبسبب إغراقها في التجريد لم تسهم (الغلوسماطيقيا) في وصف اللغات منفردة بقدر إسهامها في بناء النظرية اللغوية العامة وقد شكل ذلك مأخذاً عليها , حتى المحاولات اليسيرة التي انطلقت في وصف بعض اللغات في ضوء (الغلوسماطيقيا) بقيت بعض المستويات اللغوية نحو علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات الوظيفي خارج حيز التطبيق فيها لتعذر ذلك عليها [١٩] .

لقد أشار (بارت) إلى كيفية تحول العلامات الشارحة إلى جزء من النظام المشروح , فكل علامة تتكون من عبارة ومضمون يرمز للعبارة (ع) وللمضمون بـ (ض) و يأتلفان بالصورة الآتية (ع ق ض) فقد يكون النظام يمثل امتداداً وعنصراً في نظام ثان على الرغم من انفصاله عن النظام الأول, فعلى الرغم من تداخلهما وتشابكهما فهما منفصلان . وانفصال النظام عن الآخر يكون بطريقتين مختلفتين حسب نقطة اندماج الأول في الآخر, مما يؤدي إلى مجموعتين متعارضتين . ففي

الوضع الأول يصبح النظام الأول المؤلف من (ع ق ض) تعبيراً ويتحول إلى دال ضمن النظام الثاني

٢ ع ق ض

١ ع ق ض

ويؤكد أنَّ هذه الكيفية هي صورة الدلالة الإيحائية عند اللساني (هليمسليف) التي تمثل لغة الأدب التي يتحول فيها الدال والمدلول ضمن العلامة اللسانية إلى دال في لغة إيحائية , ويستدعي ويرتبط بمدلول إيحائي . وباختلاف نقطة الاتصال تتولد الحالة الثانية التي يكون فيها النظام الأول (ع ق ض) عبارة عن مدلول للثاني

٢ ع ق ض

١ ع ق ض

وهذه الحالة تمثل ما يسمى باللغات الاصطناعية التي يعبر عنها بالطريقة الآتية :

الإيحاء

واللغةالاصطناعية

[٢٠] واللغات الاصطناعية أحد مصاديقها اللغة الواصفة الشارحة للغة الموضوع (ما وراء اللغة) التي ستكون في ضوء الخطاطة السابقة التي رسمها (بارت) نظاماً إشارياً علاماته تمتد لتشكل المدلول للنظام الثاني أي تشكل المدلول للغة الموضوع التي هي محل عناية ووصف اللسانيات [٢١] .

والحق أنَّ هذا المخطط يستدعي النظر والتأمل والمراجعة , فالنظام التدليلي الشارح إذ يمتد فيتحول إلى مدلول للنظام الموضوع فمن شأنه أنه يقصر النظر من دون الامتداد ووصف دوال اللغة الموضوع في بعدها الشكلي , فالنظام الشارح في الوقت نفسه يتحول إلى دوال على دوال اللغة الموضوعة ولا يقتصر على وصف مدلولات اللغة الموضوع , فاللغة تلتحم مستوياتها الشكلية والدلالية في لحمة واحدة فتخلق النظام ,الأمر الذي يستدعي التفريق بين النظام السيميائي التدليلي الشارح للغة ما (ما وراء اللغة) الشارح للغة نفسها , فالأول أخص في تعلقه وامتداده في النظام الثاني (اللغة الموضوع) بينما (ما وراء اللغة) هو أشمل في تعلقه وارتباطه في النظام الثاني (اللغة الموضوع) , فمرة يتحول إلى دال تصف دوالها وتارة مدلولاتها .

وربما المنطلق الدلالي السيميائي لـ(هيملسلف)و(بارت) المهتم بالكشف عن عمل المدلول وأنظمة الدلالة حال من دون النظر لأنْ يمتدَّ نظرُهما لتداخل النظام التدليلي إلى دوال , فابتعد صنيعهما عن صورية تجسد (ما وراء اللغة) بنحو أدق .

وقد عاب (بارت) على السيمياء تواضع رؤيتها للغة النقد موازنة بلغة الأدب , فهي ترى أنَّ لغة الأدب(اللغة الموضوع) لغة من الطبقة الأولى على حين ترى نفسها لغة من الدرجة الثانية , ويرى (بارت) أنَّ لغة الأدب الشارحة بالإمكان أنْ تحل محل اللغة الأولى من حيث الأهمية والإبداع , إنَّ تصور (بارت) هذا شكل مأخذا عند من انتقد لغة الحداثة الأدبية الشارحة للنصوص المنطلقة من تصور (بارت) هذا فقد تحولت في نظرهم إلى غاية للفت النظر إليها لا إلى ما تشرح وتفسر من نصوص , فهي تمارس عملية حجب النص أكثر مما ينبغي أنْ تضطلع به من إنارة النص نقدياً ؛ لدوافع غير موضوعية ؛ لتبرز قدرة الناقد وتفوقه في خطابه النظري المستغلق [٢٢] .

وتحضر وظيفة (ما وراء اللغة) ضمن خطاطة (ياكوبسن) الشهيرة . إنَّ تمييز (ياكوبسن) بين أطراف عملية الاتصال هو الذي انتهى به إلى وظيفة (اللغة الشارحة) فهو يميز بين أطراف ستة في عملية الاتصال تتألف من (باث)متكلم ينشئ الرسالة اللغوية

, و(مخاطب) أي مرسل إليه يتلقى ما يبثه المرسل , و(رسالة لغوية) , و(سياق) يؤطر ما تتحدث عنه الرسالة , و(قناة اتصال) مادية تمثل وسيطاً فيزيقياً تنتقل عبره الرسالة ,و(نسق لغوي) يمثل الشفرة التي تُرَمَّزُ بها معلومات الرسالة , والشفرة هي ما يضاهي النظام في مفهوم (سوسير) ,

السياق

المرسل الرسالة المستقبل

الشفرة

وسيط ناقل

وتنبثق الوظائف اللغوية في الاتصال من خلال تركيز المتكلم على طرف من هذه الأطراف الستة فقد تهيمن وظيفة ما من هذه الوظائف على مجمل الخطاب فتدمغه وظيفياً بها , ولكن لا يعني ذلك غياب بقية الوظائف بنحو مطلق فقد يحضرن ولكن ليس على نحو مهيمن , مثلما تهيمن به الوظيفة التي تطغي على مجمل الخطاب , فإذا ركز المتحدث على نفسه فستكون الوظيفة (تعبيرية) مثل العبارات التي تجسد التعابير الانفعالية التعجبية وعبارات الأسف أو الحزن , وإذا وقع التركيز على طرف المخاطب فتكون الوظيفة هي وظيفة (ندائية) نحو أساليب الطلب والنهي والنداء , وإذا ركز المتحدث على الرسالة وحدها وعلى تكوينها فالوظيفة ستكون وظيفة شعرية وتكون المرسلة تنتمي إلى فنون الأدب , وإذا وقع التركيز على السياق , فالوظيفة تكون وظيفة مرجعية التي تتمحور حول الحديث عن وقائع وأشياء خارجية يهدف إلى نقلها المتكلم إلى المخاطب , وإذا وقع التركيز على الوسيط الناقل فالوظيفة تكون وظيفة (تنبيهية) تهدف إلى إقامة الاتصال وتأمينه نحو عبارات المتكلم في الهاتف التي يطمئن فيها المتحدث بأنَّ الآخر يسمعه (أنا اتحدث معك هل تسمعني ؟)وعبارات التحايا والسلام تمثل أمثلة للوظيفة التنبيهية التي تهدف إلى إقامة الاتصال, وعبارات المجاملة الاجتماعية في الترحيب التي تقال في سياق الاستضافة تمثل مصداقاً لوظيفة إقامة الاتصال , وإذا وقع التركيز على الشفرة التي تمثل نظاماً مشتركاً بين الباث والمستقبل فالوظيفة هي (وظيفة شارحة)نحو أنا أقصد من قولي كذا هو أني كذا , ونحو المفردات التي تفسر وتشرح مفردات أخرى حينما يحس المتحدث بغموضها وعدم فهم السامع لها[٢٣] .

مرجعية

تعبيرية شعرية ندائية

ما وراء اللغة

إقامة اتصال

تمثل الوظيفة المرجعية الأساس في معظم أشكال التواصل , وإن حضرت بقية الوظائف فحضورها لا يفوق هذه الوظيفة , فوظيفة (ما وراء الخطاب) تصب في ديمومة الوظيفة المرجعية والحفاظ عليها ببيان ما غمض من مكوناتها على المخاطب .,وقد يستغنى عن وظيفة (ماوراء الخطاب) كلما كانت الكفاية التواصلية التي يتمتع بها الطرفان المخاطب والمرسل بمستوى عال بنحو لا يحتاج الخطاب في مفصل من مفاصله لبيان شيء يغمض على متلقيه فيما يحيل إليه . وتحضر في الخطاب التعليمي والإرشادي بنحو أكثر من ألوان الخطاب الأخرى , نحو ما يرويه الخطباء في الوعظ الديني من أحاديث مأثورة ذات أسلوب لغوي فصيح قد لا يتناسب بثه مع مستوى المتلقين فيضطرون الى أنْ

يشفعوه بحكاية مضمونه ومعناه بمفردات من اللهجة العامية الدارجة غير الفصيحة , فالمرسل يتمثل أداؤه في لحظة الكلام على وفق خاصية الاسترجاع اللغوية التي تتيح له مراقبة أدائه ومدى تفاعل المتلقين لما يبث , فيعمد إلى تقنية البدائل التركيبية فيعمد إلى الإضراب أو عطف البيان أو البدل بأنواعه أو إلى التأكيد لرفع توهم المجاز أو إلى الجمل المعترضة التي تقتحم طرفي الوحدة الإسنادية المتسقين دلالياً وتركيبياً بغية إيضاح ما يكتنف بعض الأطراف من إبهام , أو قد يعدل عن بعض العبارة التي سببها انزياح الخطاب عن أدائه المثالي , فقد يشوبه خطأ فيعمد إلى وسيلة نحوية متمثلة بـ(بدل الغلط) لتأمين تقنية الإحالة الدقيقة في الوظيفة المرجعية . على حين لا حضور يذكر للوظيفة المرجعية في (ما وراء اللغة) إذ ينعدم السياق الواقعي التي تحيل إليه عبارات اللغة , فتغدو اللغة بوصفها نظاماً هي المرجع في الحديث , فترتد الألفاظ في(ما وراء اللغة) منعكسة فتولد اللبس في الإحالة , فاللبس ناشئ وحاصل بسبب خاصية الانعكاس ، بينما اللبس يزال عن الوظيفة المرجعية بفضل (ما وراء الخطاب) الذي يكتسب شرعية تكوينه وإنشائه لإزالة اللبس في الخطاب . والسمة الأخرى هي أنَّ (ما وراء الخطاب) هو خصيصة حاضرة عند مستعملي اللغة على نحو مطلق حتى عند الأطفال في بواكير اكتسابهم للغة فقد يرد على لسانهم عبارة مستفهمة (ماذا تعني هذه المفردة) أو (استفهام عن قصد المتحدث), أما (ما وراء اللغة) فهو خطاب علمي يقتصر تداوله على المشتغلين بصنعة الكلام وعلوم اللسانيات . في (ما وراء الخطاب)تحضر الوظيفة اللغوية الشارحة لتحقيق أمن اللبس أو لأغراض وظيفية أخرى , فهي ليست وظيفة مهيمنة في الخطاب , بينما (ما وراء اللغة) هي لغة مهيمنة ولا تحضر الوظائف الأخرى مثلما هي سمة الخطاب العلمي القائم على وحدة الإحالة , فلا مراوحة فيه بين مرجع وآخر في عملية الإحالة مثلما يحصل ذلك على مستوى التداول الطبيعي.

ويمكن توظيف مصطلحي (الكفاية اللغوية) و(الكفاية الوصفية) في التفريق بين (ما وراء الخطاب) و (ما وراء اللغة) على الرغم من عدم عناية التوليدية بحقل الخطاب , فالمعرفة الضمنية الذاتية الفطرية بقواعد اللغة التي تبيح للمتكلم إنتاج ما لا حصر له من جمل جديدة وفهم جمل أخرى جديدة لم يتأتَ له سماعها من قبل وإصدار الأحكام النحوية غير المعللة حول غموض الجمل أو نحويتها واستقامتها تركيباً بالارتكاز على حدسه هي المسؤولة عن تصويب ومراجعة ما غمض من الأداء [٢٤] . فهي معرفة غير معللة يرتكز عليها (ما وراء الخطاب) في مراجعة ما يبث , بينما تمثل الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية المرتكز النظري الافتراضي القائم على التجريب العلمي الذي يعكف على وصف واكتشاف القواعد النحوية التوليدية وتفسيرها وبناء نظرية اللغة العامة [٢٥], فهما اللغة الواصفة والمفسرة للغات الطبيعية وملكة التوليد , وهدفهما بناء نظرية لغوية شرطها التفسير الشامل لنظام اللغة الكلي فهي ترتكز على (ما وراء اللغة) . ولقد وجه (ديل هايمز) انتقاداً لمفهوم (جومسكي) حول الكفاية اللغوية ينطلق من مبدأ التواصل , الذي يأخذ في النظر إلمام المخاطب بشروط المحادثة الصحيحة وما ينبغي أنْ يتمتع به المتحدث من قابليات تمكنه من التواصل , وقد توسع غير (هايمز) بهذا المفهوم ليشمل الكفاية الثقافية [٢٦]. ويمكن توظيف هذا المفهوم أيضاً على الرغم من عدم تناوله لوظيفة (ما وراء الخطاب) نقول يمكن توظيفه في بيان ما تضطلع به الكفاية الاتصالية في تمثل وتصويب وتفسير ما غمض والتبس من الخطاب , فليس ضرورة أنْ تكون المعرفة الضمنية الفطرية التي منشؤها الحدس هي المرتكز في (ما وراء الخطاب) بل الثقافة ربما المتواضعة أو الإحاطة البسيطة ببعض قواعد اللغة التي تتيح للمتحدث الإدلاء

بتفسيرات لغوية معللة عن بعض مكونات خطابه .

سك المصطلح في الدراسات العربية الحديثة :

ترد مقابلاتٌ عربية مختلفة وكثيرة للأصل الغربي ومن أبرزها (ما وراء اللغة) , فهو يرد في كتاب التفكير اللسانيِّ للمسديِّ بمفهومه النظري , ويوظف هذا المقابل اللفظيِّ عنواناً لأحد كتبه وهو (ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية) , وهذا الكتاب لا يعنى بالبحث عن هذا المفهوم اللساني على الرغم من تبلور المصطلح العربي وانبثاقه وشيوعه على يد المسديِّ في كتابات وأبحاث له كثيرة في استعمال يتطابق مع مفهومه اللساني النظري مما يمثل ريادة اصطلاحية موفقة له إلا أنَّه يرد عنده في كتابه هذا في نزعة تقترب إلى النزعة اللغوية لا الاصطلاحية فقد انطلق نحو التفتيش عن حفريات اجتماعية ومعرفية ودينية تقوم بمثابة المحرك نحو نظرة العرب إلى اللغة وخصوصية لغتهم والترجمة وتكافؤ اللغات وتلقيهم للسانيات الحديثة ومشاكلات المعرفة النقدية ؛ في أبحاث شتى يجمعها رباط موضوعي واحد هو المحركات الاجتماعية الحضارية التي تشكل نظرتهم تجاه هذه القضايا , ولعل خير ما يؤكد ذلك حرصه إلى زيادة عبارة فرعية لعنوان الكتاب ـ وهو الخبير الثاقب ـ دفعا لما قد ينشأ من توهم إرادة المصطلح النظري , فكانت العبارة الزائدة : (بحث في الخلفيات المعرفية) مما يقرب صنيعه هذا من منهج (فوكو) الحفري , والدليل الثاني هو أن من يقرأ ويتمعن بالمباحث السيميائية التي تضمنها الكتاب يجدها خلوا تماماً من أي اقتراب لهذا المفهوم أو رصد لمصداق مفاهيمي تضمنته المدونة التراثية العربية , والمقتطفات الذكية التي وظفها للتدليل على جهدهم وسبقهم اللساني والسيميائي في وقت محل اشتغال هذا المفهوم (ما وراء اللغة) هو المحل العلاماتي اللساني السيميائي [٢٧], فغيابه يدل إلى جنب ما ذكرناه عدم إرادة هذا المفهوم في كتابه هذا. وهو في وقت متقدم في كتابه (التفكير اللساني في الحضارة العربية) قد عثر على نص تراثي للتوحيدي يرتكز على هذا المفهوم [٢٨]. الأمر الذي يؤكد أنه يرد بمعناه اللغوي الدال على المحركات الحضارية المعرفية التي تقف خلف التراث اللغوي لا ارتداد المصطلحات النظرية الواصفة على موضوع البحث (اللغة المدروسة) .

وتظهر ترجمة المصطلح عند ماجد النجار بـ (متن اللغة) [٢٩]وهي ترجمة غير موفقة ,على الرغم من جهده وترجمته القيمة لكتاب (نيدا). وهذه الترجمة ولم يقدر لها أنْ تشيع في الخطاب اللساني العربي , ومن الواضح أنه يستعير مصطلحا تراثياً عربياً مألوفاً هو (متن اللغة) الذي أكثر ما ينصرف إلى المفردات التي تشكل مادة المعجم , وبه سميت معاجم متأخرة مثل معجم (متن اللغة) لأحمد رضا , فهذا الاصطلاح يوحي بطريق أو آخر بالمصطلح اللغوي التراثي .

ويطلق عليها المسدي أيضاً مصطلحَ الوظيفة المعجمية [٣٠] , والوظيفة الانعكاسية [٣١] ,وترد عنده المقابلات الاصطلاحية الآتية أيضاً Metalangue لغة انعكاسية Metalinguistique لساني انعكاسي , وانعكاسية (وظيفة) Metalinguistique(function [٣٢] .

ويستعمل عبد القادر المهيري في ترجمته لـ (مدخل لفهم اللسانيات) لـ (روبير مارتان) مصطلح (الور لساني) و (الورلسان) و(ورلسانية) في نعوت مختلفة [٣٣] , فقد عمد إلى اختزال وحذف الألف والهمزة من آخر كلمة (وراء) وأدخل (ال) التعريف عليها مع إضافتها إلى تصاريف مختلفة حسب النعوت التي يقتضيها سياق الاستعمال من (لسانية , لساني , لسان) , وهذا ما تأباه طبيعة اللغة العربية , فالمُعَرَّفُ لا يُضَأْفُ إلى ما بعده , وهو من المسكوكات الشائعة خطأ في ترجمة المصطلحات الغربية التي تألف دمج الكلمات مع بعضها البعض بحذف أجزاء من بنية المفردة وإسقاطها . ولا يقتصر الأمر في عدم التوفيق

إلى هذا الاصطلاح إلى طبيعة الصيغة الاصطلاحية حسب بل إلى ما يحيله الجزء الأخير (لساني, لسانية) فـ (ما وراء اللسانيات) يختلف تماماً عن (ما وراء اللغة) على الرغم من الصلة الموجودة بينهما, بيد أنهما لا يتماهيان فـ (ماورا اللسانيات) هو ينصرف إلى فلسفة اللسانيات أو ما يسمى بـ (الأبستمولوجيا) أو (نظرية المعرفة) وهي تبحث بأسس اختيار النظريات اللغوية والركائز التي تقوم عليها مناهج وصف اللغة , بينما يهتم (ما وراء اللغة) ببحث ودراسة اللغة وتحليلها مثلما هي علاقة النحو العربي بأصول النحو , أو الفلسفة بالمنطق.

ويقدم محمد علي الخولي مقابلين اصطلاحيين إزاء هذا المصطلح Metalinguistics هما : ((علم اللغة الواصفة : دراسة اللغة التي تستعمل في وصف لغة أخرى . علم ماوراء اللغة .علم اللغة الماورائي : علم يدرس الظواهر المرتبطة باللغة مثل الدلالات الاجتماعية للفروق بين اللغات والعلاقة بين اللغة والحضارة والسمات الصوتية النادرة)) [٣٤] .

ولا يخفى ما في زيادة مفردة (علم) في سك المصطلح من إيحاء بأنَّ المفهوم يساوي علماً نظرياً أو منهجاً على حين هذا المفهوم هو آلية حاضرة في أي منهج أو أي نظرية لغوية فهو بعد إجرائي لساني على ما في تضمن التعريف الأول من مفاهيم الأبستمولوجيا وهو إن كان مسيس الصلة بها إلا أن العلاقة بينهما علاقة تضمن بعضا بكل , فالبعض هو (ما وراء اللغة) والكل يشمل ما يتعلق باختبار النظريات وأسس وضعها ونحو ذلك , أما التعريف الآخر فيتعلق مفهومه بأنثروبولوجيا اللغة واللسانيات النسبية الباحثة في المسافات الشكلية بين أنظمة اللغات , فالمفهوم مغاير لأصل المصطلح اللساني بل هو أقرب الى الدلالة اللغوية العرفية التي يمكن أن يدل بها إلى أن دراسة اللغة لا تقتصر على الشكل البنيوي المجرد بل يشمل ما وراء ذلك من سياقات حضارية وثقافية , وشتان ما بين الاستعمال العرفي والنظري الاصطلاحي من فارق .

ويترجم شاكر عبد الحميد مصطلح metalingual function بـ الوظيفة اللغوية الشارحة والوظيفة اللغوية العليا [٣٥] . ولم يكتف جمال الحضري مترجم (معجم اللسانيات) الصادر بإشراف (جورج مونان) بتقديم مقابل عربي واحد أمام المصطلح الإنكليزي , فقد قدم أكثر من مصطلح عربي فقد ذكر(ما وراء اللغة , ما فوق اللغة , ميتا لغة , لغة واصفة) [٣٦] .

ولا يخفى أنَّ المصطلحات الثلاثة الأول متقاربة في الترجمة , والثالث منها ترجم بتقديم السابقة الأجنبية من دون ترجمة (ميتا) بإضافتها إلى (اللغة) , فهي ترجمةٌ حرفيَّةٌ للمقابلِ الأجنبيِّ .

ويختار سعيدُ حسن بحيري مُصْطَلَحَ (اللغة الواصفة) بِوَصْفِهِ مقابلاً عربياً للمصطلح الأجنبي مبيناً أنَّ مصطلحي (اللغة العليا , ولغة مجردة) هما ترجمة حرفية غير موفقة مؤكداً أنَّ اختياره وترجمته بـ (اللغة الواصفة) حقق المواءمة مع منهج (هليمسلف) في نظريته التي تميز بين لغة الموضوع (الموصوف) التي هي لغة طبيعية التي يقع عليها اختيار عالم اللغة للدراسة ؛واللغة الموصوفة التي يختارها عالم اللغة لدراسة اللغة الموضوع , فتكون منطقية أو رمزية أو غير ذلك [٣٧].

وفي مواضع من ترجمة بحيري يسجل مؤاخذة على مؤلفة الكتاب المترجم , ففي توقفها عند العالم (رومان ياكوبسن) وطروحاته اللسانية أهملتِ الْتوقفَ والإشارة إلى تمييزه لوظائف اللغة في ضوء خطاطته الشهيرة , فشرع المترجم بعد مؤاخذته تلك بسرد تلك الوظائف. واللافت للنظر أنه قدم أكثر من مصطلح عند تقديمه الموجز لوظيفة اللغة الشارحة , ولم يستعمل مصطلحه الذي ارتضاه , فقد ذكر المصطلحات الآتية: (الاصطلاحية , الواضعة ,أو ما وراء اللغة) فقد استعمل ما لم يصطلح عليه ! [٣٨].

إنَّ مصطلحي (اللغة الواصفة) و (اللغة الشارحة)

يَطَّرِدَانِ بنحوٍ ملحوظٍ في كثيرٍ مِنْ الدراسات العربية إلى جنب مصطلح (ما وراء اللغة) , وقد يوحي مصطلح (اللغة الواصفة) باقتصار النشاط اللغويِّ على ملاحظة المكونات ووصفها من دون النفاذ إلى التفسير وبناء نظرية اللغة العامة , كذلك مصطلح (اللغة الشارحة) قد يوحي مدلوله بالنشاط التعليميِّ المقتصر على إيضاح وبيان ما يغمض من مكونات اللغة ومفرداتها ؛ بينما مصطلح (ما وراء اللغة) وعلى الرغم من ترجمته الحرفية فهو يمثل أقرب المصطلحات من حيث الدقة لمعنى هذا المفهوم. ولا ضيرَ من استعمال المصطلحين الآخرين ضمن سياق ورود المصطلح الأول (ما وراء اللغة) , فهو قرينة دالة على إرادة هذا المفهوم من الآخرين .

المبحث الثاني :

ما وراء اللغة في التراث العربي مفهومه ومسوغات تكونه وموازنته بالمفهوم الغربي

لقد أفرز التحليل اللغوي عند العرب في سياق التلقي التعليميّ الشفاهي أو الممارسة الإجرائية التحليلية في مدوناتهم اللغوية منطلقات تحرص على دفع التوهم الحاصل بين مطابقة عباراتهم الوصفية لما تصف أي مطابقتها للغة الموضوع , فقد تمثل ذلك في شذرات موزعة لا تنتظم في باب نحويٍّ ولغويٍّ واحدٍ , ولا تتعاقبُ على مورد بعينه إنما هي إرغامات تتعلق بسوء التلقي لخطابهم فهي التي أملت عليهم ذلك التوقف في حقب زمنية تبدو متباعدة نسبياً ولا تقتصر على نحويّ أو لغوي بل امتدت عند بعض البلاغيين والمفسرين وعلماء الأصول الأمر الذي يحتمُ على البحث استحضارَ السياقِ الجدليِّ بكلِ وقفةٍ من تلك الوقفات في إطارها النظريِّ و التأريخيِّ المتعاقبِ , وهو أمر لم يكن سهلاً إذ يحتم مراجعة مدونات تراثية كثيرة جداً , وقد لا يسعفه الحظ بالعثور على شيء مما يفتش عنه بعد طول المراجعة, أو قد يعثر على نتف يسيرة لا تنهض بإيضاح ذلك المشكل من دون أنْ تشفع بنظائر لها لا تطل هي الأخرى بنحو واضحٍ في عنوان أو باب من الأبواب بل ترتصفُ بين الأسطر مما يتطلبُ جهداً مضنياً في العثور عليها .

ومن أبرز تلك المسائل ولعلها هي التي أشرعت البحث في هذا المفهوم ما يورده سيبويه في كتابه من أنَّ اسم الحرف التبس بمدلوله الذي يشير إليه أي الحرف نفسه عند نفر من تلامذة الخليل (ت ١٧٥هـ) في مجلس ضم سيبويه (ت ١٨٠هـ)بنحو ما يلتبس (ما وراء اللغة) بـ (اللغة الموضوع) مما يشكل دافعاً للخليل نحو توضيح الفارق بين الاثنين ؛ كي يتمكن من إفهامهم المسألة التي هو بصددها التي تلخصت بتعليمهم كيفية النطق بالحرف بمعزل عن تشكيله داخل الكلمة وتفاعله ببقية الأصوات نفاذاً إلى ذوق الحرف للتعرف على كينونته الصوتية والسمعية النطقية بمعزل عن أثر الأصوات المجاورة له داخل الكلمة , ولصعوبة تجزئة الكلمة وتقطيعها والتوصل بنطق الحرف مفرداً إلى جنب تداخل مصطلح اسم الحرف بالحرف نفسه فقد أخفقوا في الإجابة الأمر الذي حدا به أن يبين ما غمض عليهم في الاثنين لينفذ إلى قضيتين خطيرتين إحداهما تتعلق بقضية فنولوجية من قضايا التشكيل الصوتي التي تلتقي معها القضايا التشكيلية الصوتية المعاصرة في استحالة النطق بالصوت مفرداً من دون معية صوت آخر ليشكلا معاً مقطعاً صوتياً مع فطنته وانتباهه على اختيار صوت يأتلف مع الصوت الآخر المختبر يساعد على النطق به ولا يؤثر فيه في الوقت نفسه , فكان صوت الهاء الساكن كاشفاً عن ذوق الأحرف المتحركة , وهمزة الوصل في بدء الحرف كاشفاً عن ذوق الحرف الساكن . والقضية الثانية تصب بالتمييز بين الحروف وأسمائها التي أشرعت الباب لمن بعده في التمييز بين اللغة الموضوع واللغة الدارسة لها فقد أورد سيبويه الحكاية في كتابه

قائلا: ((قال الخليل يوماً وسأل أصحابه :كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لَكَ والكاف التي في مالك , والباء التي في ضَرَبَ ؟ فقيل له : نقول: باء كافْ . فقال : إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف . وقال : أقول كَهْ وَبَهْ . فقلنا : لِمَ ألحقت الهاء , فقال: رأيتهم قالوا :عهْ فألحقوا هاءً حتى صيّروها يستطاع الكلام بها , لأنه لا يُلفظ بحرف .فإن وصلت قلت : كَ وبَ فاعلم يا فتى , كما قالوا :عِ يا فتى . فهذه طريقةُ كلِّ حرفٍ كان متحركاً)) [٣٩]

وكثيراً ما يلجأ سيبويه في كتابه إلى إيضاح الخصائص التركيبية لوحدة إسنادية بوحدة إسنادية أخرى تكافئها في الخصائص التوزيعية والوظيفية وإن اختلفتا فيما تحيلان عليه ضمن اقتضاءات سياقية متنوعة يستدعي كل واحد منها تركيباً معيناً يناسبه , وكل التركيبات هي من التراكيب المستعملة ومتكلم بها , فسيبويه يصف تركيباً مستعملاً بتركيب آخر , أو يتحدث عن التركيب المستعمل بتركيب ثان مستعمل , وفي أحيان أخرى يلجأ إلى تراكيب صناعية شارحة في حديثه عن تلك التراكيب المستعملة , وفي هذه الأحيان الأخيرة يحرص على إيراد هذه العبارة (وهذا تمثيل ولا يتكلم به) حتى لا يتوهم متوهم أنَّ تلك التمثيلات هي من الكلام المطرد فيحاكيه استعمالاً وينسج على منواله بل تقتصر وظيفتها على التمثيل وتبيان الأحكام النحوية, فثمة مسوغات منهجية ملحة حدت بسيبويه إلى رصد الاستعمال وتوثيقه , وتحرص أنْ لا يحصل توهم بأنَّ اللغة المفسرة للمتن اللغوي بأنها عبارات مستعملة [٤٠] .

والواو في هذ العبارة واو استئنافية ترد بعد توضيح سيبويه التركيب الذي هو بصدد وصف مكوناته وأحكامه الائتلافية بعبارة صناعية تضاهي التركيب من حيث الوظائف النحوية وانتظام المكونات ولكن تتضمن بعض المفردات التي تشغل موقعاً يوازي موقعاً وظيفياً في الجملة الأولى , ويشغل الموقع في الجملة الثانية مكونا لغويا يفسر ويبين وظيفياً ما يشغل الموقع نفسه في الجملة الأولى من بعض المفردات , فتأتي عبارة سيبويه ردفاً للثانية مشيراً إليها بهذا التركيب المتضمن إحالة متجسدة بلفظة (هذا) العائدة على التركيب الصناعي , ويخبر عنها بـ (تمثيل) للدلالة على أنه غير مستعمل ولا ينتمي إلى (اللغة الموضوع) , ثم يعطف بـ (الواو) على هذا الكلام قوله (ولم يتكلم به) للدلالة والتأكيد بأسلوب النفي على عدم استعماله . ومن ذلك تعقيبه بهذه العبارة على كلام الخليل الذي أشار أنَّ القول: ما أحسنَ عبد الله ! بمنزلة القول: شيءٌ أحسنَ عبد الله , حتى لا يتوهم السامع أنَّ قول الخليل (شيء أحسنَ عبد الله) هو كلام مستعمل , فقد حرص سيبويه على المجيء بهذه العبارة (وهذا تمثيل ولم يتكلم به) .

فقد أبدل (ما) بـ(شيء) حتى تتضح منزلتها الوظيفية في التركيب بكونها مبتدأ , فعلى الرغم من تأكيده منع تقدم (عبد الله) على (ما) وعدم جواز تأخر(ما) عنه إلا أنه قد أحسَّ بأنَّ الإتيان بجملة اسمية شارحة لا يجوز فيها تأخر المبتدأ(شيء) لأنَّ خبره غير مفرد (أحسن عبد الله) , وهو جملة فعلية متضمنة ضميراً مستتراً عائداً على المبتدأ (شيء) . فَتَأخرُ(شيء) يُخْرِجُ الجملةَ من الاسمية نحو الفعلية , فتنقلب دلالتها الإسنادية الإبلاغية بذلك التأخير , والسبب وراء ذلك التمثيل هو أنَّ (ما) تحتمل دلالات كثيرة حرفية وأسمية , فالإتيان بـ(شيء) في الجملة الثانية التي توازي موقع (ما) في الأولى يبين أنَّ (ما) اسم شغل موقع المبتدأ ولا يصح تقدم خبره عليه (الجملة الفعلية) [٤١] .

ويحكي الزجاجي ت ٣٣٧ هـ اعتراضاً جدلياً على تقسيم النحاة للكلم على اسم وفعل وحرف , وهذا الاعتراض لا يستحضر مفهوم المصطلحات الثلاثة بل تنطلق مؤاخذاته من حمل المدلولات على معانيها المتداولة في اللغة الموضوع , فالأرجح في نظر المعترضين عليها أنْ تنعت بالأفعال سواء أكانت أفعالاً نحو:(قام) و(يقوم)

, أم أسماء نحو (رجل) و(زيد) , أم أحرفاً نحو (من) و(إلى) ؛ لأنَّ هذه الأقسام كلها أفعال المتكلم , فهي كلامٌ منطوقٌ , والكلام يفعله ويوجده المتكلم بعد أنْ لم يكن موجوداً , مما يؤكد ـ في نظرهم ـ كونها فعلاً من أفعاله محتجين بذلك أنَّ الاسم غير المسمى , فزيد (الاسم) غير مسماه . كذلك احتجوا بأنَّ لفظ الفعل (قام) في جملة (قام زيد) ليس هو فعلا من أفعاله بل هو فعل لفظي للمتكلم ، ففعل زيد الحقيقي حركته على حين هذه اللفظة هي عبارة عنها , ونحو ذلك سائر الأشياء فهي أفعال لفظية ناشئة مِنْ فِعْلِ التفوه حين ينطق المتكلمُ بها [٤٢].

وقد انبرى الزجاجي في رد تلك الاعتراضات بإيضاح معانيها الاصطلاحية مؤكداً في الوقت نفسه أنَّ الاعتراض وإنْ كان في ظاهره صحيحاً إلا أن المعاني الطارئة على تلك الألفاظ مختلفة الهيئات , مما يدعو للفرق بينها في الدلالة . والأمرُ اللافتُ للنظرِ أنَّ الزجاجي في خاتمة إسهابه في بيان تلك المعاني الاصطلاحية ينسب رأياً للمُبَرِّدِ (ت ٢٨٥ هـ) مفادُهُ هو إجازته تسمية تلك الأقسام الثلاثة بالأسماء , فكل من الاسم والفعل والحرف هو اسم لِمَاْ دَلَّ عليهِ مِنْ مسمى أو من حدث وزمان أو معنى حرفي , وأجاز المُبَرِّدُ فيما يحكيه عنه الزجاجي تسميتها كلها بالأحرف, فهي أي (الأسماء والأفعال , والأحرف) في نظر المُبَرِّدِ قِطَعُ الكلامِ المتفرقة , كذلك يجيزُ المُبَرِّدُ أنْ يسميها أفعالاً مرتكزاً على كونها أفعالاً تَصْدِرُ عَنْ النَّاطِقِ بِهَاْ [٤٣].

ولا يعني إجازة المُبَرِّدِ لتلك التسميات تبنيها في وصف وتحليل التراكيب العربية , فهي مصطلحات رئيسة وحقق استعمالها ثباتاً تداولياً في الخطاب النحوي على شتى مذاهبه ومدارسه بل تنطلق الإجازة من رصد اعتبارات ممكنة مختلفة في تسمية المكونات اللغوية , فالذي غلب في الخطاب النحوي هو استعمال تلك المصطلحات الشائعة لكفايتها الوصفية التحليلية .

والحق أن في تسمية المعترضين على تلك المصطلحات وجهاً من الصواب إذا ما نظرنا إليه من زاوية لسانية معاصرة تتمثل بنظرية أفعال الكلام لـ (أوستن) الذي ميّز ثلاثة أفعال في النشاط الكلامي, أولُهَاْ هو فِعْلُ القولِ الذي يلتقي مع تلك المؤاخذات ويقصد به إنشاء الألفاظ والتراكيب ونظمها بصورة تتوافق صوتياً ودلالياً في نطق المتكلم مع قواعد لغة ما , فالمكونات الشكلية كلها أفعال وأنشطة نطقية للمتكلم , وهذا ما أرادته تلك الاعتراضات , والفعل الثاني في تصور(أوستن) هو الفعل المتضمن في القول , ويقصد به القوة القصدية الإنجازية المتضمنة لتحذير أو نهي ونحوهما , أما الفعل الثالث فهو فعل الأثر الذي يحدثه الكلامُ عند المخاطب ويقصد به الاستجابة المتمثلة بالنشاط الذي يضطلع به المخاطب.[٤٤]

ولكن لا يعني هذا أنَّ منطلقهم كان سليماً في رصد تلك المؤاخذات , فلم تتبلور في تلقيهم مدلولات تلك المصطلحات وحقولها المفاهيمية ضمن قصدية الخطاب النحوي العربي , فالتبس الأمر عليهم إلى جانب عدم تبرئة تلك المؤاخذات من مماحكات سجالية تصدر عن روح الجدل لذات الجدل نفسه , فالمدلول اللغوي لـ(فعل) بمعناه الاستعمال المركزي العام هو من أوحى لهم ذلك لا اقتفاء الأثر الإنجازي الذي يمهد له فعل الكلام , مثلما يتجلى في آثار (أوستن) التداولية في عمقها النظريِّ اللسانيِّ المعاصر.

ويقف ابن جني (ت٣٩٢) في خصائصه وتحديداً في باب إيراد المعنى بغير اللفظ المعتاد عند مفهوم اللغة الواصفة أي ألفاظ الصنعة النحوية ومعانيها التي ربما تؤدى بغير ألفاظها مستشهداً بحوادث ميدانية وقعت لبعض النحويين واللغويين أثناء مشافهتهم للأعراب مبيناً أنهم أي الأعراب تلقوا أسئلة النحويين من دون أنْ يحفلوا بصناعة الإعراب النحوية لأنها منحصرة في ألفاظها لقوم مخصوصين هم النحويون فلم تراع قواعد الصنعة النحوية ومقتضيات السؤال في إجابة

الأعراب , فمن ذلك أنَّ بعض النحاة سأل أعرابياً عن تحقير (تصغير)(الحُبارى) فلم يفطن لمعاني التحقير في الصناعة النحوية التي تصوغ الاسم نفسه بتغيير صرفي للدلالة على التصغير , فجاء بما يقابله من نوعه نفسه أي فرخه الصغير فذكر بأنه : (الحُبْرور) ولم يصغر اللفظة المسؤول عنها. ويروي أيضاً تجربتين ميدانيتين وقعت له في مشافهة بعض الأعراب حصل فيها له ما حصل لغيره من النحاة مع الأعراب إذ لم يفطنْ الأعرابيُّ المسؤولُ لقصد ابن جني حينما سأله مرة : كيف تجمع المحرنجم ؟ فغضب الأعرابي ظاناً أنه يريد المعنى العرفي الاستعمالي العام لـ (المحرنجم) فأجاب معترضاً : وأَيْشٍ فرقه حتى أجمعه ؟ وحادثة أخرى له يرويها حصلت له مع الأعرابي نفسه لا يبتعد مضمونها عن مضمون الحوادث السابقة , فقد سأله عن تحقير (تصغير) (الدمكمك) ـ ومعناه الرجل القوي ـ فأجاب: (شخيت) ـ أي النحيف الجسم ـ ولم يفطن لغرض السؤال المنطلق من معاني الصنعة التي تجري تغييراً شكلياً لبنية المفردة بكيفية مخصوصة في تصغيرها(تحقيرها), فحسب الأعرابي أنه يسأل عما يقابل المفردة في استعماله اليومي ليؤكد ابن جني أنه قد جاء بما يعرفه هو ولم يراعِ في جوابه مذهبَ النحاةِ فِيْ صنعتِهِم [٤٥] .

فعدم التواضع على نسق الصنعة النحوية يفضي تداولياً إلى لبس في الدلالة التصورية التي يتلقاها الأعرابي, فلا يحقق التواصل كفايته الإبلاغية الهادفة لمراقبة الأداء وتوثيقه بوصفه خطوة أولى نحو الوصف ثم التحليل والتفسير. فابن جني قد فطن إلى سر إخفاق التواصل ملخصاً إياه بسبب يعود لسوء تلقي معاني الصنعة اللغوية الأمر الذي يؤكد تمييزه بين المعاني الاستعمالية ومعاني الصنعة , وهذا التمييز يمثل ـ لسانياً ـ مصداقاً للتمييز بين اللغة الموضوع و(ما وراء اللغة) .

ويشير العسكريُّ ت ٣٩٥ هـ وهو بصدد التفريق بين المعنى والغرض إلى أنَّ تمثيلات النحاة لا تتعلق بغرض إبلاغي , فهي لا تصدر عن متحدث يصدر عن قصد ما إذ ذكر ((الفرق بين الغرض والمعنى : أن المعنى القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه ... والكلام لا يترتب في الإخبار والاستخبار وغير ذلك إلا بالقصد , فلو قال قائل محمد رسول الله , ويريد محمد بن جعفر , كان ذلك باطلاً , ولو أراد محمد بن عبد الله ـ عليه السلام ـ كان حقاً , أو قال : زيد في الدار , يريد بزيد تمثيل النحويين لم يكن مخبراً)) [٤٦]

ومن أبرز من توقف عند مفهوم (ما وراء اللغة) التوحيدي(ت ٤٠٠هـ) , فقد اصطلح عليه بـ (الكلام على الكلام) ورد ذلك في معرض رده عن سؤال الوزير, فقد أورد ما نصه ((وقال أدام الله دولته ليلة : أُحب أنْ أسمع كلاماً في مراتب النظم والنثر, وإلى أي حد ينتهيان , وعلى أي شكل يتفقان , وأُيهما أجمع للفائدة , وأرجع بالعائدة , وأدخلُ في الصناعة , وأولى بالبراعة ؟

فكان الجواب: إنَّ الكلام على الكلام صعب . قال: ولم؟ قلت: لأنَّ الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشُكولها التي تنقسم بين العقول وبين ما يكون بالحس ممكن , وفضاءُ هذا متسع , والمجال فيه مختلف . فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه , ويلتبس بعضه ببعضه , ولهذا شقَّ النحو وما أشبه النحو من المنطق , وكذلك النثر والشعر وعلى ذلك)) [٤٧] .

يمثل هذا الكلام مهاداً نظرياً مقتضباً توسل به التوحيدي للحديث عن كيفية إنتاج النصوص الشعرية الإبداعية والنثرية ومايكتنف الحديث عن ذلك من صعوبة تشق على غير أهل صنعة الأدب واللغة,ولم يسترسل في الحديث عن قضية (الكلام على الكلام) أكثر من ذلك , ولم يعثر البحث على باحث قبل المسديّ قد أشار إليه واستدعاه بوصفه مصداقاً لمفهوم (ما وراء اللغة) [٤٨] وبعد حين يحضر النص نفسه عند أكثر من باحث فقد ورد عند

محمد محمد يونس في كتابه (المعنى وظلال المعنى) [٤٩]
وعند حسين خمري في كتابه (نظرية النص) [٥٠]
وعند أحمد يوسف في (السيميائيات الواصفة) [٥١]
موظفين إياه في مقاربة اللغة سيميائياً وافتراقها في سمة الارتداد على نفسها في استحضار نص التوحيدي .
إنَّ مقارنة صعوبة صنعة الكلام (الخطاب اللساني) بـ (المنطق) تمثل أس المشكلة عند التوحيديِّ فلم يتوقفوا عندها . والتوحيديُّ في سطوره الموجزة والمكتنزة نظرياً لا يكتفي بتشخيص الصعوبة المشبهة بصعوبة المنطق بل يعبر عنها صورياً لكن من دون تمثيل جبري بنحو ما يلجأ إليه (بارت) , وهو أمر لم يشر إليه المسديّ أو الباحثون بعده ,ويلوح ذلك للبحث من عبارة (يدور بعضه على بعض) , فـ (الدور) مصطلح منطقي أصيل عند المناطقة العرب , وغالباً ما يعبرون عنه بنحو جبري باستحضار رمزين , وربما لو استعمل التوحيدي لفظ (الدور) لفطنوا إليه , ولكن عبارته المتصرفة باللفظ بصيغة (المضارع) (يدور) جعلتهم لم يفطنوا إلى قصده . وربما لاكتفائهم بما اكتفى به المسدي واتكائهم عليه والإفادة غير المصرحة هي السبب التي حالت من دون أنْ تمتد عنايتهم إلى مفهوم (الدور المنطقي) المتعلق بـ (الكلام على الكلام) .
فالدور هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر , وهو في المنطق علاقة بين حدين يمكن أنْ يعرف كل منهما بالآخر , وغالباً ما يمثل له بتوقف معرفة أ على ب .[٥٢]
ففي الدور تداخل صوري مثلما في (ما وراء اللغة) تداخل بين نظام لغوي طبيعي ونظام شارح له , فيتحولان إلى لحمة غير قابلة الانفصال مثل علاقة الدال والمدلول , فالفصل بين الدال والمدلول هو فصل اعتباري لتمييز أطراف العلامة اللسانية , وهما في حقيقة الأمر ملتحمان ببعضهما الآخر كوجهي الورقة الواحدة ,كذلك لا يغدو من مبرر للدال في (ما وراء اللغة) لولا دوره وتوقفه على مدلوله (اللغة الطبيعية).

ويرصد الشريف المرتضى ت ٤٣٦ هـ في أماليه جدلاً ينبثق من المتكلمين في تسجيلهم مؤاخذات تجاه النحويين مرتكزة على نقد تقسيمهم للفعل في أزمنة ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل بينما في تصورهم العقلي للفعل أنه لا يعدو صورتي الوجود والعدم, أي فعل موجود وآخر لم يوجد , فالموجود والمتحقق صار ماضياً أما الآخر وهو المعدوم فهو المنتظر تحققه وغير واقع ولا صورة ثالثة تحتملها القسمة العقلية لديهم[٥٣] .
ويُحْسَمُ النزاعُ عند المرتضى لصالح النحويين في تصويب فكرة تقسيم الأفعال على ضوء الأزمنة الثلاثة , ولكن يمهد له بمدخل نقدي يحمل المسؤولية فيه لعدم التأمل في المواضعات الاصطلاحية النحوية الدقيقة التي قد تشترك في اللفظ مع بعض مواضعات المتكلمين التي لا تقتصر على القبليات القرائية الثقافية لكل صاحب فن وما يعمد من إسقاطات مفاهيمية تنسجم مع فنه , فسوء العبارة الواصفة للغة الموضوع ونقدها كانت الميزان في الفصل بين النحاة والمتكلمين ففي نظره ((لا المتكلمون يحسنون العبارةَ عما لحظوه وأرادوه , حتى يزول الخلاف في المعاني التي هي المهم ـ ولا اعتبار بالعبارات ـ ولا النحويون يفطنون لإفهام ما قصدوه بلفظٍ غير مشتبه ولا محتمل , فكم من معنى كاد يضيع بسوء العبارة عنه وقصور الإشارة إليه !)) [٥٤]
وينطلق الشريف المرتضى من مفهوم (المواضعات المختلفة) الذي يكافئ مفهوم الخطاب المعاصر بمعناه المعرفي عند(فوكو)لا الشكلي اللساني في نقد اعتراضات المتكلمين الصادرة تجاه لغة النحويين الاصطلاحية , فالخطاب يمثل شبكة المفاهيم الثقافية أو النظرية التي تشكل قبليات مشتركة تصدر عنها ألوان مختلفة من القول قد تختلف فيما بينها في محمولاتها الإبلاغية, وقد يسمى كل واحد منها خطاباً بيد أنها تنتمي إلى مقولات أم مؤسسة ورئيسة من شأنها أن تحقق الانسجام بين صور مختلفة من الخطاب وتميزه

عن ألوان أخرى من خطاب مغاير , وإدراك تلك الخصوصية التي تشكل تقابلاً خطابياً يميز معرفياً بين خطاب وآخر من شأنها أنْ تفضي للحوار المثمر بينهما لا المماحكات التقويضية التي تتجاهل خصوصية ما يسميه الآخر بالارتكاز على اهتماماتها النظرية . فالمرتضى أكد أنَّ العرف العلمي يختلف باختلاف أهله وعاداتهم الاصطلاحية , فعلى الرغم من انتمائه إلى دائرة علم الكلام لكنه استطاع بموضوعية تحسب له النفاذ إلى نقد تلك المؤاخذات الكلامية بالارتكاز على مفهوم (المواضعات المختلفة) بعد أنْ أوهم المدلول اللغوي لـ (فعل) المتكلمين في اقترابه من مصطلحهم الكلامي (فعل) الذي يعني الإيجاد المتعلق بالذوات الحادثة بعد عدمها ؛ بخطأ النحويين في تسميتهم للفعل بذلك من دون بقية أقسام الكلام من الحروف والأسماء , فمن وجهة النظر الكلامية أنَّ (الفعل) و(الأسماء), وكذلك (الحرف)الذي فرق النحويون بينه وبين الأسماء كلها أفعال حتى الأصوات هي أيضاً أفعال في التصور الكلامي . والحق أنَّ هذا الاعتراض ليس جديداً بل كان قد توقف عنده الزجاجي من قبل في إيضاحه بنحو ما مرَّ في هذا البحث , لكن تبدو معالجة المرتضى أكثر توفيقاً من معالجة الزجاجي , لا لأنه صدر عن متكلم حاكياً اعتراضهم الكلامي بمصطلحاتهم الدقيقة بنحو تفصيلي أكثر ممّا فصَّل الزجاجي , بل في تحميله المسؤولية للطرفين معاً بنحو ما مر , إلى جنب توظيفه اللغة الكلامية الشارحة والواصفة في الانتصار لمقصد النحاة وبيان المنطلقات النظرية النحوية في ضوء علم الكلام؛ في مراوحة شارحة بين الخطابين , فمرة يعرض الاعتراض بلغة المتكلمين وأخرى يجعل لغة النحاة (لغة شارحة) للغة المتكلمين هادفاً من ذلك التدوير النظري إلى البرهنة على صحة مرامي النحويين , فهو يشير إلى أنَّ النحويين لم يلجؤوا في الفصل بين الاسم والفعل والحرف من جهة نفي الحدوث والفعلية في بعديهما الوجودي بل فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية التي يذهب إليها المتكلمون؛ لما للتمييز بين هذه الأقسام من وجهة نظر معتبرة عند النحويين, لدلالة الاسم على معنى يخلو من الزمان , و لدلالة الاسم على معنى باقترانه بزمان مخصوص , والحرف لخلوه من هاتين العلامتين سموه بذلك . فكأنَّ النحويين فيما يؤكد المرتضى قد قصدوا في تسميتهم تلك إلى ما هو فعل حادث على حد المتكلمين , فقسموه وصنفوه ونوّعوه , فسموا بعضه اسماً وبعضه فعلا وبعضه حرفاً بسبب اختلاف الأحكام التي عقلوها من الفعل الحادث . ويؤكد المرتضى في نهاية المطاف في خطاب يخص به المتكلمين أنْ لا لوم على النحويين بذلك ولا مناظرة فيه معهم مصوباً ما ذهبوا إليه[٥٥] .

إنَّ تأكيد المرتضى أنْ النحويين قد قسموا فعل الحدوث الكلامي على ذلك التقسيم الثلاثي المعهود هو أمر تقريبي تمثيلي لا أنَّ النحاة قد انطلقوا من مبادئ كلامية عقلية في التقسيم بدليل أنه استعمل مفردة (كأنَّ) , فلمقتضيات الإقناع في كلامه الموجه للمتكلمين استعمل لغتهم الشارحة وكأنها شكلت موضوعاً للغة النحاة الشارحة حتى يدرك المتكلمون مغزاه بيسر في ضوء تصورات كلامية معهودة إليهم .

ويلوح عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تفريقاً واضحاً بين اللغة الموضوع والعبارات الدالة عليها , وهو في هذا التفريق كغيره من اللغويين العرب ممن توقف عند هذا المفهوم ممن أتى على ذكرهم البحث لم ينطلق نحو التقنين أو التقعيد للسمات الشكلية والاصطلاحية للغة الدارسة والواصفة كحال اللسانيات المعاصرة التي انصب همها على إكساب الخطاب اللساني صفة العلمية في التفريق بين اللغة موضوع الدراسة و(ما وراء اللغة) بل يصدر الحديث عنده في التفريق بينهما لدفع اعتراض ما ولا يكون التفريق موضوعاً مستقلاً في النظر والبحث لديه , فثمة اعتراض يتعلق بمشكل يجر دافع الاعتراض

ومفنده نحو هذا التفريق , فالجرجاني قد طغى الحجاج لديه في اثبات أنَّ نظم الكلام يتعلق بنظم المعاني النحوية وتعليق بعضها بالبعض الآخر, ولا يعود لسمات تتعلق بنظم الألفاظ فهي خادمة لها وتقفو أثرها في النفس . وقد حرص برد اعتراضات كثيرة وجمة تناهض ما يُنَظِّرُ لَهُ الأمر الذي انعكس شكلاً في أسلوبية الكتاب وبنيته التي غلب عليها طابع التكرار , وهو في كل مرة من المرات يعرض نظره في النظم من جديد بما يناسب الرأي المناهض, فهو تكرار يعضد وظيفة الحجاج التي انبنت عليها إحدى ركائز كتابه (دلائل الإعجاز) , ومن بين تلك الاعتراضات التي ردها الجرجاني أنَّ النظم لو كان يعود لمعاني النحو لما تأتى للعربي البدويِّ الذي لا يعرف النحو ولا يلم بمصطلحاته نحو المبتدأ والخبر وغيرهما أنْ يأتي بنظم من الكلام لا يحسنه المتقدمون في علم النحو ممن هم على إحاطة بالكلام العربي مما يؤكد في نظرهم أنه ـ أي النظم ـ لا يعود لمعاني النحو . ولقد وظف الجرجانيُّ في ردِّ هذا الاعتراض رداً كلامياً قد لجأ إليه علماء الكلام لرد اعتراض وجه إليهم ممن أنكر عليهم جدوى هذا العلم ومصطلحاته , فالصحابةُ ـ فيما يرى الجرجاني ـ والعلماء في الصدر الأول لم يكونوا على إحاطة بمصطلحات (الجوهر , والعرض , وصفة النفس, والمعنى) والعبارات التي وضعها علماء الكلام التي تقنن لمفاهيم العقيدة الإسلامية , فلو كانت الدلالة ـ والاعتراض لمنكر علم الكلام ـ على المفاصل العقائدية المهمة كحدوث العالم ووحدانية الله عز وجل لا تتم إلا بمعرفة ما وضعه علماء الكلام و ابتدَؤوا به من عبارات لكان تصور علماء الكلام عقائدياً أفضل من التصور العقائدي للصدر الأول الإسلامي الذي أثر عنه ذلك .

والرد الذي وظفه الجرجاني الذي انطلق متوسعاً فيه فيما يتعلق بالنظم أنَّ جواب المتكلمين تلخص بالتفريق بين العبارات أي عبارات المتكلمين ومدلول العبارات , والعبرة في نظر المتكلمين ـ أي الاعتقاد السليم ـ بمدلول العبارات لا بالعبارات , ويقصدون بمدلول العبارات جملة التصورات والعقائد التي اعتنقها الصدر الأول من المسلمين من دون الإشارة إليها , أي هي التي شكلت موضوعاً للدراسة والبحث عند (علماء الكلام) أي مدلول العبارات هي بمثابة (اللغة الموضوع) ومصطلحات علم الكلام وتصوراته النظرية بمنزلة (ما وراء اللغة) . ومدلول العبارات عند الجرجاني ستكون معاني النحو التي ينطلق منها ذلك البدوي في إنشاء الجمل وفهمها والتفريق بين نظم وآخر , فهو يفطن إلى الفرق بين (جاء زيدٌ راكباً) و(جاء زيدٌ الراكبُ) ولا تضره عدم معرفته ـ بنحو ما يؤكد الجرجاني ـ بعبارة النحويين في (راكب) وكونه حالاً , أو عبارته في (الراكب) وكونه صفة , كذلك هو يفطن إلى أنَّ (زيداً) في (زيد منطلق) مخبر عنه و(منطلق) خبر , ولا يضيره شيئاً عدمُ معرفة عبارة النحويين عن ذلك وتسميتهم لـ (زيد) مبتدأ. فمعاني النحو الفطرية الذي ينطلق منها إبلاغ العربي البدوي في بيان أغراضه وفهمه وتأويله لما يتلقى من الكلام تمثل (الموضوع له) أو (مدلول العبارات النحوية) أي إنَّ اللغة تمثل المدلول ولغة البحث عنها تمثل (الدال) بنحو انعكاسي . و يؤكد الجرجاني ذلك التمايز في موازنته فهم البدوي الأعرابي بالوضع الثانوي النحوي قائلاً : ((لو كان عدم العلم بهذه العبارات يمنعه العلم بما وضعناها له وأردناه بها لكان ينبغي أنْ لا يكون له سبيل إلى بيان أغراضه وأنْ لا يفصل فيما يتكلم به بين نفي واثبات وبين ((ما)) إذا كان استفهاماً وبينه إذا كان بمعنى الذي وإذا كان بمعنى المجازاة ,لأنه لم يسمع عباراتنا في الفرق بين هذه المعاني))[٥٦] .

ويعضد الجرجاني ما يذهب إليه برواية من روايات اللحن التي اعترض فيها الأعرابي منكراً خطأ المؤذن في نصبه لمفردة (رسولَ) في قوله : (أشهد أن محمداً

رسولَ) مؤكداً أنَّ انكاره يصدر عن علم بأنَّ معنى النصب يخرجه عن كونه خبراً ويصيره والاسم الأول بمنزلة الاسم الواحد الأمر الذي لا يحقق الإفادة مما حدا به أن ينبه عليها معترضاً بقوله : صنع ماذا ؟ أي يطلب ما يجعله خبراً وإنْ لم يستعمل هذا الأعرابي عبارات النحاة الواصفة , مما يؤكد معرفته الفطرية بمعاني النحو [٥٧].

ويمكن للبحث أنْ يستعين بهذه الرواية وتوظيف الجرجاني لها في تدعيم ما ذهب إليه في المبحث الأول في التفريق بين (ما وراء الخطاب) و(ما وراء اللغة) , فالجرجاني يحرص على نفي فطنة الأعرابي بعبارات النحاة ؛ مؤكداً وعيه بمدلولها بنحو فطري , وينطلق لإثبات ذلك بالاعتراض العفوي على أداء لغوي خاطئ الأمر الذي يعزز ما تمَّ تأكيده في المبحث الأول بأنَّ (ما وراء الخطاب) يصدر من وحي (الكفاية الضمنية) التي هي معرفة فطرية بقواعد اللغة , ولا يصدر عن الكفاية التفسيرية في عدم التصويب التي هي معرفة نظرية علمية مبرهن عليها , ولا يشترك فيها الجميع بل تقتصر الإحاطة بها على المهتمين بعلوم اللسان .

ويقترب الجرجاني من مفهوم مهم يتعلق باللغة الواصفة وعدم مكافأتها دلالياً لما تصفه, فقد عالج هذه المسألة وهي بصدد رد أحد الاعتراضات الذي وجه لحصر النظم بالمعاني , فقد انطلق هذا الرأي من كون العبارات المفسرة لا تفضل العبارات التي تفسرها , فكلاهما يمثلان معنى واحداً , فلا فضيلة تعزى للمعاني بل العبرة والمزية تعود للألفاظ ؛ مستدلين بذلك بالألفاظ التي تفسر بعض المفردات الغريبة التي يغمض معناها ويجهل العلم به فتأتي مفردة تفسر المفردة الغريبة , فكلاهما يتكافآن دلالياً ويعبران عن معنى واحد , ولكن ستكون المزية للفظ , نحو مفردة (طويل) التي توضح وتفسر معنى (الشرجب) , وهي من الألفاظ الغريبة التي يقل تداولها . والجرجاني لا ينكر مقدمتهم الاستدلالية المتعلقة بكون بعض الألفاظ المفسرة لألفاظ غريبة يعبران عن معنى واحد , ولكن الذي ينكره هو سحب هذا المفهوم إلى التراكيب المؤلفة للكلام المفهوم وعلى وجه الخصوص تلك التعابير الإيحائية التي تتضمن مجازاً واتساعاً التي تُفَسَّرُ بتراكيبَ يبتعدُ نظمُها عن دائرة المجاز والإيحاء , فهو لا يرتضِي كون العبارات المفسرة لها تحمل المعنى نفسه في الدلالة , فهو يؤكد أنَّ اللفظ المفرد يدل على معنى ويشرح اللفظ الغريب الذي كأنه لا معنى له لعدم الاحاطة والجهل به , فمعناه هو معنى المفردة المفسرة لها, بيد أنَّ العبارات التي تتضمن استعارة أو كناية لا تدل على معنى تفسره تلك العبارات الشارحة التقريرية التي تتضمن المعنى نفسه بحسب ادعاء من ادعى ذلك بل هي أي العبارات المتضمنة استعارة أو مجازاً تدل على معنى وذلك المعنى يدل على معنى آخر في حين العبارات المفسرة لها لفظها الذي يدل على معنى تعييني فحسب ولا يتعدى غير ذلك , فلا يصح الاستدلال بكون المعنى واحداً في التعبيرين , فعبارة (كثير رماد القدر) وإن فسرتها عبارة (هو كثير القرى) لكنهما لا يتكافآن دلالياً [٥٨].

فمزية النظم تعود لألفاظ الاستعارات والمجاز لا لنظم معانيها النحوية . إنَّ ما ينتهي إليه الجرجاني لتأكيد فكرة النظم الصادرة من تعليق المعاني النحوية بعضها بالبعض الآخر هو الفرق الدلالي بين التفسير والمفسر , وهو عين ما ترصده اللسانيات في تمييزها دلالياً بين اللغة الموضوع و(ما وراء اللغة), فالمفسر هو ما يكافئ (اللغة الموضوع) والتفسير يكافئ (ما وراء اللغة) , ولكن الجرجاني قد قصر الفرق الدلالي بين التفسير والمفسر على التراكيب وتحديداً بين الإيحائية والتقريرية المفسرة لها, بيد أنَّ الأمر في اللسانيات يمتد ليشمل جُلَّ مكوناتِ اللغةِ مفردات وتراكيب . ولا يعدم البحث وقفة في التراث اللغوي العربي تحس بهذه المشكلة أي تفسير اللفظ المفرد بلفظ آخر مفرد مع تأكيد التباين الدلالي بينهما, فقد انطلق من هذا المنطلق أبو

هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) وهو بصدد نفي الترادف اللغويِّ بين المفردات ودفع شبهة منكري الترادف الصادرة من أنَّ المفردة يفسر معناها بأخرى , فهما يتكافآن دلالياً ولا فرق بينهما في المعنى ومع إنكار العسكري للترادف يقر أن تفسير معنى اللفظ بآخر يفارقه دلالياً هو أمر يتعلق في النشاط اللغوي وكأنه يهجس بأس المشكلة ولكن لا خيارَ من دون ذلك, فلا بد من إيضاح المفردة بأخرى مع ما فيهما من اختلاف دلالي [٥٩] .

وثمة مؤاخذات كلامية تحمل مصطلح الفاعل والفعل على الحقيقة العقلية المنطقية ولم تدقق في مغزى الوضع الثانوي الاصطلاحي عند النحاة , فَتُشْكِلُ على علل النحويين التفسيرية المتعلقة بالعامل انطلاقاً من هذه المسلمة الكلامية فكيف يكون الفاعل مرتفعاً بالفعل وهو موجد ومنشئ له في بعده الفيزيقي الخارجي ؟ وكيف يكون المفعول به منتصباً بالفعل وقد أوجده الفاعل فهو أثر من آثار الفاعل ؟ وأنى للفعل أنْ يؤثر فيه والفعل إنما أثره يكون بوساطة الفاعل فلولا الفاعل ما وجد الفعل ؟ هذه المسألة وغيرها من مؤاخذات كلامية انبرى لجلوها ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) في تساؤل عقلي كلامي وجه إليه , فكان من أبرز مرتكزاته التي فند فيها تلك المؤاخذات هو أنْ مبادئ الصناعة النحوية ومصطلحاتها المتداولة عند النحويين لا ينبغي أنْ تحمل دلالتها على ما عند غيرهم من مواضعات تبعدها عن قصد النحويين .فالنحويون لا يريدون من الفاعل بأنه قد أوجد الفعل على نحو الحقيقة , فالفاعل في تصورهم هو من أسند إليه الحديث الذي قبله , وبه جرى الحديث عنه سواء أكان موجداً له ومخترعاً أم لم يوجد, نحو(مات زيد) و(مرض زيد) [٦٠] .

ويعضد ابن السيد البطليوسيّ تصوره هذه بمسألة الفرع والأصل فيما يتعلق بالأسماء والأفعال , فهي عند النحاة على خلاف ما عند المتكلمين الذين يبحثون عن الحقيقة الواقعية في الموجودات الخارجية التي ينسجم معها القول بأنَّ الأفعال فرع عن الأسماء, فهي التي أوجدتها, فقد أشار إلى ذلك في نصه : ((الأشياء عند النحويين ليست على موضعها عند أهل النظر من المتكلمين وإنَّ لكل صناعة سبيلاً يجب ألا يتعداها من أراد تعلم تلك الصناعة , وإلا فسدت عليه المعاني بإدخاله في تلك الصناعة ما ليس منها . ألا ترى أنَّ النحويين قد جعلوا في هذا الذي ذكرناه الأفعال أصلاً والأسماء فرعاً محمولاً عليه , وذلك بعكس ما عليه الأمر في الحقيقة)) [٦١].

ولم يقتصر الأمر على المؤاخذات المتعقبة أواخر الكلم والآثار في نقد مصطلحات العمل بل شكلت المعاني الإعرابية التحليلية الواصفة منطلقاً في موازنتها بالحقيقة العرفية لنقد تلك المصطلحات أيضاً في التصور النظري العقلي , ولم يبتعد الرد كثيراً عند ابن السيد البطليوسي عن رده السابق ؛ مستعيناً هذه المرة بما يدحض المشكل الجدلي بعبارات تداولية خارج دائرة الصنعة النحوية وقع فيها لفظ الجلالة الكريم مفعولاً به في حجاج يرمي لتقرير أنَّ لغة النحاة الشارحة (الصنعة النحوية) في معانيها الإعرابية هو حكم لفظي, حسبها أن تحلل أجزاء الكلام وتميز بين مكوناته, وتلك المكونات لفظية لاشك ,فهي تبحث في أحكامها ولا يمتد البحث في المعاني الوجودية الخارجية, فهذا شأن أهل الكلام والعقل,فقد نص قائلاً : ((جميع صناعة النحو إنما تفيد المتعلم لها حكم الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني لا حكم المعاني في أنفسها . ألا ترى أنك تقول : مات زيدُ , فيكون (زيدٌ) فاعلاً من طريق اللفظ , وإن كان مفعولا من طريق المعنى وكذلك تقول: ذكرت زيداً , ومررت به , فتؤثر العواملُ في لفظ (زيد) بالنصب والخفض , والمعنى الواقع تحته لا تأثير للعوامل فيه . كذلك تقول : سبح زيدٌ ربه , وعظم عمرو خالقه , وتقول في إعرابه : زيدٌ وعمرو فاعلان , وربه وخالقه مفعولان , عكس ما على المعنى , فصحَّ بهذا كله أنَّ الإعراب حكم لفظي لا معنوي))[٦٢]

لقد شكلت اسمية الأصوات وقضية التدليل مصداقاً من مصاديق (ما وراء اللغة) في الفكر اللغوي العربي واقترابهم من هذا المفهوم , فتبلورُ مشكلةِ الإحالة على كينونة اللغة في بعدها الفيزيقي الموضوعي التحليلي كان الزناد الذي انقدح منه هذه المفهوم .

إنَّ التفكير الأبجدي الكتابي قد أفرز علامات انعكاسية تدل على الأصوات المفردة بواسطة دوال اسمية مدلولها الصوت المفرد , فاكتسبت تلك الدوال صفة الاسمية , فأصبحت تدل على نفسها بنفسها في (ما وراء اللغة) , وقد راعت عملية الوضع الثانوي سنن اللغة في تدليلها على المسميات بانتهاجها لصور صياغة الأسماء , فقد أشار إلى ذلك الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وهو بصدد تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية الكريمة فقد نص قائلاً: ((اعلم أنَّ الألفاظ التي يتهجى بها أسماء , مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم , فقولك ضاد اسم سمي به ((ضه)) من ضرب إذا تهجيته , وكذلك : را , با : اسمان لقولك : ره , به , وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة , وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى ثلاثة , اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها, وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها ..إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان اسمها . لأنه لا يكون إلا ساكناً)) (٦٣)

ولم يقتصر النظر عند الزمخشري عند التوليد الدلالي الاصطلاحي وسبل صياغته في عملية الوضع الثانوي بل مضى نظره إلى تتبع اطراد الأحكام النحوية الإعرابية في إئتلاف مفردات الوضع الثانوي في خطاب اللغة الشارحة , فالإعراب يدخلها مثلما يدخل مفردات اللغة في دلالتها التصورية العرفية المركزية إذا إئتلفت في علاقات رأسية مولدة وحدات إسنادية تقتضي مزيات وظيفية تكسع بها أواخر الكلم خشية وقوع اللبس, فكانت الحركات العربية هي وسيلة نظام اللغة في الاضطلاع بتلك المهمة , فالعوامل بنحو ما يشير الزمخشريّ تدخل هذه الألفاظ , فيلحق الإعرابُ أواخرَهَا لأنها كلم ؛ مثلما يلحق الإعرابُ أواخرَ الألفاظ اللغوية العرفية في التركيب , ويفارقها إذا ما تفوّه بها المخاطب بنحو إفرادي مثلما يفارق الإعراب ألفاظ اللغة العرفية إذا ما نطقت بنحو إفرادي , فقد أشار ((وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد, فيقال : ألف لام ميم , كما يقال : واحد , واثنان وثلاثة ؛ فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب . تقول : هذه ألف , وكتبت ألفاً, ونظرت إلى ألف , وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب , قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها , فحقك أن تلفظ به موقوفاً , ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناساً مختلفة ليرفع حسبانها , كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالاً من سمة الإعراب؟ تقول : دار, غلام , جارية , ثوب , بساط . ولو أعربت ركبت شططاً .)) (٦٤)

إنَّ اسمية الأحرف في (ما وراء اللغة) عند الزمخشري وظفت لتوضيح فكرة إسناد الفعل إلى الجملة في قوله تعالى : ﴿ وإذا قِيلَ لَهُم لَا تُفسِدُوا في الأرضِ﴾ الآية١١|البقرة مما يدخل ضمن مفهوم حكاية الخطاب غير المباشر المتضمن ضمن خطاب مباشر , فقد ورد في تفسيره ((فإنْ قلت : كيف صح أنْ يسند ((قيل)) إلى ((لا تفسدوا , وآمنوا)) وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح ؟ قلت : الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل , وهذا إسناد له إلى لفظه , كأنه قيل : وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام . فهو نحو قولك : ((ألف)) ضرب من ثلاثة أحرف . ومنه : زعموا مطية الكذب)) (٦٥)

إنَّ الفعل (زعموا) قد شغل موقع الابتداء في (زعموا مطية الكذب) فقد أخبر عنه بـ(مطية الكذب) , والأصل فيه أنْ يسند إلى ذات عاقلة , فالسمة التكوينية الدلالية للاسم المسند إليه الفعل ينبغي أنْ تتسم بقدرة السرد

والحديث , ولكن (الفعل) في هذا القول وقع مبتدأ ليحكم عليه بـالخبر (مطية الكذب) لما يتضمن (الزعم) من دلالات سلبية تلقي تبعات ما تسرد من أحداث غير واقعية على غيرها ؛ للإيحاء بالحقيقة الموضوعية في الرواية , فـ (ما وراء الخطاب) يجري فيه الحديث عن بعض مفردات الحوار , بينما في (ما وراء اللغة) يتم الحديث عن اللغة برمتها.

ويرصد السهيلي ت٥٨١هـ في كتابه (نتائج الفكر) جملة من صور الالتباس التي منشؤها سوء التلقي لمقاصد النحاة بسبب توهم مطابقة تعبيراتهم النحوية لما تعبر به العرب في كلامها , فلم يكتف بالتنبيه على المفارقة بين الاثنين والتمييز بينهما والإشارة لما تشترك به لغة النحاة بما تواضع عليه العرب بل مضى نحو تقرير ما ينبغي أنْ يعمد إليه النحويون في تأمين إيصال مقاصدهم النحوية ؛ لبينونة ما يعبرون عنه بما قد يوهم بمطابقته لكلام العرب , فقد ردَّ الاعتراض الذي ثبت مؤاخذة على سيبويه بعدم تعريفه وحده للاسم مثلما صنع مع الفعل والحرف , فقد أكد السهيلي أنَّ الاسم في عبارة النحويين يقع على ما هو في كلام العرب فلم يحتج إلى بيانه بحد عكس الفعل والحرف , فالفعل عند العرب هو الحدث وعند النحويين هو اللفظ الدال على الحدث والزمان, والحرف عندهم ما دل على معنى في غيره ولا يفهم من كلام العرب على الحروف هذا المعنى , لينتهي إلى أنَّ ألفاظ النحويين جميعها تنقسم على قسمين الأول: هو ما تواضعوا واصطلحوا عليه ولا يعبر به العرب إلا عن معنى آخر , مثل الظرف والحرف , فهذه التعبيرات ونظائرها لابد من بيانها بالحد أو الرسم للمبتدئ , والثاني: ما هو على أصل موضوعه في كلام العرب , نحو الاسم , والفاعل , والمفعول به , فالثاني لا أشكال فيه على الناظر في صناعة النحو [٦٦].

والحق أنَّ مصطلحات النحو قاطبة تبتعد عما هي عليه في وضع كلام العرب حتى الاسم, صحيح قد يصدق على صنف من أصناف الاسم المعبر عن أسماء الأشخاص والجمادات ونحوهما لكن يطلق أيضاً على جملة من المفردات التي تنسبك نحوياً بحرف مصدري أو اسم موصول فتشغل التوزيع التركيبي وتحل نحوياً محل الأسماء الصريحة مما لا يستطيع مَنْ لا حظَّ له بعلم النحو تمييز اسميتها, فذلك لا يتأتى إلا بوسائل تحليلية تبرهن عليها الصنعة النحوية فلا يتبادر إلى ذهنه معنى اسميتها , كذلك الفاعل بنحو ما تم الإشارة إليه في هذا البحث في جملة من المسائل التي ولد فيها مفهوم الفاعل لبساً , فالفاعل نحوياً ما أسند إليه الفعل لا من قام بالفعل الخارجي ؛ لذلك جهد جملة من النحاة مثل ابن السراج ت ٣١٦هـ في أصوله على التفريق بين الفاعل اللفظي والفاعل المعنوي [٦٧] .

وعلى أية حال فالأمر الذي يستدعي النظر عند السهيلي هو تأكيده مراحل التلقي النحوي الابتدائية للناشئة التي تكون مأخوذة بتبادر الألفاظ بمعانيها على ما عهد به في اللغة والعرف العام, مما يستدعي التوسلَ ـ فيما يؤكد السهيلي ـ بالحدود النحوية والرسوم ؛ لتفادي سوء اللبس في تلقي النحو .

ومن بين ما توقف عنده السهيلي الاعتراض على تسمية النحاة الاسم المنعوت وكان الأجدر في التسمية أنْ يطلق عليه النعت ؛ لأنه في الحقيقة فعل المتكلم الناعت. وكان جواب السهيلي ينطلق أولا في تمييز عبارات النحاة وما يوافق بعضها النشاط الكلامي في الأداء, فألقاب النحاة بعض منها في نظره هي العبارة الحقيقية المدروسة نفسها , فالتمييز والتوكيد والنعت تمثل أنشطة كلامية وتقع بهذه الألفاظ فيوافق لقب النحاة لها وظيفتها الأدائية ؛على خلاف تمييزه الآخر لجملة من الألقاب النحوية كالفاعل والفعل والظرف التي لا تتطابق دلالاتها النحوية الاصطلاحية في لغتهم مع ما يتبادر من اللفظ على نحو الحقيقة [٦٨].

وتطل مشكلة الحمل على الحقيقة عند البعض ممن

أشكل على تعبيرات النحاة ولغتهم في مفهوم (الاستتار) المتعلق بالضمير المسند إلى فعل في جملة واقعة خبراً عن مبتدأ, فقد حُمِلَ مفهومُ الاستتار عندهم على تواري جسم وراء جسم آخر , فالفعل على حد تعبيرهم كلمة مؤتلفة من حروف والحروف هي أعراض في اللسان أجزاء من الصوت , ولا يمكن أنْ يستتر فيها شيء ولا يظهر, إذ ليست هي بجسم . وعلى الرغم من بساطة مبدأ استتار الضمير إذ لا يحتاج إلى كم من الإيضاح والتفصيل في إقناع المعترضين إلا أنْ السهيلي قد حرص أولا على إيضاح مبدأ عام لا يتصل بهذا المفصل الجزئي يتعلق بلغة النحاة وألفاظها , مفاده أنَّ ألفاظ النحويين محمولة على التجاوز والتسامح لا على الحقيقة ؛ لأنَّ مقصدهم هو التقريب على المبتدئين وتعليم الناشئين, ومن ثم يوضح محققاً القول بأنَّ الفاعل مضمر في نفس المتكلم , ولفظ الفعل متضمن له ويدل عليه وقد استغني عن إظهار الضمير لتقدم ما يدل عليه [٦٩] .

والحق أنَّ تأكيده بأنَّ لغة النحاة محمولة على المسامحة والتجاوز لأغراض تعليمية لتقريب مرامي النحو على المبتدئين تستدعي المراجعة وإعادة النظر , إذ يتعذر في الوضع الثانوي أنْ تبقى الألفاظ توحي بدلالتها العرفية , فلا يمكن حصر تلك المشكلة بغايات تعليمية , فهو تبسيط للمشكلة التي تتحول فيها اللغة إلى موضوع ويتحدث عنها بألفاظها بغير مدلولاتها العرفية الحقيقية في (ما وراء اللغة) .

وفي انتقاد ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) للنحويين لقولهم بالعامل ثمَّ توقف عند مفهوم (ما وراء اللغة) ولكن في تصور غريب وغير مألوف , فقد استبعد أولا فكرة عمل الكلمات في بعضها الآخر منطلقاً من المسلمة الكلامية بأنَّ الفاعل إمَّا يعمل بطبع كالنار أو بإرادة مثل الحيوان, وليس الفاعل عند ابن مضاء في التصورين السابقين سوى الله مستبعداً نسبة العمل للكلمات في ضوء التصورين, فلا إرادة لهما ولا طبع , واستبعد رأي ابن جني أيضاً الذي نسب العمل للمتكلم , فمن منطلق كون الفاعل الله يصبح لا دخل للمتكلم في الإعراب وتغيير أواخر الكلم , فربما وجده أي رأي ابن جني ينسجم مع مبدأ إرادة المتكلم فجهد لاستحضار نسبة العمل للخالق .

وقد حكى من بعد رأياً نحوياً جدلياً يصبُّ في مفهوم (ما وراء اللغة) الذي يدفع نسبة العمل للكلمات على نحو الحقيقة الوضعية التي تفهم عرفاً من مفهوم العمل بل إنما هي على وجه التشبيه والتقريب , فالنحاة في تحليليهم للكلام ومكوناته من ألفاظ نسبوا العمل للألفاظ حينما رأوا أنَّ الإعراب يزول عن الكلمات بزوال الألفاظ ويوجد بوجدها , فنسبوا إليها هذا التأثير في مواضعات صنعتهم النحوية. ولم يرتض ابن مضاء هذا التعليل بل مضى نحو التقليل من شأنه في أسلوب حجاجي لا يخلو من التهكم ناعتاً لغتهم الاصطلاحية بالانحطاط عن رتبة البلاغة وبالهجنة والعي وتغيير مقاصد العرب العرفية وتحريف المعاني [٧٠].

ولكن أي علم يسعه أنْ يتحدث عن مفاهيمه النظرية من دون مواضعات تبتعد عن الحقيقة العرفية العامة ؟ فتبتعد الألفاظ عن حقيقتها الوضعية في الدلالة ويصبح لها مدلولاتها التي تعمل ضمن الخطاب الذي توظف فيه , حتى العلوم الشرعية من فقه وأصول وحديث , ولا يقتصر ذلك على العلوم اللغوية. ولو تم التسليم جدلاً بدعوى ابن مضاء برفض نسبة العمل للكلمات فكيف سيتسنى الحديث عن اللغة وتحليلها من دون مواضعات اصطلاحية تستحضر مفاهيم تحليلية تخص الكلام ؟ فابن مضاء نفسه يستعمل لغة النحاة الشارحة والواصفة في عللهم الأولى الوصفية التي ترصد مكونات الكلام وتشير إلى أهم أنماطه .

ويحكي ابن مضاء القرطبي رأياً نحوياً من دون أن ينسبه إلى أحد بعينه يدافع عن تقدير العامل الصناعي في الاسم المنصوب على الاشتغال كي ينطلق لإنكار هذا الرأي وتقويض كون الاسم المشتغل عنه منصوبا

بذلك الفعل المقدر بنحو حقيقي , وذلك الرأي يوظف رأياً مهماً يصب لسانياً في مفهوم (ما وراء اللغة) التي تتميز وتختلف عن (اللغة الموضوع), وإنْ كانت الأولى تصب عنايتها لفحص الثانية , فقد شبه ذلك الرأي قصدَ النحاةِ وصنيعهم بتقدير عامل الاشتغال بصنيع المهندسين الدارسين للفلك والأجسام , فهم يلجؤون إلى وضع خطوط مصنوعة تمثل الأجسام , وهذه الخطوط لا أعماق ولا أطوال و لا أعراض لها , ويعمدون إلى رسم نقط تمثل أجساماً, وبتشكل نهايات النقط يمثلون للأجسام من دون أنْ يكون لها أبعاد حقيقية مجسدة وملموسة من أطوال وأعراض وعمق؛ مثلما هو حال الأجسام الحقيقية في بعدها الفيزيقي الخارجي الملموس , كذلك هم يقدرون مفترضين نقطاً ودوائر في الفلك , وقد استطاعوا من خلال ذلك البرهنة على ما أرادوا أنْ يبرهنوا عليه من خلال تلك الخطوط الهندسية الرياضية , ولم يشكل صنيعهم الخطي خللاً على ما أرادوا البرهنة عليه لا بل قد حصلَ اليقينُ الرياضيُّ للمتعلمين ببرهانهم على ما وصفوه مع إدراكهم الفرق بين تلك الخطوط وما تمثله واقعاً [٧١].

وعلى الرغم من حكاية ابن مضاء لهذا الرأي إلا أنه قد أصر على إنكار ذلك التمثيل الموازن زاعماً أنَّ النحاة ليس كهؤلاء المهندسين فهم أي النحاة يرون أن كل منصوب فلا بد له من ناصب لفظي , وقد حصر هدف المهندسين بوضع الأجسام مواضع الخطوط والنقاط الهندسية لتقريب الأمور وتيسيرها لعون المتعلمين على تلقيها [٧٢] .

والرأي السابق إذا تخطينا سياقه التوظيفي عند ابن مضاء في خطابه الحجاجيِّ السجاليِّ يؤكد بنحو غير مباشر أنَّ ثمة مقتربات تراثية عربية تخطت النظر لخطاب النحاة في كلامهم على الكلام بنحو منعزل عن بقية نظائره من العلوم بل ميزت بنحو عام بين الموضوع المبحوث , كالأجسام والفلك مثلاً والبحث عن موضوع ما وتعيين أدواته التي تتحدث عنه وتضبط النظريات والأحكام بوسائل شكلية تجريدية هندسية كالخطوط والدوائر والنقاط.

وينفرد الفخر الرازي ت ٦٠٦هـ بتقسيم للألفاظ يرتكز على أساس دلالة اللفظ على اللفظ مما لا يوجد عند غيره ؛حتى ممن اقتربوا عند مفهوم دلالة اللفظ على اللفظ لم ينتهوا إلى هذا التقسيم الناظر لتصنيف مفردات اللغة الشارحة على وفق دلالتها على الألفاظ التحليلية , فعنده اللفظ يقسم بهدي التصور السابق إلى لفظ دال على لفظ مفرد دال على معنى مفرد , ومثاله لفظ (الكلمة) الذي يتضمن مصطلح (الاسم) , فهو أي الاسم دال , ومدلولُهُ مركبٌ من دال ومدلول نحو كلمة (رجل) , فلفظها مدلول الاسم ومدلول لفظ (رجل) هو ما يقابل جنس الإناث , ويؤكد أنَّ أمثلة ذلك أسماء الألفاظ جميعها : كالقول والأمر والنهي , والعام , والخاص .

والقسم الثاني لديه هو اللفظ الدال على لفظ مركب ومدلول , أي اللفظ المركب يدل على معنى مركب أيضاً ,نحو لفظ (الخبر) الذي يدل ـ مثلا ـ على لفظ مركب (زيد قائمٌ) ومدلول (زيد قائم) هو معنى مركب مؤلف من نسبة القيام لشخص زيد على نحو الثبوت , أما القسم الثالث لديه هو اللفظ المفرد الذي يدل على لفظ مفرد لا يدل على معنى, ويقصد بذلك (اسم الحرف) أي حرف المعجم الذي يدل عنده على كل واحد من آحاد الحرف ولا دلالة لها, والقسم الرابع والأخير عنده هو الاسم المفرد الدال على لفظ مركب ومدلول المركب معنى مفرد . ويؤكد أنَّ الأخير غير موجود ومتعذر بسبب أنَّ التركيب يوضع للإفادة ولا إفادة من دون معنى مركب [٧٣].

ولا حاجة لهذا القسم الأخير, ولعل القسمة العقلية التي تقسم الشيء إلى ممكناته المتحققة أو الممكنة على سبيل الافتراض التصوري لحصر أجزاء الشيء عقلاً هي التي ألجأته إلى ذلك , والقسمة العقلية هي إجراء تصنيفي

منطقي وليس غريباً أنْ يلجأ الرازي إلى هذا التصنيف في مصنف أصولي تمثل العلوم العقلية مثل المنطق أهم روافده المعرفية والإجرائية إلى جنب روافده الشرعية وباعه اللغوي الثر.

ويستدعي هذا التقسيم إنعام النظر والمراجعة وتحديداً أمثلة دلالة اللفظ على لفظ مفرد دال على معنى مفرد, فهو من حيث المبدأ صحيح دلالياً وخير مثال قدمه هو الاسم ولكن المصطلحات الأخرى التي قدمها بوصفها مصداقاً لهذا القسم (كالقول , والأمر , والنهي , والعام , والخاص) لا تطرد على وفق هذا التقسيم , فهي داخلة ضمن القسم الثاني من تقسيمه, فهي وإن كانت في اللغة الشارحة ألفاظا مفردة إلا أنَّ دلالتها دلالة مركبة, ففيها تقع الإفادة والحكم الشرعي , ومن المستبعد فيما يرى البحث أنْ يقع الرازي في هذا الخطأ, فلعل ثمة خطأ في النسخ لم يفطن إليه التحقيق .

إنَّ كلامه السابق ينسجمُ معَهُ المخططان الصوريان لـ (هيلمسلف) و(بارت) فثمة وعي رائد توصل اليه الرازي في تمفصل وتداخل دلالة الألفاظ الشارحة وتَحَوِّلِ أجزاءِ العلامةِ من (لفظ ومعنى) في اللغة الموضوع إلى مدلول لدوال تلك اللغة الشارحة . ويمكن للبحث أنْ يدلَ على ذلك بصياغة كلام الرازي السابق بالأشكال الصورية الآتية :

معنى مفرد	مدلول رجل (معنى)
لفظ مفرد	ر ج ل (لفظ)
	اســـــم

معنى مركب	اسناد القيام لزيد (معنى)
لفظ مفرد	زيد قائم (لفظ)
	خبـــر

ومن الممكن الاستدراك على ذلك التقسيم بدلالة اللفظ المفرد على لفظ مفرد لا يدل على معنى مفرد مستقل بل ضمني في التركيب مثل دلالة حروف الإضافة والمعاني , فهي قد تدل على معنى مفرد مستنتج من دخولها بعلاقة إئْتلافية مع مجاوراتها من الكلمات , إذ يمكن إضافة المخطط الصوري الآتي :

معنى مفرد (صناعي نحوي)	الابتداء (معنى) من (لفظ)
لفظ مفرد	حرف معنى

وفي ضوء تقسيم الرازي السابق يمكن تثبيت المؤاخذة الآتية على التصور السيميائي للغة الشارحة الشائع في الأدبيات السيميائية الذي يلخص هذا المفهوم أي اللغة الشارحة بأنها تحول العلامة المؤلفة من (الدال والمدلول) الى مدلول عليه , والحق أنَّ ذلك هو جزء من هذا المفهوم ولا يلخص كل جوانبه , فالمدلول في اللغة الشارحة قد يتضمن تراكيب اسنادية تامة من جمل بسيطة ومركبة تمثل مدلولات لدوال (ما وراء اللغة).

ويبرز مفهوم (ما وراء اللغة) عند ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) بوصفه وسيلة خطابية حجاجية ضمن الصنعة النحوية في رد بعض الاعتراضات التي تواجه بعض المشكلات النحوية المهددة بنفي اطرادها عن ما قرروه في بعض الأحكام النحوية العامة , فنفي ذلك الاعتراض يجره إلى (ما وراء اللغة) التي تتحول إلى شبيه ونظير لتركيبٍ وقاعدةٍ يراد تدعيمُ دقتِها النحويةِ باجتلابِ ما هو مألوفٌ ومشتركٌ بين المتشاطرين لفضاء الخطاب نفسه ؛ كي يكون حجةً ملزمةً في تدعيمِ ما هو مشكلٌ, إذ لا يوضح المبهم أو المشكل إلا بما هو مألوف, مما يؤكد أصالة هذا المفهوم لديهم وتغلغله في مفاصل الخطاب النحوي, فهو مألوف ومفهوم وشائع وحجة على غيره, وإن لم يتجسد عنواناً أو باباً بارزاً ضمن المدونة النحوية أو اللغوية العربية بل مثلت مصاديق هذا المفهوم استطرادات ونتفاً توزعت في بطون مدوناتهم, وكان من أبرزها تدعيم ابن الحاجب لاطراد كون الجمل النحوية تمثل وظيفة النكرات دلالياً في التراكيب الجملية المركبة لا وظيفة المعرفة في

الإبلاغ , حينما واجهته بعض الجمل التي شغلت توزيع المبتدأ وهو موقع المعرفة . فالنكرة في التركيب تمثل متغيراً إبلاغياً يفضي إلى الإعلامية في الخطاب الذي يفيده المخاطب من المتكلم , أما المعارف فتمثل المشترك التصوري بين المتحاورين التي تسند إليه تلك المجاهيل التي تكتسي صفة الإعلام في الخطاب ومصداقها الجمل , ولكن شغلت توزيع المعرفة في بعض تراكيب الحكاية ليؤكد ابن الحاجب أن القصد من وراء ذلك هو حكاية ألفاظها لا مدلولاتها الإسنادية التي تحيل لفكرة ما مثلما هو مألوف في (ما وراء اللغة) في الإخبار عن بعض الأحرف , فتشغل (مِنْ) حرف الجر موقع المبتدأ المعرفة على الرغم من أنَّ الأحرف لا معنى لها في نفسها من دون تعلقها بغيرها , وفي اللغة الطبيعية لا يمكن لـ (مِنْ) أنْ تشغل هذا التوزيع . وإنما جاز ذلك عند ابن الحاجب ؛ لأن المقصود بهذا التركيب هو الإخبار عن لفظها لامعناها , فقد نوّه بذلك قائلاً : ((الجمل إنما تكون نكرات باعتبار معانيها على ما تقرر في النحو من كون الجمل نكرات . فأما إذا قُصدت ألفاظها وجب أن تكون معرفة كقولك : زيدٌ قائم قولك . فَـ ((زيدٌ قائمٌ)) .فـ ((زيد قائم)) ههنا مبتدأ , و((قولك)) خبره , ولم ترد ههنا إلا اللفظ وقصدت حكايته . واللفظ إذا ذكر وقصد صيغته كان معرفة مقصوداً به نفسه . ألا ترى أنك إذا قلت : مِنْ حرف جر , كان مبتدأ مخبراً عنها بقولك : حرف جر, قُصد نفسُ لفظها .)) [٧٤] .

وكانت قضية غياب مدلولات المفردات في الكلام عن أحكام ألفاظها بحسب التوهم الذي يُشْكِلُ على غياب المعنى ويؤكد حضور مدلولاتها دافعاً لابن الحاجب نحو البرهنة على أن الحديث عن مكونات اللغة ومفرداتها لا ينحصر في الإحالة على دوالها اللفظية بل إنَّ العنصر يكون الدال على الوظيفة اللغوية التي يضطلع بها , ولا يدل على معنى خارجي في الاستعمال العرفي العام بنحو ما هي عليه اللغة الطبيعية في بعدها النفعي العام , فقد أوضح ذلك بقوله : ((فإنْ قلت : اللفظ لا بد له من مدلول , فإذا تلفظتَ بـ ((مِنْ)) فلا بد لها من مدلول , و لا مدلول لها ههنا إلا نفسها , فيؤدي إلى أنْ يكون الدليلُ والمدلول واحداً . قلت : الألفاظ إنما وضعت دالة على غيرها لزوماً في الموضع الذي يكون مدلولها غير لفظ لاحتياج إبلاغ المعاني عما ليس بلفظ كقولك : الحصير حسنةٌ والثوب نافعٌ . وأما إذا كان مدلولاتها لفظاً فقياسها ألا تحتاج إلى دليل عليها , بل ينطق باللفظ ويقصد به نفسه , ويستغنى عن الدلالة عليه بغيره , فلا يكون ثَمَّ دليلٌ بل نفس المقصود هو الملفوظ به)) [٧٥] .

وفي ضوء الفهم المعاصر أن العلامات اللسانية التي تستلزم في اقتضاء الدلالة مدلولات تدل عليه العلامات ودوالها في التواصل , فإنَّ هذه الدوال وعلاماتها صورياً ضمن خطاب (ما وراء اللغة) ستكون مدلولات ودوالها المحمولات النظرية التي تبرز خصوصيتها الوظيفية والبنائية في التركيب , فثمة تباين وظيفي في الإبلاغ بين اللغة الطَبْعِيّة و اللغة الشارحة لها , ففي اللغة الطَبْعِيّة العلامة في بعدها اللفظي تتضمن الدال الذي يشير إلى مدلول ذهني يعين مرجعاً خارجياً في سياق إخباري تحيل إليه العلامة. وفي اللغة الشارحة تتحول العلامة إلى مدلول يدل عليه خطاب (ما وراء اللغة) الشارح بوساطة مصطلحات ومفاهيم لسانية ونحوهما .

فالأمر مرده عند ابن الحاجب أن اللفظ يدل على اللفظ ممّا يشكل مبدأ عاماً تنضوي تحته غايات مختلفة لا تقتصر على شرح اللغة بألفاظها , فتسمية النصوص وعناوينها تمثل بديلاً تعبيرياً يستغني به المتحدث عن ذكر نصوص كاملة برمتها كدلالة لفظ (قصيدة)على مكوناتها وتسمية السور القرآنية بأسماء مخصوصة للغرض نفسه [٧٦] .

ودلالة اللفظ على اللفظ تحضر لدواع إبلاغية لرفع توهم المطابقة بين الحكم على اللفظ بوصفه مكوناً مستقلاً والحكم على القضية الإسنادية التي تتولد بتراصف اللفظ

بمجاورة لفظة أخرى في الدلالة على معنى استعمالي , فاللفظ إذ يدل على اللفظ كما ينص ابن الحاجب ((قد يكون لرفع لبس كقولك لمن قال : زيدٌ كريم , لفظ المبتدأ حسن , لأنك لو قلت : زيدٌ حسن , لتوهم أنك تعني نفس المدلول . فإذا ذكرته بهذه الصيغة ارتفع هذا الوهم)) [٧٧] . وتحضر المسألة نفسها في مجلس آخر من أمالي ابن الحاجب ولكن بتوظيف مغاير لا ينفي القضية المرتكزة على أنَّ اللفظ يدل على اللفظ لا على معناه بل يعززها بكثير من المصاديق ضمن مكونات اللغة , فالمسألة تحضر في سياق اعتراض نقدي فاحص لبنية العبارة النحوية ومشكك بانسجامها المنطقي وموضوعيتها وصدق اطرادها ضمن مبادئ نحوية تمثل مقدمات أولية تعليمية ترتكز على أسس التقسيم لأنواع الكلم وخصائصه التوزيعية , وهذه الاعتراضات تصدر عن عقل جدلي مدقق لنسج العبارات التي تستكثر أن يكون لفظ (الحرف) اصطلاحاً هو اسم منطلقة من العبارة التعليمية :من أن (من) حرف فكيف يخبر عنها بأنها اسم ؟ ((فإنْ قيل كيف يصح أن يكون اسماً وقد أخبر عنه بأنه حرف , وهل هذا إلا تناقض؟ فالجواب : أنَّ الوجه الذي كان به اسم غيرُ الوجه الذي أخبر به عنه بأنه حرف , ألا ترى أنك تقول في ((من)) وشبهها : هذه الكلمة حرف . ولا شك في أن قولك : هذه اسم , ومع ذلك فقد أخبرت عنه بأنه حرف , لأن لفظ الكلمة صالح إطلاقه على الاسم والفعل والحرف جميعاً . فإذا قلت : هذه الكلمة حرف , وأنت تعني ((من)) أو غيرها كان ذلك صحيحاً . فكذلك إذا قلت : من حرف , لأنك لم تقصد إلا إلى نفس اللفظ باعتبار كونه كلمة)) [٧٨] .

ويقرر ابن الحاجب أنَّ هذا المفهوم يصدق أيضاً على الاعتراض الجدلي الذي يسجل مؤاخذة على عبارة النحاة التي مفادها : أنَّ الفعل لا يخبر عنه بل يخبر به , فهي متناقضة في ضوء الرأي المعترض ؛ لأنَّ العبارة (الفعل لا يخبر عنه) قد جرى فيها الإخبار عنه بـ (لا يخبر عنه) فقد شغل (الفعل) موضع ومحل المبتدأ , فابن الحاجب يرى أنَّ ذلك إنما يصدق على العبارة في أصل وضعها اللغوي , نحو (ضرب زيد) , فـ (ضرب) لا يخبر به ولكن إذا قصد حكاية لفظه في الصنعة النحوية , فالأمر جائز أي يمكن أنْ يخبر عنه في تقرير أحكامه الوظيفية ؛ مثلما يخبر عن الحرف في عبارات النحاة الواصفة لبيان معانيه الدلالية [٧٩].

ويبدو أنَّ معاني الأحرف وقضية التدليل عليها بأمثلة هي التي جرت النحويين للحديث عن المدلولات اللفظية للألفاظ , فمعانيها وتمثيلات المعنى وإن اتخذت في الصناعة النحوية هيأة الاسم بنحو (الابتداء) لمعنى (من) إلا أنَّ الضرورة ألجأتهم لرفع توهم المطابقة بين ألفاظ التمثيل الشارحة واللفظ المُمَثَّلِ لَهُ دلالياً , فهما لا يتكافآن في التوزيع مبرهنين على ذلك بالتوسل بتقنية الاستبدال النحوي في إحلال الحرف محل اللفظة التي تمثله دلالياً في اللغة الواصفة ولكن في عبارة تنتمي إلى الكلام المستعمل لا إلى عبارة الصنعة الشارحة للغة الموضوع .

فثمة سجالٌ يتجاذبه طرفان , طرفٌ لا يفرق بين خصائص الصنعة النحوية وسمات خطابها الذي تكتسب الألفاظ فيه خصيصة في كون اللفظ يدل على نفسه وكينونته اللغوية لا على مدلول إبلاغي , وهو طرف لا يطل بنحو واضح ولا بقوة علمية أو ينسب إلى عالم ما , بل يحكى اعتراضه على هذا التصور النظري , ويَرِدُ صوتُهُ في سياق الطرف الآخر أي مَنْ يتبنى خلاف متصوره ممن يقنن لمفهوم (اللغة الشارحة) وسماتها التي تؤكد أن المفردات تمثل الدوال لنوعها داخل مكونات اللغة . وأغلب الظن أن تلك الاعتراضات التي مثلها الطرف الأول إنما هي اعتراضات شفاهية متواضعة منشؤها التلقي غير المتعمق لمقاصد المدونة النحوية وخطابها الشارح التي ربما يمثلها ـ أي هذه الاعتراضات ـ طلبة النحو الناشئة أومن غير المتخصصين بعلم النحو

من العلماء المختصين بفنون وعلوم أخرى غير لغوية غير المتعمقين أيضاً لمرامي النحاة وعباراتهم فالتبس عليهم الأمر . ولا يخفى أنَّ العامة هم أول المعترضين لبينونة معاني المفردات الاصطلاحية النحوية وتوهمهم معانيها اللغوية العرفية العامة مما جعلهم محل سخرية في حكايات كثيرة تضمنتها المدونة النحوية على سبيل التندر بالعامة أو لتوثيق صنيعهم الميداني وما يكتنفه من مشاكل في تدوين متن اللغة من مفرداتها وتراكيبها , كأنَّ النحويين واللغويين العرب فطنوا قبل غيرهم من علماء اللغة الوصفيين المحدثين إلى ضرورة أنْ يكون الراوي (المخبر اللغوي) يجهل تماماً مرامي النحوي في استدراجه للتعبير عفواً عن أشياء يريد أنْ يجره إليها اللغوي حتى تنثال سجيته وسليقته اللغوية الطبيعية من دون تكلف أو تصنع , مما يمنح عمل اللغوي كفاءة علمية في الوصف والتوثيق الدقيق. والوصفيون المحدثون يؤكدون أنَّ المخبر اللغوي أو ما يسمى بمساعد الباحث informantكلما كان تحصيله العلمي متدنياً وكان حظه من الثقافة والعلم متواضعاً كان ذلك أوثق لقوله وأمانته [٨٠] . فربما درايته ببعض أحكام وقواعد اللغة ومصطلحاتها يجعله يتكلف ويتذاكى ويتصنع في قوله .

خاتمة البحث :

ويبقى للبحث ـ في ختامه ـ أنَّ يسمى جملةً من أبرز النتائج التي توصلَ إليها :

أولاً: في بادئ بدء اقتبستِ اللسانياتُ مفهومَ (ما وراء اللغة)من المنطق في تمييزه بين الموضوع واللغة المنطقية المفسرة له , لكنها مضتْ به نحو تقنين آليات عمله فأصبح نظاماً موازياً لنظام اللغة الطبيعية فاكتشفتْ أسسَهُ الدلالية وسننَ تشكلِهِ .

ثانياً: تمثلُ مشكلةُ (ما وراء اللغة) نقطةَ التقاءٍ بين الدراسات السيميائية واللسانية في كون العلامة اللغوية لا تحيلُ على غيرها بل تنعكسُ في إحالتها على نفسها وبذلك تفقد شفافيتها في الإيحاء فتولد لبساً في التلقي

ثالثاً: إنَّ مبدأ العلمية اللساني القاضي بدراسة اللغة بنحو صارم , ونزعة اللسانيات نحو الصورية الرياضية التجريدية قد مثلا حافزاً استدعى التفريقَ بين اللغة الموضوع و(ما وراء اللغة) , فكلما كان البونُ واسعاً بين الاثنين فموضوعية الوصف العلميِّ اللسانيِّ سوف تتحققُ.

رابعاً : كثيرٌ من الدراسات اللسانية لا تفرق بين وظيفة (ما وراء الخطاب) و (ما وراء اللغة) , والبحث يرى ضرورة التفريق بينهما , فميدان الأولى التواصل وقد تجري عفواً حتى على لسان الطفل , وميدانُ الثانية النظرُ العلميُّ الوصفيُّ المرتكزُ على تحليل اللغة الموضوع ووَضْعِ المصطلحات اللسانيّةِ .

خامساً: لَمْ تتفقْ الدراساتُ العربيّةُ الحديثةُ على مصطلحٍ واحدٍ يشيرُ لمفهومِ (ما وراء اللغة) فقد تعددتِ المصطلحاتُ الدالةُ عليه فشملتْ : (ما وراء لسانية , واللغة الشارحة , واللغة الوصفية ,وما وراء الخطاب , ومتن اللغة) وبعض هذه المصطلحات يجسد تصوراً غيرَ دقيقٍ عَنْ مفهوم (ما وراء اللغة) , وبعضها يوظف مصطلحاً تراثياً يكرسُ التَّصورَ الخاطئ عن المفهومِ الحديثِ .

سادساً: للبحثِ التراثيِّ اللغويِّ العربيِّ وعيٌ رائدٌ ومتقدمٌ في الوقوف عند هذا المفهوم , فقد نُعِتَ بنعوتٍ مختلفةٍ نحو : التَّمثيلُ الذيْ لا يُتكلم به , والكلامُ على الكلام , وتسميةُ أقسامِ الكلام , وتسمية الأصوات المنطوقة , وتفسير الألفاظ , ودلالة اللفظ على اللفظ , ولم يقتصرْ ذلك النظر على اللغويين والنحويين بل شملَ المفسرين والمتكلمين والبلاغيين العرب .

سابعاً : ينوه البحث إلى أنَّ صعوبة الحديث عن اللغة باللغة نفسها في الممارسة التحليلية التراثية العربية هي أشدُ عسراً من تلك الصعوبة التي يرصدها الخطابُ اللسانيُّ المعاصرُ؛ بسبب أنَّ مؤونة اللبس سوف تبلغ ذروتَها إذا كان الحديث باللغة عن (اللغة النوع) أي عن

لغة ما محددة ؛ بخلاف ما إذا كان الحديث عن اللغة بوصفها ظاهرة كلية .

ثامناً :اللغويون العربُ صحيحٌ قد اقتربوا في معالجات كثيرة لهم من فحص الجوانب الكلية للظاهرة اللغوية , لكن التمييز بين ثنائية اللغة الموضوع واللغة الواصفة تولد لديهم بسبب فحص اللغة العربية وتحليلها بواسطة ألفاظ العربية نفسها وما ولد ذلك من تلقيات خاطئة ؛ فالتجربة العملية (الذرائعية) كتجربة العرب التراثية هي أكثرُ برهنةً على كفاءة الفكرة وظيفياً من تلك التجربة التي تفيدُ نظرياً من حقولٍ علمية مجاورة تضبطُ مدلولات خطابِها الواصفِ , فيحاكيها حقل آخر يروم بناءَ مقدماتٍ نظرية تُقَعِّدُ لأدواتٍ منهجيةٍ أكثر دقة وضبطاً في وصف الأشياء ؛ مثلما حصل للسانيات في استعارتها مفهوم (ما وراء اللغة) من حقل المنطق.

الهوامش

١. حول مبادئ العلمية في اللسانيات ينظر: التعريف بعلم اللغة . دافيد كريستل ٧٦وما بعدها

٢. ينظر :معجم اللغة واللسانيات .هارتمان وستورك ٢٦٣.

٣. ينظر: اللغة والمعنى والسياق .جون لاينز ١٨.

٤. ينظر: معجم اللسانيات بإشراف جورج مونان ٣٨٧.

٥. ينظر: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات . ماري نوال , غاري بريور ٦٩-٧٠.

٦. ينظر: أساسيات علم الكلام . جلوريا ج . بوردن وآخرون ٢١

٧. ينظر المعجمية وعلم الدلالة المعجمي مفاهيم اساسية . آلان بو الغير ٣٥

٨. ينظر: قاموس اللسانيات . عبد السلام المسديّ ١٣ .

٩. مباحث تأسيسية في اللسانيات . عبد السلام المسدي ١٥٥ .

١٠. ينظر: اللساني واللاوعي . ميشال أريفيه ١١٧ وما بعدها

١١. مباحث تأسيسية في اللسانيات . عبد السلام المسدي ١٥٦

١٢. ينظر :السيميائيات الواصفة . أحمد يوسف ١٧٠ـ ١٧١.

١٣. ينظر: مدخل لفهم اللسانيات . روبير مارتان ١٩.

١٤. ينظر :الاستعارات التي نحيا بها . جورج لايكوف ومارك جونسن ١٤١.

١٥. ينظر: علم الدلالة . ف . بالمر ٩- ١٠

١٦. ينظر اللغة والمعنى والسياق . جون لاينز ٦٢-٦٣

١٧. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي .بريجيته بارتشت ١٧٢-١٧٣ .

١٨. ينظر المصدر نفسه ١٩٥- ١٩٦.

١٩. ينظر المصدر نفسه ١٩٥

٢٠. ينظر : مبادئ علم الأدلة. رولان بارت ١٣٦.

٢١. ينظر المصدر نفسه ١٣٨

٢٢. ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . عبد العزيز حمودة ٣٥٥-٣٥٨

٢٣. حول خطاطة ياكوبسن والوظائف اللغوية : ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن . فاطمة الطبال بركة ٦٥-٦٧ وينظر: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات . مصطفى غلفان ٢٣٠- ٢٣٣.

٢٤. حول مفهوم الكفاية اللغوية ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية). ميشال زكريا ٣٤

٢٥. و حول الكفاية الوصفية والتفسيرية ينظر: جوانب من نظرية النحو . جومسكي ٤٧ وما بعدها .

٢٦. ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة . يحيى أحمد ٩٤- ٩٥مجلة عالم الفكر. المجلد العشرون العدد ٣ , ١٩٨٩.

٢٧. ينظر: مباحث العلامة في كتابه: (ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية) في الصفحات ٥٠ وما

بعدها حتى نهاية الفصل الثاني ٩٦ . و ينظر كذلك حديثه عن اللغة و المعرفة اللسانية من ٩٨ حتى نهاية الفصل الثالث ١٣٨. ضمن الكتاب نفسه .

٢٨. ينظر: التفكير اللساني في الحضارة . عبد السلام المسديّ ٤٠١

٢٩. ينظر: نحو علم للترجمة . يوجين نيدا . ترجمة ماجد النجار ١١٨

٣٠. ينظر :الأسلوبية والاسلوب . عبد السلام المسدي ١٦٠

٣١. ينظر: قاموس اللسانيات . عبد السلام المسدي ١٦

٣٢. ينظر المصدر نفسه ٢٠٤.

٣٣. ينظر: مدخل لفهم اللسانيات . روبير مارتان .ترجمة عبد القادر المهيري ٣٢-٣٣.

٣٤. ينظر: معجم علم اللغة النظري . محمد علي الخولي ١٦٨.

٣٥. ينظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) .دانيال تشاندلر ١١٦.

٣٦. ينظر: معجم اللسانيات بإشراف جورج مونان . ترجمة جمال الحضري ٣٨٧.

٣٧. ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي .بريجيته بارتشت .هامش المترجم ١٧٣.

٣٨. ينظر المصدر نفسه هامش المترجم ١٥٤.

٣٩. الكتاب سيبويه ١٣\ ٣٢٠.

٤٠. ينظر : مثلا ورود جملة من هذه العبارات في كتابه (الكتاب) في الموارد الآتية : ١\ ٧٢, ١\ ٨٣ , ١٢ \ ١٩ , ١٢\ ١٧١ , ١٣\ ٢٨, ١٣\ ٣٠ .

٤١. ينظر: الكتاب . سيبويه ١\٧٢.

٤٢. ينظر :الإيضاح في علل النحو .الزجاجي ٤٣

٤٣. ينظر المصدر نفسه ٤٣ــ ٤٤

٤٤. ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة . جون لانكشو أوستين ١٢٣ وما بعدها وينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني . العياشي أدراوي ٨٦ .

٤٥. ينظر: الخصائص . ابن جني ٢\٢٢٦

٤٦. الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري ٣٠.

٤٧. كتاب الإمتاع والمؤانسة . التوحيدي الصفحة ٢٩٨. الليلة الخامسة والعشرون

٤٨. ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية . عبد السلام المسدي ٤٠١

٤٩. ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية . محمد محمد يونس ٢٨

٥٠. ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال . حسن خمريّ ٢٨٠

٥١. ينظر: السيميائيات الواصفة .أحمد يوسف١٦٦

٥٢. ينظر: المعجم الفلسفي . جميل صليبا ١\ ٥٦٦ــ ٥٦٧

٥٣. ينظر: أمالي المرتضى ٢\٢٩٥

٥٤. المصدر نفسه ٢٩٥\٢

٥٥. ينظر المصدر نفسه ٢٩٥\٢-٢٩٦.

٥٦. دلائل الإعجاز . الجرجاني ٣٨٠- ٣٨١

٥٧. ينظر المصدر نفسه ٣٨١

٥٨. ينظر المصدر نفسه ٣٩٩ـ ٤٠٠

٥٩. ينظر: الفروق اللغوية . أبو هلال العسكريّ ٢٠

٦٠. ينظر: رسائل في اللغة . ابن السيد البطليوسي ١٦١-١٦٣.

٦١. المصدر نفسه ١٦٥

٦٢. المصدر نفسه ١٧١.

٦٣. الكشاف . الزمخشري ١\ ٣٠.

٦٤. المصدر نفسه ٣٠\١

٦٥. المصدر نفسه ٧١\١

٦٦. ينظر: نتائج الفكر في النحو. السهيلي ٥١.

٦٧. ينظر: الأصول في النحو . ابن السراج ٧٤\١.

٦٨. ينظر: نتائج الفكر في النحو . السهيلي ١٥٩.

٦٩. ينظر المصدر نفسه ١٢٧.

٧٠. ينظر: الرد على النحاة . ابن مضاء ٧٠ .

٧١. ينظر المصدر نفسه ٧٨

٧٢. ينظر المصدر نفسه ٧٨.

٧٣. ينظر :المحصول . الرازي ١\ ٢٣٥ــ ٢٣٦

٧٤. أمالي ابن الحاجب ٢ \ ٧٣٥.

٧٥. المصدر نفسه ٧٣٥\٢- ٧٣٦.

٧٦. ينظر المصدر نفسه ٧٣٦\٢

٧٧. المصدر نفسه ٧٣٦\٢

٧٨. المصدر نفسه ٧٣٧\٢.

٧٩. ينظر المصدر نفسه ٢\ ٧٣٧.

٨٠. حول كيفية مشافهة المخبر اللغوي ينظر: مناهج البحث في اللغة . تمام حسان ٦٩ـ٧٠ وينظر : اللغة بين المعيارية والوصفية . تمام حسان ١٥٣.

المصادر والمراجع

١- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة . يحيى أحمد مجلة عالم الفكر. المجلد العشرون العدد ٣ , وزارة الإعلام ـ الكويت ١٩٨٩.

٢- أساسيات علم الكلام . جلوريا ج . بوردن وآخرون . ترجمة محيي الدين حميدي. دار المدى . سوريا الطبعة الأولى ١٩٩٨.

٣- الاستلزام الحواري في التداول اللسانيّ . العياشي أدراوي . منشورات الاختلاف . دار الأمان الرباط . الطبعة الأولى ٢٠١١م .

٤- الأسلوبية والأسلوب . عبد السلام المسدي . الدار العربية للكتاب ليبيا. الطبعة الثالثة .

٥- الاستعارات التي نحيا بها. جورج لا يكوف ومارك جونسن . ترجمة عبد الحميد جحفة .دار توبقال للنشر .الطبعة الأولى ١٩٩٦ الدار البيضاء. المغرب.

٦- الأصول في النحو . أبو بكر محمد بن سهل السراج النحوي البغدادي ت ٣١٦هـ . تحقيق عبد الحسين الفتليّ . دار الرسالة . بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٦.

٧- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية). ميشال زكريا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

٨- أمالي ابن الحاجب . أبو عمرو عثمان بن الحاجب ت ٦٤٦هـ . دراسة وتحقيق فخر صالح سليمان قدارة . دار الجيل عمان الأردن . دار عمان بيروت لبنان ١٩٨٩.

٩- أمالي المرتضى . غرر الفوائد ودرر القلائد . الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوي العلوي ت ٤٣٦هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . الطبعة الأولى ١٩٥٤.

١٠- كتاب الإمتاع والمؤانسة .أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي المتوفى في حدود ٤٠٠هـ . تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين . منشورات المكتبة العصرية . بيروت , صيدا ١٩٥٣.

١١- الإيضاح في علل النحو . أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧. تحقيق مازن المبارك. دار النفائس .بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٢.

١٢- التعريف بعلم اللغة . دافيد كريستل . ترجمة حلمي خليل . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . الطبعة الثانية ١٩٩٣.

١٣- التفكير اللساني في الحضارة العربية . عبد السلام المسدي. الكتاب الجديد المتحدة . ليبيا . الطبعة الثالثة ٢٠٠٩.

١٤- جوانب من نظرية النحو . نعوم جومسكي . ترجمة مرتضى جواد باقر . نشر جامعة البصرة ١٩٨٥.

١٥- الخصائص . ابن جني ت٣٩٢هـ . تحقيق عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية. ٢٠٠٢ .

١٦- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ . تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي .مكتبة القاهرة . مصر الطبعة الأولى ١٩٦٩

١٧- الرد على النحاة .ابن مضاء القرطبي ت ٥٩٢هـ

. تحقيق محمد إبراهيم البنا. دار الاعتصام . القاهرة .الطبعة الأولى ١٩٧٩.
١٨- رسائل في اللغة . أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ت ٥٢١هـ . تحقيق وليد محمد السراقبي .مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية .الرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٧.
١٩- السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات . أحمد يوسف. الدار العربية للعلوم . منشورات الاختلاف . لبنان . المغرب . الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
٢٠- علم الدلالة . ف. بالمر . ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة .نشر الجامعة المستنصرية ١٩٨٥.
٢١- الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري ت بعد ٣٩٥هـ . تحقيق أبي عماد زكي البارون . المكتبة التوفيقية . مصر. ب ت ط
٢٢- قاموس اللسانيات . عبد السلام المسدي . الدار العربية للكتاب ٤ ١٩٨.
٢٣- كتاب سيبويه . أو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت١٨٠هـ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الجيل . بيروت
٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .الزمخشري ت ٥٣٨هـ . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان. الطبعة الرابعة ٢٠٠٦.
٢٥- اللسانيات البنيوية .منهجيات واتجاهات . مصطفى غلفان . نشر دار الكتاب الجديد المتحدة . ليبيا . الطبعة الأولى ٢٠١٣
٢٦- اللساني واللاوعي . ميشال أريفيه . ترجمة محمد خير محمود البقاعي .دار الكتاب الجديد المتحدة . بيروت . ليبيا الطبعة الأولى ٢٠١١.
٢٧- اللغة بين المعيارية والوصفية . تمام حسان . عالم الكتب . القاهرة . الطبعة الرابعة ٢٠٠٠.
٢٨- اللغة والمعنى والسياق . جون لاينز . ترجمة عباس صادق الوهاب . نشر دار الشؤون الثقافية بغداد . الطبعة الأولى بغداد ١٩٨٧.
٢٩- ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية . عبد السلام المسدي . مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر . تونس ب ت .ط
٣٠- مباحث تأسيسية في اللسانيات . عبد السلام المسدي . دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى ٢٠١٠.
٣١- مبادئ في علم الادلة . رولان بارت . ترجمة محمد البكري دار الشؤون الثقافية العامة بغداد . الطبعة الثانية ١٩٨٦ .
٣٢- مدخل لفهم اللسانيات . روبير مارتان . ترجمة عبد القادر المهيري . المنظمة العربية للترجمة . الطبعة الأولى . بيروت ٢٠٠٧.
٣٣- المحصول . الفخر الرازي ت ٦٠٦هـ تحقيق طه جابر فياض العلواني . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية ١٣١٢هـ .
٣٤- المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . عبد العزيز حمودة . سلسلة عالم المعرفة ٢٣٢. الكويت ١٩٩٨.
٣٥- المصطلحات المفاتيح في اللسانيات . ماري

نوال غاري بريور. ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني ٢٠٠٧ الطبعة الأولى سيدي بلعباس، الجزائر.٢٠٠٧

٣٦- معجم علم اللغة النظري .محمد علي الخولي .مكتبة لبنان.٢٠٠٩.

٣٧- معجم اللسانيات .إشراف جورج مونان . ترجمة جمال الحضري . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .

٣٨- معجم اللغة واللسانيات . هارتمان وستورك . ترجمة توفيق عزيز عبد الله وآخرين . دار المأمون للترجمة والنشر . بغداد الطبعة الأولى ٢٠١٢.

٣٩- معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا). دانيال تشاندلر . ترجمة شاكر عبد الحميد نشر أكاديمية الفنون. مصر

٤٠- المعجمية وعلم الدلالة المعجمي مفاهيم اساسية . آلان بو الغير . ترجمة هدى مقنص. المنظمة العربية للترجمة بيروت الطبعة الاولى ٢٠١٢.

٤١- المعنى وظلال المعنى . أنظمة الدلالة في العربية . محمد محمد يونس علي . دار المدار الاسلامي . ليبيا . بيروت . الطبعة الثانية ٢٠٠٧.

٤٢- مناهج البحث في اللغة . تمام حسان . دار الثقافة . الدار البيضاء . الطبعة الثانية ١٩٧٤.

٤٣- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي . بريجيته بارتشت . ترجمة سعيد حسن بحيري .مؤسسة المختار . القاهرة الطبعة الأولى . ٢٠٠٤

٤٤- نتائج الفكر في النحو . أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت ٥٨١هـ . تحقيق عادل أحمد عبد الموجود . و علي محمد معوض . دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٤٥- نحو علم للترجمة . يوجين ا . نيدا . ترجمة ماجد النجار . نشر وزارة الإعلام . بغداد العراق ١٩٧٦ .

٤٦- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام . جون لانكشو أوستين . ترجمة عبد القادر قنيني . أفريقيا الشرق . المغرب . الطبعة الثانية ٢٠٠٨.

٤٧- النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن . فاطمة الطبال بركة . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٣.

٤٨- نظرية النص . من بنية المعنى إلى سيميائية الدال . حسين خمري . منشورات الاختلاف . الدار العربية للعلوم . ناشرون . الجزائر . بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

الدَّلَالَةُ القُرآنيةُ الاحتِمالِيةُ في أمالِي الشَّريفِ المُرتَضى (ت٤٣٦هـ)

The possibility of Quran Meanings in Amalie Al-Sharif Al-Murtada (436 e)

م.د. حسين علي هادي المُحَنَّا
جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Dr. Hussein Hadi Al-Mhana , University of Babylon /Faculty of Quranic Studies

ملخص البحث

هذا بحثٌ يسلّط الضوء على الدلالة القرآنية الاحتمالية في مدوّنة الشريف المرتضى _ رحمه الله_ فيكشف النقاب عن المداليل الموضحة للدلالة الاحتمالية كالترجيح بين الوجوه وتصويب الوجه وتحسين الوجه والمراد من الوجه، ونقف عند آليات الترجيح للدلالة الاحتمالية التي عُني بها المرتضى فَحّشّد النّصوص وأكثَرَ من الاستشهاد بها ووسّع البحث في المناظرة المتخيّلة وهي مصداق من مصاديق قانون الحجاج عنده ، وأفاد من أقوال العلماء فأخذ منها مارآه مناسبا لتعزيز الوجه المحتمل في الآيات المباركة .

وخلص البحث إلى أنَّ الدلالة الاحتمالية عند المرتضى لاتعني سقوط الدلالات المحيطة بالألفاظ والتراكيب ، فالدلالة الاحتمالية هي الدلالة القوية والراجحة بحسب القرائن وسياق الحال ، ولم يقدح المرتضى بالدلالات الواردة من العلماء ولكن يستبعدها بالشواهد والأدلة العقلية والمنطقية كما تفرّد في ذكر وجوه تحتملها الآيات الكريمة لم يسبقه إليها المفسرون .

Abstract

This research highlights the significance of the possible Quranic meanings in Al-Sharif Al-Murtada .It attempts to pin point the various cues that lead to the possible meaning like the prevalence of possible aspects of meaning , changing the possible aspect of meaning from one to the other , the preference of one aspect of meaning , in addition to defining the term aspect of meaning. The study focuses on preference cues which direct the attention to that particular possible meaning used by Al-Murtada and to the examples he cited in this regard.

The research concludes that the possibility of particular meaning in Al-Murtada does not mean the denial of other aspects of meanings to a certain expression. Rather , it means that particular meaning is stronger depending on the presumptive evidence and the context of situation.Al-Murtada does not exclude other aspects of meanings given by other sholars , but he weakens them accounting for evidence , reasoning and logic .

المقدمة

الحمدُ للهِ قبل الإنشاء وبعد فناء الأشياء والصلاة والسلام على خاتَم الأنبياء وعلى آله الأطهار النجباء، أمّا بعد:

فيكمن فعلُ المفسّر في إزالة أيّ تعقيد أو غموض في المفردات للوصول بها إلى الوضوح للسامع ، فهو لايبحث عن مقصدية المتكلم ، وإنّما هو يسعى لتوضيح بناء المفردات داخل النَّص فهي عملية تسبق عمليةَ الفَهم والاستنباط وتحاول إزالة العوائق أمام المؤوِّل .

وقد ارتبط مصطلح التأويل في إطار التداول اللغوي بمصطلح التفسير إرتباطا وثيقا وضعَهما على قَدَم المساواة معا من حيث حاجة المفسّر أو المؤوِّل لهما معا فكان من الطبيعي أن لاتتجاوز ثنائية العلاقة بين كلا المصطلحين حدود التعامل مع النَّص،ولايمكن للتأويل أن يكتفي بتفسير الشيء لأنّه يبحث عما هو أوّل في الشيء وعن أصل الشيء لأنّه يعني الترجيح في ضوء البحث في المعاني المحتملة المأخوذة من الدوال التي يحتاج في قصد واحد منها إلى ترجيح بإمارات ودلائل أكثر من معاني الألفاظ اللغوية في حين يبحث التفسير في شرح المفردات والألفاظ شرحا لغويا يؤدي إلى المعنى الظاهر من النَّص ؛ لأنَّ همّه الأوّل إزالة الغموض.

ثمّ يأتي دور المؤوِّل الذي يفهم اللغة بوصفها منظومة دلالية تتجاوز البُنى الإجرائيّة مُؤَسَسة على رموزٍ ودوال قابلة للتجدد مع كُلِّ قراءةٍ تأويليةٍ جديدة.

إنّ وظائف التأويل تَنصَبّ في البحث عن ما وراء الدّال ، وعن مجموع المدلولات وتحديد مستويات المعنى ويتجلّى ذلك في ضوء الكشف عن تركيبة النَّص وشرح العلاقات التي تحكم نسيج النَّص.

وتتعدد دلالات النصوص الرفيعة وتزدحم وبقدر ذلك التعدد والثراء تكون منزلة النصوص ، وليس هناك نصٌّ اتّسَمَ بهذه السّمة كالقرآن الكريم فهو ((قابل للفَهم ودلالاته مفتوحة على المعرفة البشرية في كلّ وقت من دون أن يختصّ ذلك بعصر أو بقوم.))[١].

فقد رُوِي في بصائر الدرجات عن الإمام الصّادق (عليه السلام) أنّه قال: ((إنّي لأتكلّم على سبعين وجها لي منها المخرج)) [٢].

وقال الزركشيُّ (ت ٧٩٤ هـ) في البرهان: ((لو أُعطِي العبدُ بكلّ حرفٍ من القرآن ألفَ فَهم لم يبلغ نهايةَ ماأودعه الله في آيةٍ من كتابه؛ لأنّه كتابُ الله ،وكلامه صفته ، وكما أنّه ليس لله نهاية فكذلك لانهايةَ لفهم كلامه ، وإنّما يفهم كُلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق ، ولايبلغ إلى نهاية فهمه فهوم مُحدَثة مخلوقة)) [٣].

وقد كان القدماء على وعيٍ بهذا الأمر فقسّموا دلالة القرآن على دلالة حقيقية تابعة لإرادة المتكلم ودلالة إضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وهذا يختلف من سامعٍ إلى آخر، والاحتمال قد يكون ناشئا من الدلالة الحقيقية بأن يقصد القرآن الكريم التعددَّ لغرض التوسّع في الدلالة ، أو ناشئا من الدلالة الإضافية إذا كانت على وفق منهجٍ يُعذَر فيه القارئ على قاعدة: لاتُكَلَّفُ نفسُ إلاّ وسعها، ولذا قيل:((إنّ المجتهدَ المخطئ مُصيبٌ ابتداءً

مخطئ انتهاءً))[٤].

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومطلبين تناولنا في المطلب الأوّل المداليل الموضحة للدلالة الاحتمالية وتضمّن المطلب الثاني آليات ترجيح الدلالة الاحتمالية ، وخاتمة تضمّنت أهم نتائج البحث.

تمهيد

الدلالة الاحتمالية تعريفا.

الاحتمال لغةً:

نجد في المعجمات أنّ مادة (حمل) تدلُّ على النهوض بالشيء والقيام به، قال ابنُ فارس(ت ٣٩٥ه) : ((الحاء والميم واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إقلال الشيء ، يقال : حَمَلتُ الشيءَ أحملُهُ حَملا.)) [٥].

وبزيادة الهمزة والتاء تُصبِحُ دالةً على القيام بالشيء بجهد ومبالغة ، لذا يقال : ((احتَمَل الرجلُ إذا غضب ويكون بمعنى حَلُمَ))[٦].

وإطلاق (احتمل) على مَن حَلُمَ عمّن يسبُّه ويعتدي عليه لكونه يحمل ما يغيظه ويَسوؤه ويكنّه في نفسه على الرغم من مشقة الإساءة وعنائها .

وجاء في لسان العرب: ((حَمَلَ الشيءَ يحمِله حَملا وحُملانا فهو مَحمول وحَميل))[٧]. وقول ابن منظور (ت٧١١ه) يشير بوضوح إلى دلالة المبالغة والاجتهاد في (احتمل) وهذه هي إحدى دلالات صيغة (افتعل) .

وقد أبان سيبويه (ت ١٨٠ه) عن دلالة هذه الصيغة قال: ((وأمّا كسب فإنّه يقول أصاب ، وأمّا اكتسب فهو التصرف والطلب))[٨]. ومعنى التصرّف المعاناة في تأثير الشيء والمبالغة والاحتيال فيه [٩].

وجاء الفعل (احتمل) في القرآن الكريم ليدلَّ على العناء والمبالغة في الحمل كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكسِب خَطِيئَةً أو إِثمًا ثُمّ يَرمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احتَمَلَ بُهتانًا وإثمًا مُبِينًا﴾ (النساء:١١٢) . وقد يأتي (احتمل) بمعنى (حمل) ، جاء في المصباح المنير: ((واحتَملتُهُ على افتعلت بمعنى حَمَلتُهُ))[١٠].

الاحتمال اصطلاحا:

الاحتمال هو: ((مالايكونُ تصوُّرُ طرفيه كافيا بل يترددُ في الذهن في النسبة بينهما)) [١١]. وسبب هذا التردد هو عدم كفاية التصوّر ، والمناسبة بين المعنى المعجمي والاستعمال الاصطلاحي جليّة فإن تعدد دلالات النَّص فيه إجهاد وعناء للألفاظ إذ تنوءُ من الزيادة في ما تحمله من دلالة ، أمّا المفسّر فإنّ التردد في النسبة إلى أحد الطرفين فيه جَهد وعناء ؛ وذلك لما يبذله الناظر في تركيب النَّص القرآني محاولا أن يحدد وجوهه الدلالية ، ولتقليب العلاقات الدلالية لابدّ من عملية عقلية تستلزم استنفاد الطاقة الفكرية [١٢]. ونلحظ عند مَن تناول النَّص القرآني بالتفسير عبارات من مثل ((تحتمل الأمرين)) [١٣] ، و ((فالوجوه الثلاثة تحتملها الآية))[١٤]، و ((يحتمل الأمرين جميعا))[١٥]و ((هو محتمل وأليق))[١٦]و ((هو محتملٌ لكن بتعسّف))[١٧].

وقد فطن الشاطبيُّ إلى انفتاح الدلالات على الألفاظ القرآنية فتكثُر الاحتمالات الدلالية المفضية إلى قوة الخطاب القرآني وكونه منفتحا للمفهوم التي تتلقاه بالقراءة والتدبُّر قال: ((أن يقع تفسير الآية أو الحديث من المفسر الواحد على أوجهٍ من الاحتمالات

، ويبني على كلّ احتمال ما يليق به من غير أن يذكر خلافا في الترجيح ، بل على توسيع المعاني الخاصة فهذا ليس بمستقر خلافا إذ الخلاف مبني على التزام كلّ قائل احتمالا يعضده بدليل يرجحُهُ على غيره من الاحتمالات حتّى يبني عليه))[١٨].

وقد ذهب اللغويون وبعض المفسرين إلى أنّ التفسير فيه قطعية الدلالة في حين التأويل ليست فيه هذه القطعية ،وإنّما يبقى الاحتمال متأرجحا بحسب قوة الأدلة ، قال الماتريدي(ت٣٣٣ه): ((التفسير القطع بأنّ مراد الله تعالى كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع))[١٩].

ونرى أنّ الممارسة التأويلية مشروع مفتوح لايبلغ منتهىً ، ولايصل حدًّا ، كيف لا وهو يحاور نصًّا جامعا بلغ من الكمال ما يجعَلُ كُلَّ تأويلٍ يحومُ حَولَه هياما ومراودةً ، ولاينال منه إلا ماشاء وأراد.

ومن هنا فإنّ الدلالة الاحتمالية ضربٌ من ضروب الاتّساع ، وهي دليل على الطاقة الاستيعابية التي تملكها اللغة للإفصاح عن أغراضها ، وتنويع دلالات الكلام لدى مستعمليها فتخرج من المستوى التخاطبي التحادثي إلى المستوى الإنشائي الجمالي ، إذ يتأتى للمتكلم استبدال ما يرتضيه من الألفاظ تعبيرا عن تلك المعاني النفسية الكامنة الممكنة والمحتملة ، يقول السجلماسي (ت ق ٨ه) : ((والاتّساع هو اسم مثالٍ أوّل منقول إلى هذه الصناعة ، ومقول بجهة تخصيص عموم الاسم على إمكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ(الواحد)حيث يذهب وَهمُ (كُلِّ) سامِعٍ سامع إلى احتمالِ احتمالٍ من تلك الاحتمالات ،ومعنىً معنى من تلك المعاني(...) واسم الاتّساع هو اسم لمحمول يُشابه شيءٌ شيئا في جوهره المشترك لهما ، فلذلك هو جنس عالٍ تحته نوعان : أحدهما الاتّساع الأكثري والثاني الاتّساع الأقلّي ، وذلك أنّه إمّا أن يتّفق اللفظ البتة ويختلف في تأويله وهذا الاتّساع الأكثري وإمّا أن يتّفق اللفظ من جهة ويختلف من جهة أخرى فترى اللفظ على صورةٍ ويحتمل أن يكون على غيرها وهذا هو الاتّساع الأقلّي))[٢٠].

وأرى أنّ الدلالة الاحتمالية تصورٌ دلالي من تصورات كثيرة للفظ المستعمل ، وهي تدخل في باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى وهو باب طويل ووسيع ينبغي انطباقه على أبواب اللغة كافة ، من دون اختصاصه بالمستوى الدلالي فحسب ، فقاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى منفتحة على أفق وسيع جدا وحاضنة لدرجات وتفرعات غير قابلة للحصر .

إنّ هذا الباب الوسيع للدلالة الاحتمالية التي تترشح وتُمتّصُّ من الدال يجب أن تكون منطبقة عليه على ألّا يّفَنِّد هذا الاحتمال الذي يحتمله في الآية المباركة دالٌّ لفظي آخر ، بأن يقطع الطريق أمام نفوذ هذا الاحتمال ، فإذا حدَثَ احتمالٌ يتنافى مع احتمال آخر فإننا نرفع اليدَ من الآخر ، بمعنى أنّه لايحدث تضاربا في الدلالة الاحتمالية المستفادة ، فإذا حدَثَ هذا التضارب فهو دلالة على عدم إرادة الدلالة الاحتمالية للدوال.

المطلب الأول: المداليل الموضحة للدلالة الاحتمالية :

في هذا المطلب سنتناوش المداليل التي تُظهر الدلالة الاحتمالية للنصوص التي وقف عليها الشريف

المرتضى (ت٤٣٦ه) فهو يرصد التفاعل الثنائي بين الخارج والداخل ؛ لأنّه يرصد حركة المعنى في ظلّ الترابط السياقي مستفيدا مما يقدّمه له الإجراء التفسيري فضلا عن أفقه المعرفي الذاتي ويتوصل إلى الأدلة بالاجتهاد وفَهم الألفاظ ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق وهذه المداليل تنوّعت وتلوّنت بحسب السياقات التي وردت فيها النصوص محطّ البحث . وقد آن الأوان أن نبيّن هذه المداليل، التي بواسطتها يكشف الشريف المرتضى الدلالة الاحتمالية بوصفها استثمارا للآية المباركة عنده.

١_ الترجيح بين الوجوه:

يُحَشّد الشريف المرتضى _رحمه الله _الوجوه التي تحتملها الآية الكريمة بعد ذلك يُرجّح أحدَها، فبعد أن ذكَرَ الوجوه التي تحتملها الآية قال في قوله تعالى : ﴿وَلَمّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبّهُ قَالَ رَبِّ أرِنِي أنظُر إليكَ قَالَ لَن تَرَاني وَلَكِنِ انظُر إلَى الجَبَلِ فَإن استَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَاني فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ سُبحَانَكَ تُبتُ إلَيكَ وَأنَا أوّلُ المُؤمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) : وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى (عليه السلام) لم يسأل الرؤية لنفسه وإنّما سألها لقومه ، فقد رُوِي أنَّهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فأجابهم بأنّها لاتجوز عليه تبارك وتعالى ، فلم يقنعوا بجوابه، وآثروا أن يَرِدَ الجوابُ من قِبَل ربّه تعالى ، فوعدهم ذلك ، وغلب في ظنّه أنّ الجواب إذا وَرَدَ من جهته جلَّ وعَزّ كان أحسَم للشبهة ، وأبلغَ في دَفعِها عنهم ، فاختار السبعين الذين حضروا ليكون سؤاله بمَحضَرٍ منهم فيعرفوا مايَرِدُ من الجواب فَسَأل وأُجيبَ بما يَدُلُّ على أنّ الرؤية لاتجوز عليه تعالى [٢١].

وانفرد الشريف المرتضى بذكر هذا الوجه فلم أجده عند المتقدمين [٢٢]، وتوَصّل إلى الأدلة التي تعضد هذا الرأي بالاجتهاد وفَهم الألفاظ ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق ، ومما يقوي هذا الرأي عنده قوله تعالى : ﴿يَسئَلُكَ أهلُ الكِتَابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيهِم كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَد سَألُوا مُوسَى أكبَرَ مِن ذَلِكَ فَقالُوا أرِنَا اللهَ جَهرَةً فَأخَذَتهُمُ الصَّاعِقَةُ بظُلمِهِم ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجلَ مِن بَعدِ مَا جَاءَتهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَونَا عَن ذَلِكَ وَءَاتَينَا مُوسَى سُلطَانًا مُبِينًا﴾(النساء : ١٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿وإذ قُلتُم يا مُوسَى لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهرَةً فَأخَذَتكُمُ الصَّاعِقَةُ وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ (البقرة : ٥٥) وقوله تعالى : ﴿فَلَمّا أخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ قَالَ رَبِّ لَو شِئتَ أهلَكتَهُم وإيَّايَ أتُهلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الأعراف : من الآية: ١٥٥) . لأنّ إضافة ذلك إلى السفهاء تدلُّ على أنّه كان بسببهم ومِن أجلهم ، وإنّما سألوا مالا يجوز عليه. ومما يقوي هذا الرأي ذكرُ الجهرة في الرؤية ، وهي لاتليق إلا برؤية البصر دون العلم ، وهذا يقوّي أنّ الطلب لم يكن للعلم الضروري .

وكذلك قوله (أنظر إليك) لأنّا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكَن أن يُحمَلَ قوله (أنظر إليك) على حقيقته ؛ فإذا حُمِلَت الآية على طلب العلم الضروري أُحتِيجَ إلى حذفٍ في الكلام ، ويصير تقديره : أرني أنظر إلى الآيات التي عندها أعرفكَ ضرورة[٢٣].

ويُرجّح المرتضى وجهين في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيرٌ ابنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارى المَسِيحُ ابنُ اللهِ ذَلِكَ قَولُهُم بِأفوَاهِهِم﴾ (التوبة : من الآية : ٣٠).

أحدهما: هو أن تكون الفائدة في قوله تعالى ﴿بأفواههم﴾ أنّ القول لابُرهان عليه وانّه باطلٌ كَذِبٌ لا يُرجَع فيه إلّا إلى مجرّد القول باللسان ، لأنّ الإنسان قد يقول بلسانه الحقَّ والباطل ، وإنّما يكون قولُه حقًّا إذا كان راجعا إلى قلبه ، فتكون إضافة القول إلى اللسان تقتضي ماذكرناه من الفائدة، وهذا كما يقول القائل لمن يشكّ في قوله أو يكذبه : هكذا تقول بلسانك ، وليس الشأن فيما تقوله وتتفوّه به وتقلّب به لسانك ؛ فكأنّهم أرادوا أن يقولوا : هذا قولٌ لابُرهان عليه ، فأمّا قولهم : هكذا تقول بلسانك ، وإنّما يقولون كذا بأفواههم مُقامَ ذلك ؛ والمعنى : أنّه قولٌ لاتعضُدُه حجّة ولابُرهان ولايُرجَع فيه إلّا إلى اللسان.

والآخر: هو أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد فقد جرت به عادةُ العرب في كلامها.

ويعلل المرتضى _ رحمه الله _ ترجيح هذين الوجهين بأنّ حملَ كلام الله تعالى على الفائدة أولى على حمله على ماتسقط معه الفائدة [٢٤].

ونلحظ أنّ المرتضى يعتمد على معرفةٍ أوسع يستعملها في الوصول إلى المراد فيحاول ترشيح ممكنات تحتملها اللفظة وبإمكانها أن تنسجم مع السياق العام ثمّ يحاول تقليب كلّ الدلالات المحتملة والتي تعكس عملية استنباط ذهني قائمٌ في ذهنه للوصول إلى المراد من النَّص[٢٥].

ففي قوله تعالى : ﴿ وَإذ قَتَلتُم نَفسًا فَادَّارَءتُم فِيهَا وَاللهُ مُخرِجٌ مَا كُنتُم تَكتِمُونَ﴾ (البقرة: ٧٢) ، قال المرتضى : هذه الآية وإن أُخّرُت فهي مُقدّمة في المعنى على الآية التي ذُكِرَت فيها البقرة ويكون التأويل : (وإذ قتلتُم نفسًا فادّارأتم فيها) فسألتم موسى فقال : إنّ الله يأمُركم أن تذبحوا بقرةً ، فأخّر المُقَدَّم وقَدَّمَ المؤخّر ، ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير ، ومثله : ﴿ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي أَنزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتَابَ وَلَم يَجعَل لَهُ عِوَجَا . قَيِّمًا﴾ (الكهف: ١،٢).

وقال الشاعر:

إنّ الفرزدقَ صخرةٌ ملمومةٌ

طالت فليس تنالها الأوعالا[٢٦]

أراد : طالت الأوعال فليس تنالها. ومثله:

طافَ الخيالُ وأين منك لِماما

فارجِع لزورِكَ بالسَّلام سلاما [٢٧]

أراد: طافَ الخيالُ لِماما وأين هو منك !

وقال المرتضى : ((هذا الوجه أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له، ولأنّ أكثرَ أهل العلم أجمعوا على أنّ القاتل كان واحدا)) [٢٨].

٢_ تصويب الوجه :

من المداليل التي نلمحها في مدونة الشريف المرتضى هو أنّه كان يستعمل : وأولى الأقوال بالصواب ، وأصوب.

ففي قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أمرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلنَا احمِل فِيهَا مِن كُلٍّ زَوجَين اثنَينِ وَأَهلَكَ إلَّا مَن سَبَقَ عَلَيهِ القَولَ وَمَن آمَنَ ومَا آمَنَ مَعَهُ إلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠) ، يذكر وجوها محتملة للآية الكريمة :

أوّلها: أنّه أراد بالتنور وجه الأرض ؛ وأنّ الماءَ نبع

وظهر على وجه الأرض وفار.

وثانيها: أن يكون المعنى أنّ الماء نبع من أعالي الأرض وفار من الأماكن المرتفعة منها.

وثالثها : أن يكون المراد (فار التنور) أي: برز النور وظهر الضوء وتكاثفت حرارة دخول النهار وتقضّي الليل.

ورابعها: أن يكون المراد بالتنور الذي يختبز فيه على الحقيقة ، وأنّه تنور كان لآدم (عليه السلام) ، وقال قومٌ : إنّ التنّور كان في دار نوح (عليه السلام) بعين وردَة من أرض الشام ، وقال آخرون : بل كان التنور في ناحية الكوفة.

وخامسها : أن يكون معنى ذلك اشتدَّ غضبُ الله عليهم وحلَّ وقوع نقمته بهم فذكر تعالى التنور مثلا لحضور العذاب ، كما تقول العرب : قد حَمِيَ الوطيس إذا اشتدَّ الحربُ وعَظُمَ الخطبُ والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضا : قد فارت قِدرُ القوم إذا اشتدَّ حربُهُم ؛ قال الشاعر:

تفورُ علينا قِدرُهُم فَنُديمُها

وَنَفثؤها عَنّا إذا حميُها غَلا [٢٩]

أراد بقدرهم حَربهم.

وسادسها: أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماءُ السفينة فجعلَ فوران الماء منه والسفينة على الأرض علما على ما أنذر به من إهلاك قومه .

وبعد أن ذكر المرتضى الوجوه المحتملة ، قال : ((وأولى الأقوال بالصواب قول مَن حَمَلَ الكلام على التنور الحقيقي ؛ لأنّه الحقيقة وماسواه مجاز ؛ ولأنّ الروايات الظاهرة تشهد له)) [٣٠].

ولايخفى أنّ الشريف المرتضى قد احتكم على الظهور القرآني بوصفه مرتكزا رئيسا في التفسير ؛ زد على ذلك فيه يكشف عن مناط الدلالة الاحتمالية التي هي مصداق من مصاديق الدلالة الحقيقية.

٣_ تحسين الوجه :

ومن المداليل التي أشار إليها المرتضى _ رحمه الله_ أنّه استعمل عبارة وأحسن ماقيل في الآية ، وأحسن من هذا التأويل.

ففي حديثه عن مرجعية الهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّه ذَوِي القُربَى﴾ (البقرة : من الآية : ١٧٧) . ذكر أنّ وجوها أربعة تحتملها الآية الكريمة:

أوّلها : أن تكون الهاء راجعةً على المال ، ويكون المعنى : وآتى المالَ على حبِّ المال وأُضِيفَ الحبّ إلى المفعول ، ولم يُذكر الفاعل كما يقول القائل : اشتريتُ طعامي كاشتراء طعامك ، والمعنى : كاشترائك طعامك.

والوجه الثاني: أن تكون الهاء راجعةً إلى(مَن آمن بالله) فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ، ولم يُذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث : أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دَلَّ (آتى) عليه ، والمعنى : وأعطى المالَ على حبِّ الإعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي :

هُمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ لَهُم

والآخِذُون بِهِ والسّاسةُ الأُوَلُ[٣١]

فكنّى بالهاء عن المُلكِ لدلالة قوله (الملوك) عليه ، ومثله قول الشاعر:

إذا نُهِيَ السّفِيهُ جرى إلَيهِ

وَخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ [٣٢]

أراد : جرى إلى السَّفَه الذي دَلَّ ذِكرُ (السّفيه) عليه.

والوجه الرابع: أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى لأنَّ ذكره تعالى قد تقدّم فأمّا الفائدةُ في إعطاء المال مع محبة الله تعالى ، فهي ظاهرة ؛ لأنَّ إعطاء المال متى قارَنَتهُ إرادَةُ وجهِ الله وعبادته وطاعته استُحِقَّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعلُ به ثوابا ، وكان ضائعا ، وتأثير ماذكرناه أبلغ من تأثير حبِّ المالِ والضنِّ به ؛ لأنَّ المُحِبَّ للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربى لم يستحق به شيئا من الثواب ؛ وإنّما يؤثّر حُبُّهُ للمال في زيادة الثواب ، متى حَصَلَ ماذكرناه من قصد القُربة والعبادة ، ولو تَقَرَّب بالعطية ، وهو غير ضنين بالمال ، ولامحبّ له لاستحقَّ الثواب .وذكر الشريف المرتضى أنَّ هذا الوجه لم يُسبّق إليه وهو أحسن ماقيل فيها ، ويبدو أنّ المرتضى قد شَغّلَ تقنية السياق في استجلاء مرجعية الضمير إلى الله (عز وجل) : ((ولكنّ البرَّ مَن آمَنَ باللهِ واليَوم الآخِر)) فَحُبّ الله والزلفى له وتقواه من أقوى العبادات وأشرفها فكلّ الأعمال والعبادات منقادة إليه موصولة به.

ومن المداليل التي استعملها الشريف المرتضى في مدوّنته ، وهذا أشبه بمراد الله تعالى. فقد نقل قول أبي مسلم محمد بن بحر الأصبهاني في الآية الكريمة : ﴿ والأرضَ مَدَدنَاهَا وَألقَينَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزُونٍ﴾ (الحجر : ١٩) ، قال إنّما خَصَّ الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين:

أحدهما : أنَّ غاية المكيل تنتهي إلى الوزن ؛ لانَّ سائر المكيلات إذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأنَّ الوزن أعمّ من الكيل.

والوجه الآخر : أنَّ في الوزن معنى الكيل ؛لأنَّ الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه وتعديله به ، وهذا المعنى ثابت في الكيل فَخَصَّ الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل.

ورَدَّ الشريف المرتضى رأيَ أبي مسلم ؛ لأنَّ وجه الآية وما يشهدُ لَه ظاهرُ لفظها غيرُ ماسلكه أبو مسلم . ويرى المرتضى أنّ الله تعالى أراد بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة ، فلايكون ناقصا عنها ولازائدا عليها زيادة مضرَّة أو داخلة في باب العبث . ونظير ذلك في كلامهم قولهم : كلامُ فلان موزون وأفعاله مقدّرة موزونة . وعلى هذا المعنى تأوَّلَ المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحَدِ التأويلين ، وأنّها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب . وهو كقول الشاعر:

لَهَا بَشَرٌ مِثلُ الحرير ومَنطِقٌ

رَخِيمُ الحواشي لاهُراءٌ ولانَزرُ[٣٣]

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري :

وحديثٌ ألَذّهُ هُوَ مما

يَنعَتُ الناعتون يُوزنُ وَزنا

منطقٌ صائِبٌ وَتَلحَنُ أحيا

نا وَخَيرُ الحديث ماكان لَحنا [٣٤]

قال المرتضى: ((وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه

بمراد الله تعالى في الآية)). وقد فطن الشريف المرتضى إلى البعد التداولي باستشراف كلام العرب نثرًا وشعرًا ، من أجل استجلاء الدلالة الاحتمالية للفظ (موزون) ، وهو ملحظ جدير بالاهتمام والبيان عنده للوصول إلى مقاربة دلالية ناجعة.

المطلب الثاني : آليات ترجيح الدَّلالة الاحتمالية :

١_ تحشيد النّصوص :

أ_ استعمال القرآن (الشاهد القرآني) :

لقد كانت عناية الشريف المرتضى بهذا الأسلوب كبيرة إذ إنّه أكثرَ من الاستشهاد بالنصوص القرآنية التي فاقت الشواهد الأخرى فهو لايكاد يمرّ بمسألة لغوية إلا وذكر لها مايناسبها من آيات الكتاب العزيز وهو في هذا المجال بارع واستشهاداته قويّة في دلالتها على مايريد[٣٥]. ففي قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِن عَجَلٍ سَأُرِيكُم ءَايَاتِي فَلَا تَستَعجِلُونِ﴾ (الأنبياء : ٣٧) ذكر وجوها من التأويل :

أوّلها : أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة وأنّه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لَهِجٌ باستدناء ما يَجلِب له نفعا أو يدفع عنه ضررا ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ، ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء : من الآية: ١١) ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : ﴿فَلاتَستَعجِلُون﴾ (الأنبياء: من الآية: ٣٧) ، لأنّه وصفهم بكثرة العجلة .

وثانيها: أنّ في الكلام قلبًا والمعنى : خُلِقَ العجل من الإنسان ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَد بَلَغَنِي الكِبَرُ ﴾ (آل عمران: من الآية: ٤٠) أي : وقد بَلَغتُ الكِبَرَ . وبقوله تعالى : ﴿ ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالعُصبَةِ ﴾ (القصص: من الآية :٧٦) والمعنى أنَّ العصبة تنوءُ بها.

وثالثها : ماحُكِيَ عن أبي الحسن الأخفش (ت٢١٥ه) أنّه أجاب به ، وهو أن يكون المراد أنّ الإنسان خُلِقَ من تعجيل من الأمر لأنّه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَردنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل : ٤٠) .

ورابعها : ما أجاب به بعضُهُم من أنّ العَجَلَ الطين فكأنّه تعالى قال : خُلِقَ الإنسانُ من طين ، كما قال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ (السجدة : من الآية :٧) .

وتظهر في ضوء الوجوه الأربعة التي ذكرها أنّ الوجه الأوّل هو الأقوى فالدلالة الاحتمالية (القول بالمبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة) وإنّه شديد الاستعجال لما يؤثِرهُ ، وهذا مانذهب إليه بلحاظ جملة البناء للمجهول (خُلِقَ الإنسانُ) فسكت عن الفاعل (الله) من أجل تسريع الخطاب أولًا والمبالغة والتوكيد والتعجب ثانيا فضلًا عن استبدال الصوائت في (خُلِقَ) بصوائت أقوى ضمّ ثمّ كسر وما يستدعي من قوّةٍ وشدّةٍ في الخطاب. وفي أدناه مخطط يوضّح البنية الدلالية للبناء للمجهول في الفعل (خُلِقَ)

الجملة الخبرية (خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل)

ب_ الشاهد الشعري :

كان المرتضى من أولئك العلماء الذين اهتمّوا بالشاهد الشعري في بحثه التفسيري ، ونراه يوجه مجموعة كبيرة من تلك الشواهد لإيضاح الدلالة القرآنية ، فعند حديثه على قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لَا يَعقِلُونَ﴾ (البقرة : ١٧١) . ذَكَرَ أنَّ المعنى : مثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لاتفهم نداء الناعق ، فأضاف الله تعالى المثلَ الثاني إلى الناعق ، وهو في المعنى مُضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في قولها: طلعتِ الشّعرى وانتصبَ العودُ على الحرباء ، والمعنى : وانتصب الحرباءُ على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ، وأنشد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) :

إنَّ سراجًا لكريمٌ مفخَرُه

تحلى به العينُ إذا ما تجهَرُه [٣٦]

معناه يحلَى بالعين ؛ فقدَّم وأخَّر ، وأنشد الفرّاء أيضا :

كانت فريضةُ ماتقول كما

كان الزِّناءُ فريضةَ الرّجمِ[٣٧]

والمعنى : كان الرجمُ فريضةَ الزِّناء. وأنشد أيضا:

وقد خِفتُ حتّى ما تَزِيدُ مخافتي

على وَعلٍ في ذي المطارَةِ عاقِلِ[٣٨]

أراد : ماتزيد مخافة وَعلٍ على مخافتي ، ومثله :

..... كأنَّ لونَ أرضه سماؤهُ [٣٩]

أراد : كأنّ لون سمائه أرضه ، ومثله :

ترى الثورَ فيها مُدخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ

وسائرُهُ بادٍ إلى الشمسِ أجمَعُ [٤٠]

أراد : مُدخِلَ رأسَهُ الظل ، وقال الراعي :

فَصَبَّحَتهُ كِلابُ الغوثِ يُؤسِدُها مستوضِحونَ يَرَونَ العَينَ كالأَثَرِ [٤١]

يريد أنّهُم يرون الأثر كالعين ، وقال أبو النجم :

قبلَ دُنُوِّ الأُفقِ مِن جَوزائِهِ[٤٢]

فَقَلَب ، وقال عروة بن الورد :

فَدَيتُ بِنَفسِهِ نَفسِي ومالي

ولا آلوهُ إلّا ما يُطِيقُ[٤٣]

أراد : فديتُ بنفسي نفسه ، وقال ابنُ مقبل :

وَلاتُهَيِّبُنِي المَومَاةُ أركَبُها

إذا تَجاوَبَتِ الأصدَاءُ بالسَّحَر[٤٤]

أراد : لاأتهيّب المومات .

إنّ الشاهد الشعري عند المرتضى كان ذا أثرٍ كبير في الوصول إلى كثيرٍ من الدلالات ووسيلةً مهمة حاول في ضوئها أن يوفِّقَ بين بعض الآيات ويوضّح انسجامها وترابطها وفي هذا ((أبدى تفوقًا عجيبًا وأبان عن ذهنٍ وقّاد ملتهب وبصر نافذ وأعانه فيما فسّر وأوّل ووجّه وَفرةٌ محفوظةٌ من الشعر واللغة))[٤٥]، ونراه يستعمل الشاهد الشعري فيستطرد في كثيرٍ من الأحيان في شرح المفردات الشعرية وبيان دلالتها وقد دلّت هذه الشروح على تمكّن المرتضى من اللغة وإحاطته بشواردها .

ج _ كلام العرب المنثور :

يعرضُ المرتضى لغة القرآن الكريم وأساليب تعبيره على لغة العرب مشيرا إلى سمات التعبير العربي وإلى معاني النَّص القرآني وقد أبدى في ذلك مهارةً منقطعة النظير فهو يمتلك الحجج والأدلة

التي يستشهد بها على مايقول ، وقد أعانه على ذلك وفرةُ محفوظاته من اللغة وكثرة استيعابه لكلام العرب وفهمه لأساليبهم في التعبير ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكفُرونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران : من الآية : ٢١) ، يرى المرتضى أنَّ للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادةً معروفةً ومذهبًا مشهورًا عند مَن تصفَّحَ كلامهم وفَهِمَ عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيده ، فمن ذلك قولهم : فلانٌ لايُرجى خيرُه ، ليس يريدون أنَّ فيه خيرًا لايُرجى، وإنّما غرضُهم أنّه لاخيرَ عنده على وجهٍ من الوجوه ؛ ومثله : قَلَّما رأيتُ مثل هذا الرجل ، وإنّما يريدون أنَّ مثلَه لم يُرَ لاقليلًا ولاكثيرًا .

ومثله قولهم : فلانٌ غيرُ سريعٍ إلى الخنا ، وهم يريدون أنّه لايقرُب الخنا لانفيَ الإسراع حَسبُ . فقوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير حقّ﴾ دَلَّ على أنَّ قتلَهم لايكون إلّا بغير حق ثمّ وصف القتل بما لابدّ أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق.

ويبدو أنَّ الشريف المرتضى قد اقترب كثيرا من المجال التداولي العربي ، موظفًا كلامهم في استجلاء الدلالة الاحتمالية للنصّ القرآني ، بلحاظ القوة الإنجازية للجملة الخبرية التي خرجت من دلالتها الرئيسة (احتمال الصدق والكذب) الى الدلالة الاحتمالية (المجازية) المبالغة في وصف أفعالهم القبيحة والمنحرفة . وفي أدناه مخطط يوضّح البعد التداولي للنَّص القرآني:

الجملة الخبرية

الصدق والكذب (ويقتلون النبيين بغير حق)

⬇

جملة خبرية

⬇

الوعيد وفضحهم (سياق إنتاجي) (معنى مجازي)

وذكر المرتضى وجهًا لم يذكره المفسرون في قوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم ﴾ (طه : من الآية : ٧٨) ، ويرى أنّه يليق بمذاهب العرب في استعمال هذا اللفظ وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى (ماغشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل : فَعَلَ فلانٌ مافعل وأقدمَ على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم ، ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل : هذا هذا ، وأنتَ أنتَ ، وفي القوم : هُم هُم ، كُلُّ ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره.

وأجمِل بقول الشريف المرتضى (تعظيم الأمر وتفخيمه) في قوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليمّ ماغشيهم ﴾ إذ أفاد من المجال التداولي العربي فأظهر الدلالة الاحتمالية للخطاب القرآني ، فالقوة الإنجازية للجملة الخبرية في إرادة التفخيم :

الجملة الخبرية

⬇

الصدق والكذب

⬇

فغشيهم من اليمّ ما غشيهم

⬇

(سياق إنتاجي ، معنى مجازي) تفخيم الأمر وتعظيمه

د _ اعتماد الرواية :

استعان المرتضى _ رحمه الله _ في ذكر الوجوه التي تحتملها الآية بالرواية ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَت عَلَيهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان : ٢٩) .

قال المرتضى : ((أن يكون ذلك كنايةً عن أنّه لم يكن لهم في الأرض عملٌ صالح يُرفَع منها إلى السماء)) [٤٦].

ويطابق هذا التأويل مارُوِي عن ابن عباس _ رحمه الله _ في قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَت عليهُم السَّماءُ والأرضُ ﴾ قيل له : أو تبكيان على أحد؟ قال : نعم مصلّاه في الأرض ومَصعدَ عمله في السماء . وروى أنس بن مالك عن النَّبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال : ((مامن مؤمنٍ إلّا ولَهُ بابٌ يصعد منه عمَلُهُ ، وباب ينزلُ منه رزقُه ، فإذا مات بكيا عليه)) [٤٧] .

لاجَرَمَ أنَّ الشريف المرتضى قد شَغَّلَ تقنيةَ السياق باستشراف (قرينة سبب النزول) من أجل لمح الدلالة الاحتمالية ، وهي تُمَثِّلُ مقاربة تداولية ناجعة في استجلاء الدلالات .

وحين ذكرَ الوجوه التي يحتملها قوله تعالى : ﴿ إِنَّه لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجحَدُونَ ﴾ (الأنعام : من الآية :٣٣) قال : أوّلها: أن يكون إنّما نفى تكذيبهم بقلوبهم تديّنًا واعتقادًا وإن كانوا يُظهِرون بأفواههم التكذيب ؛ لأنّا نعلم أنّه قد كان في المخالفين لَه عليه السلام مَن يعلم صدقَه ولاينكر بقلبه حقّه ؛ وهو مع ذلك معاند فيُظهر خلاف مايُبطن .

ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية مارواه سلّام بن مسكين عن أبي زيد المدني أنّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لَقِيَ أبا جهل فصافحه أبو جهل ، فقيل له : يا أبا الحكم أتصافح هذا الصّبي ؟ فقال : واللهِ لأعلَم أنّهُ نبيّ ؛ ولكن متى كُنَّا تَبَعًا لبني عبد مناف !

وفي خبرٍ آخر أنّ الأخنسَ بن شُرَيق خلا بأبي جهل ، فقال له : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ! فإنّهُ ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامَنا ، فقال له أبو جهل : وَيحك ! واللهِ إنَّ محمّدًا لصادق وما كذب محمّدٌ قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابة والسّقاية والندوة والنّبوّة ، ماذا يكون لسائر قريش!

لاريب أنَّ الشريف المرتضى قد اطمأنَّ لهذه الدلالة الاحتمالية في ظلِّ الرواية التي ذكرها التي تُمَثِّلُ بُعدًا تداوِلِيًا مقبولًا.

٢ _ المناظرة المُتَخَيَّلة :

وهذه الآلية هي مصداق من مصاديق قانون الحجاج عند الشريف المرتضى ، التي تدلُّ على ضخامة عقليته بلحاظ إحاطته بآراء القدماء ومعاصريه فَوَسَّعَ دائرةَ البحث من أجلِ الإحاطة بالقضية المبحوث عنها إحاطة تامة بعد ذلك يحاول أن يهدمَ من الآراء مايجده ضعيفا أو لايحتمله سياق الآية الكريمة مُرجحًا الوجه المُحتَمَل ، ومِنَ الطرائق التي لها مسيس بالمناظرة المتخيّلة أُسلوب الفنقلة ، قال المرتضى : إن سأل سائلٌ عن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسمَاءِ هَؤُلاءِ إن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ٣١) . فقال : كيف

يأمرهم أن يخبروا بما لايعلمون ، أوليس ذلك أقبح من تكليف ما لايُطاق ؛ الذي تأبونه ، والّذي جوَّزَ أن يُكَلِّفَ تعالى مع ارتفاع القدرة لايُجَوِّزه.

ثُمّ يُجيب المرتضى على هذا السؤال ، قال : قُلنا : قد ذُكِرَ في الآية وجهان :

أحدهما : أنَّ ظاهر الآية إن كان أمرًا يقتضي التعلّق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بأنَّهم إذا أخبَرُوا عن ذلك صدقوا فكأنّه قال لهم : خَبِّروا بذلك إن علمتموه ، ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا ، فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره : خبِّرني بكذا وكذا إن كنتَ تعلمه ، أو إن كنتَ تعلم أنَّك صادقٌ فيما تُخبِر به عنه .

فإن قيل : أليس قد قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿إن كنتم صادقين﴾ إنَّ المراد به : إن كنتم تعلمون بالعلّة التي مِن أجلِها جَعلتُ في الأرضِ خليفة ، أو إن كنتم صادقين في اعتقادكم أنَّكم تقومون بما أُنصِب الخليفة له ، وتضطلعون به ، وتصلحون له؟

قلنا : قد قيل كلّ ذلك ، وقيل أيضا ما ذكرناه ؛ وإذا كان القول مُحتَمِلًا للأمرين جاز أن يُبنى الكلام على كُلِّ واحدٍ منهما ؛ وهذا الجواب لايتمّ إلّا لِمَن يذهب إلى أنّ الله تعالى يصحُّ أن يأمُرَ العبدَ بشرطٍ قد عَلِمَ أنّهُ لايحصَل ، ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ؛ ومَن ذهب إلى جواز ذلك صَحَّ منه أن يعتمد على هذا الجواب ، ويتساءل المرتضى : فإن قيل : فأيّ فائدة في أن يأمُرَهم بأن يخبروا بذلك بشرط أن يكونوا صادقين ، وهو عالمٌ بأنَّهم لايتمكنون من ذلك لفقد علمهم به ؟ ويُجيب : قلنا لمن ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن يقول : لايمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن ينكشف بإقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب ، وانفراده بالإطِّلاعِ على وجوه المصالح بالدين.

فإن قيل : فهذا يرجع إلى الجواب الّذي تذكرونه من بعد ؟ قلنا: هو وإن رجع إلى هذا المعنى فبينهما فرقٌ من حيث كان هذا الجواب ، على تسليم أنَّ الآية تضمّنت الأمر والتكليف الحقيقيين.

والجواب الثاني لانُسَلِّم فيه أنَّ القولَ أمرٌ على الحقيقة ، فمن هاهنا افترقا.

والجواب الثاني : أن يكون الأمر وإن كان ظاهره ظاهر أمر ، فغير أمر على الحقيقة ، بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة ، وقد يرد بصورة الأمر ما ليس بأمر ، والقرآن والشعر وكلام العرب مملوءٌ بذلك .

فإن قيل : فكيف عَلِمت الملائكة بأنَّ في ذرية آدم عليه السلام مَن يُفسِد في الأرض ويسفك الدّماء؟ وما طريق علمها بذلك ؟ وإن كانت غير عالمة فكيف يحسن أن تَخبِرَ عنه بغير علم! قلنا : قد قيل إنَّها لَم تُخبِر ولكنّها استفهمت ؛ فكأنَّها قالت مُعترِفة : أتجعل فيها مَن يفعل كذا وكذا؟

بعد ذلك يطرح المرتضى الآراءَ التي يرى أنَّها لاتنسجم مع سياق الآية الكريمة محاولًا استبعادها أوردَّها ، قال : وقيل إنّ الله تعالى أخبرها بأنَّه سيكون من ذرية هذا المُستَخلَف مَن يعصي ويُفسِد في الأرض : فقالت على وجه التعرّف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه :

أتجعل فيها مَن يفعل كذا وكذا ؟ ويردُّ المرتضى هذا الرأيَ بقوله : وهذا الجواب الأخير يقتضي أن يكون في أوّل الكلام حذفٌ ويكون التقدير : وإذ قال ربُّكَ للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفَةً ، وإنّي عالِمٌ أن سيكون من ذريته مَن يُفسِد فيها ويسفك الدّماء، فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة : من الآية : ٣٠) لأنَّ ذلك دلالة على الأوّل ، وإنّما حذفه اختصارا .

وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد ، لأنّه تعالى لمّا حَكَى عنهُم قولهم : ((أتجعل فيها مَن يُفسِد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك)) كان في ضمن هذا الكلام : فنحن على مانظنه ويظهرُ لنا مِنَ الأمرِ أولَى بذلك لأنَّا نُطيع وغيرُنا يعصي[٤٨].

ويبدو من الحجاج بآلية أُسلوب الفنقلة أنَّ الشريف المرتضى كان حريصًا على استثمار الدلالات الاحتمالية بمنظار البعد التداولي ولاسيّما في بيان دلالة الجملة الإنشائية الأمرية في قوله تعالى : ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ ، والجملة الإنشائية الاستفهامية : ((أتجعل فيها مَن يُفسِد فيها)) فقد خرجت كلاهما مِنَ الدلالة الرئيسة (الوجوب) و (طلب الفَهم) إلى دلالتين مجازيتين (سياقين إنتاجيين) (دلالتين احتماليتين) ، في الأمر، هما : التقرير والتنبيه ، وأمّا في الاستفهام ، فدلالته الاستنكار.

٣_ أقوال العلماء : لقد أفاد المرتضى من أقوال العلماء ويبدو أنه كان واسع الإطلاع يأخذ مايراه مناسبًا وينقض ما لايتّفق مع مايذهب إليه ، ففي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَت قُلُوبُكُم مِن بَعدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَو أَشَدُّ قَسوَةً ﴾ (البقرة : من الآية : ٧٤) ذَكَرَ المرتضى وجوهًا :

أوّلها : أن تكون (أو) هنا للإباحة كقولهم : جالس الحسنَ أو ابن سيرين ، والقَ الفقهاء أو المُحَدِّثين ، ولم يُريدوا الشك ، بل كأنَّهم قالوا : هذان الرجلان أهلٌ للمجالسة ، وهذان القبيلان أهلٌ للّقاء ، فإن جالستَ الحسن فأنت مُصيب ، وإن جالستَ ابن سيرين فأنت مُصيب ، وإن جمعتَ بينهما فكذلك .

فيكون معنى الآية على هذا : إنَّ قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرُّشد والخير ، فإن شَبَّهتُم قسوتَها بالحجارة أصبتُم ، وإن شبّهتموها بما هو أشدّ أصبتُم ، وإن شبّهتموها بالجميع فكذلك.

وثانيها : أن تكون (أو) دخلت للتفصيل والتمييز ، ويكون معنى الآية : إنَّ قلوبَهم قَسَت فبعضُها ماهو كالحجارة في القسوة ، وبعضُها ماهو أشدّ قسوة منها ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا ﴾ (البقرة : من الآية : ١٣٥) معناه : وقال بعضُهم : كونوا هودًا _ وهم اليهود _ وقال بعضُهم : كونوا نصارى _ وهم النصارى _ فدخلت (أو) للتفصيل .

وثالثها: أن يكون (أو) دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب ، وإن كان الله تعالى عالمًا بذلك غير شاك فيه ، لأنّه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلّا التفصيل ، بل عَلِمَ عز وجلّ أنَّ خطابهم بالإجمال أبلغ في مصلحتهم ، فأخبر تعالى أنَّ قسوة

قلوب هؤلاء الذين ذمَّهُم كالحجارة أو أشدّ قسوة ، والمعنى أنّها كانت كأحدِ هذين لايخرج عنهما .

ويجري ذلك مجرى قولهم : ماأطعمتُك إلا حلوا أو حامضا ، فيبهمون على المخاطَب مايعلمون أنّه لافائدة في تفصيله ؛ والمعنى : ما أطعمتُك إلا أحَد هذين الضَّربين.

ورابعها : أن تكون (أو) بمعنى (بل) كقوله تعالى : ﴿ وَأَرسَلنَاهُ إلَى مائَةِ ألفٍ أَو يَزِيدُونَ﴾ (الصافات :١٤٧) معناه : بل يزيدون .

وطَعَنَ أحدُ العلماء على هذا الوجه فقال: وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة (بل) وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والإضراب عنه .

وردَّ المرتضى عليه بأنّ الاستدراك إذا أُريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لأنَّ أحدَنا قد يقول : أعطيته ألفا بل ألفين ، وقصدته دفعة بل دفعتين ؛ وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به في الثاني ، ولم يتجدد به علم ، وإن أُريدَ به الأخذُ في كلام غير الماضي ، واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ؛ ومثله جائز عليه تعالى .

فأمّا النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كُلِّ موضع تستعمل فيه لفظة (بل) ، لأنّ القائل إذا قال : أعطيتُهُ ألفا بل ألفين لم ينقض الأول ؛ وكيف ينقضه ؛ والأول داخل في الثاني وإنّما زاد عليه ! وإنّما يكون ناقضا للماضي إذا قال : لقيتُ رجلا بل حمارا ؛ وأعطيتُهُ درهما بل ثوبًا ؛ لأنَّ الأوَّلَ لم يدخل في الثاني على وجه، وقوله تعالى : ﴿ أو أشدّ قَسوَةً ﴾ غير ناقض للأوّل لأنّها لاتزيد في القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويَها ، وإنّما تزيد المساواة .

وخامسها : أن تكون (أو) بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ أن تَأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم أو بُيُوتِ آبائِكُم﴾ (النور : من الآية : ٦١) معناه : وبيوت آبائكم .

وهذا الوجه نقله المفضل بن سلمة عن قُطرب ، وطعن عليه بان قال : ليس شيءٌ يُعلَم أشدّ قسوةً عند المخاطبين من الحجارة فينسَق به عليها وإنّما يصحّ ذلك في قولهم : أطعمتُك تمرا أو أحلى منه ، لأنّ أحلى منه معلوم .

وردّ المرتضى اعتراض المفضل وفنّده ، قال : ((وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء ، لأنّهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشدّ قسوةً من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ، ويصحّ أن يتصوروا ماهو أشدّ قسوةً منها وماله الزيادة عليها ، لأنّ قدرا ما إذا عُرِفَ صحَّ أن يُعرَف ماهو أزيد منه أو أنقص لأنَّ الزيادة والنقصان إنّما يضافان إلى معلوم معروف)) [٤٩] .

واستعان المرتضى برأي بعض العلماء للردِّ على قول أحد الطاعنين على أنّ (أو) في الآية الكريمة لايمكن أن تكون بمعنى الواو لأنّ الواو للجمع ، فلايجوز : أن تكون قلوبهم كالحجارة وأشدّ من الحجارة في حالة واحدة ؛ لأنّ الشيء إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها. فقال : وأجاب بعض العلماء عن هذا الاعتراض بقوله : ((ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حالٍ ، وأشدّ من الحجارة في حالٍ أُخرى ؛ فيصحّ المعنى ، ولايتنافى ، وهذا قريب، ويكون فائدة هذا الجواب أنّ قلوبَ

هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه ؛ ربّما لانت بعض اللين ؛ وهَمَّت بالانعطاف ، وكادت تُصغي إلى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربّما لانت، وفي حالٍ أُخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه ، فتكون في هذه الحال أشدّ قسوةً من الحجارة)) [٥٠] .

وبعد أن عرض المرتضى هذا الرأي في الردّ على المعترضين ذَكّرَ أنّه يمكن ردّ هذا الاعتراض بوجه آخر وهو أنّ قلوبهم لاتكون أشدّ من الحجارة إلا بعد أن تكون فيها قسوة الحجارة ؛ لأنّ القائل إذا قال : فلان أعلم من فلان أخبر أنّه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه ؛ فلابُدّ من الاشتراك ثم الزيادة ، فليس ها هنا تنافٍ على ماظنّ المعترض ، ولاإثبات لصفة ونفيها فكلّ هذا واضح .

وذكر المرتضى في قوله تعالى : ﴿ وَاسأل مَن أرسَلنَا مِن قَبلَكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلنَا مِن دُونِ الرَّحمَنِ ءَالِهَةً يُعبَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٤٥) وجوهًا :

الأوّل : أن يكون المعنى : وسَل تُبَّاعَ مَن أرسلنا من قبلك من رسلنا ، ويجري ذلك مجرى قولهم : السّخاء حاتم ، والشّعر زهير ؛ وهم يريدون السّخاء سخاء حاتم والشّعر شعر زهير وأقاموا حاتمًا مقام السّخاء المضاف إليه .

والمأمور في ظاهر الكلام النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو في المعنى لأمّته لأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لايحتاج إلى السؤال ، لكنّه خوطب خطاب أُمّته .

والثاني : أن يكون السؤال متوجّها إليه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دون أُمّته والمعنى : إذا لقيتَ النبيين في السّماء فاسألهم عن ذلك ، لأنّ الرواية قد وردت بأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لَقِيَ النبيين في السّماء وسلّم عليهم وأمَّهم ، ولايكون أمره بالسؤال لأنّه كان شاكًا ، لأنّ مثل ذلك لايجوز عليه الشّك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة للدين .

والثالث : ماأجاب به ابن قتيبة وهو أن يكون المعنى : وسَل مَن أرسلنا إليه قبلك رسلا مِن رسلنا _ يعني أهل الكتاب _ وهذا الجواب وإن كان يوافق في المعنى الجواب الأوّل فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين .

وردَّ المرتضى هذا الوجه ودليله أنّ لفظة (إليه) لايصحّ إضمارها في هذا الموضع ؛ لأنّهم لايُجيزون : الذي جلستُ عبد الله، على معنى : الذي جلستُ إليه ؛ لأنّ (إليه) حرف منفصل عن الفعل ، والمنفصل لايُضمَر .

وكذلك لايجوز : ألذي رغبتُ محمد ، بمعنى : الذي رغبتّ فيه محمد ؛ لأنّ الإضمار إنّما يحسن في الهاء المتعلّقة بالفعل كقولك : أكلتُ طعامك ، والذي لقيتُ صديقك ، معناهما : الذي أكلتُه ولقيتُه . وعرض المرتضى رأيَ الفرّاء في هذا الوجه وضعّفه كذلك واعتمد على الوجهين المتقدمين.

ولايخفى أنّ الشريف المرتضى قد رجّح الوجهين (الأوّل والثاني) باختلاف التأويل في الوجهين ففي الأوّل الخطاب موجّهٌ إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لكنّه في المعنى إلى أُمّته فقد خوطبَ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خطابَ أُمّته ، وفي الثاني

مُتوجها إليه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو غير شاك لكن لبعض المصالح الراجعة للدين ومما يُلتَفَت إليه أنَ المرتضى إماميّ العقيدة فهو يرى بعصمة المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلايقع الشّك منه فهو من باب الترك الأولى أو كما عبَّرَ المرتضى (لكن لبعض المصالح الراجعة للدين).

ومِن هنا فإنّ عدم التقدير أولى مِن التقدير عنده لذا نراه قد ضَعَّفَ الوجهَ الثالث ؛ لأنّهُ يلزم التقدير .

أهم قطاف البحث :

بعد هذه الرحلة النافعة في رحاب الدلالة القرآنية في دروب أمالي المرتضى ومسالكه نقطف من ثمارها ما نخال أنّها أجدر بالقطف والجَنى :

١ - إنّ الدلالة الاحتمالية عند الشريف المرتضى لاتعني سقوط الدلالات المحيطة بالألفاظ والتراكيب ، فالدلالة الاحتمالية هي الدلالة القوية والراجحة ، بحسب القرائن وسياق الحال.

٢ - لايقدح المرتضى بالدلالات الواردة من العلماء ولكن يستبعدها بالشواهد والأدلّة العقلية والمنطقية .

٣ - تفرّد في ذِكر وجوهٍ تحتملها الآيات الكريمة لم يسبقه إليها المفسرون .

٤ - عنايته الكبيرة بالاستشهاد بالنّصوص القرآنية.

٥ - كان الشاهد الشعري ذا أثَرٍ كبير في الوصول إلى كثيرٍ من الدلالات .

٦ - استعان بالرواية في ذِكر الوجوه التي تحتملها الآيات الكريمة وهو ملمح تداولي باستشراف قرينة سبب النزول.

٧ - أفاد من أقوال العلماء فيأخذ مايراه مناسبا وينقض مالايتّفق مع مايذهب إليه .

٨ - أفاد الشريف المرتضى من المجال التداولي التراثي ولاسيّما كلام العرب المنظوم والمنثور مِن أجل استجلاء الدلالات المحتملة للخطاب القُرآنِي

والحمد لله أولا وآخرا وصلّى الله على النبيِّ الأمين وآله الطيّبين الطاهرين.

الهوامش

١ . فهم القرآن ، جواد علي كسار : ٣٦/١.

٢ . بصائر الدرجات : ٣٧٠.

٣ . البرهان في علوم القرآن : ٩/١ .

٤ . أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة : ٥٥ .

٥ . معجم مقاييس اللغة : ٢/ ١٠٦ (حمل) .

٦ . تهذيب اللغة : ٥ / ٦١ (حمل) .

٧ . لسان العرب : ١١/ ١٧٣ (حمل) .

٨ . الكتاب لسيبويه : ٤/ ٧٤ .

٩ . ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٦٤/١ .

١٠ . المصباح المنير : ١ / ١٥١ .

١١ . التعريفات : ١٤ .

١٢ . دواعي احتمالية الدلالة النحوية في القرآن الكريم ، شعلان عبد علي : ٤ .

١٣ . الكشاف : ٢٥٤/١.

١٤ . مجمع البيان : ٩ / ٤٠٤ .

١٥ . التفسير الكبير : ٢٩ / ٣٠٤ .

١٦ . المحرر الوجيز : ٣/ ١٧٦ .

١٧ . م.ن : ٣ / ٥٣٧ .

١٨ . الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي : ٤ /٢٣٦ ، ٢٣٧ .

١٩ . تفسير الماتريدي : ١ / ٣٣٨ .

٢٠ . المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، السجلماسي : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

٢١ . ينظر : غرر الفوائد ودرر القلائد : ٢ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

٢٢ . ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٢ /٣٧٣ ، وبحر العلوم للسمرقندي : ١ /٥٤٨ ، وتفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ١٤١ ، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب : ٤ / ٢٥٣٩.

٢٣ . ينظر : غرر الفوائد ودرر القلائد : ٢ / ٢١٦ .

٢٤ . ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٦٤، ٣٦٥ .

٢٥ . التفسير البياني للتراكيب ذوات الدلالة الاحتمالية ، نوّار محمد الحيالي : ٨ .

٢٦ . منسوب للأخطل مرة وللفرزدق مرة أخرى وهو غير مذكور في ديوانيهما .

٢٧. : لم نهتد لقائله .

٢٨ . غرر الفوائد ودرر القلائد : ٢ / ٢٢٥ .

٢٩ . البيت للنابغة الجعدي ، ديوانه : ١٣٠ .

٣٠ . غرر الفوائد ودرر القلائد : ٢ / ١٧١.

٣١ . ديوانه : ٢٠١ .

٣٢ . : غير معروف القائل .

٣٣ . البيت لذي الرُّمة ، ديوانه : ١٠٤ ،وعجز البيت في رواية الديوان : دقيق الحواشي لاهراء ولانزر.

٣٤ . البيتان لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ، الشعر والشعراء ،ابن قتيبة : ٢ / ٧٦٩ .

٣٥ . ينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، د. حامد كاظم عباس : ٣٢٦ .

٣٦ . لم نهتد لقائله .

٣٧. البيت للنابغة الجعدي ، ديوانه : ١٦٩ .

٣٨ . البيت للنابغة الذبياني ، ديوانه : ١٢٩ .

٣٩ . البيت لرؤبة بن العجاج ، ديوانه : ٣ / ٣ ، وصدره : وَبَلَدٍ عامِيَةٍ أعماؤُهُ .

٤٠ . غير معروف القائل .

٤١ . ديوانه : ١٢٧ .

٤٢ . البيت لأبي النجم العجلي ، ديوانه : ٧١ .

٤٣ . ديوانه : ٦٦ .

٤٤ . ديوانه : ٧٣ .

٤٥ . مقدمة محقق أمالي المرتضى : ١ / ١٨ .

٤٦ . غرر الفوائد ودرر القلائد : ١ / ٥٣ .

٤٧ . سنن الترمذي : ٥ / ٢٣٣ .

٤٨ . ينظر : غرر الفوائد ودرر القلائد : ٢ / ٦٨ _ ٧٠ .

٤٩ . م . ن : ٢ / ٥٨ ، ٥٩ .

٥٠ . م . ن : ٢ / ٥٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط ٢ ، ٢٠٠٠ م .

٢- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٣- بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) .

٤- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧ .

٥- بصائر الدرجات ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) ، الناشر: شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

٦- التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالة الاحتمالية ، أطروحة دكتوراه ، نوّار محمد إسماعيل الحيالي ، بإشراف : أ. م . د عماد عبد يحيى الحيالي ،جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ م .

٧- تفسير القرآن العزيز ، محمد بن عبد الله بن عيسى المري المعروف بابن أبي زَمنِين (ت ٣٩٩ هـ) ، تح : حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى ، الناشر : الفاروق الحديثة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .

٨- تفسير الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣ هـ) ، تح : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

٩- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠ هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

١٠- دواعي احتمالية الدلالة النحوية في القرآن الكريم ، شعلان عبد علي سلطان ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : أ. د رحيم جبر الحسناوي ، أ. د عامر عمران الخفاجي ، جامعة بابل ،كلية التربية ، ٢٠٠٩ .

١١- ديوان ابن مقبل ، عُنِي بتحقيقه : الدكتور عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ م.

١٢- ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة (ت ١٣٠ هـ) ، جمعه وشرحه وحققه : الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٢٠٠٦ م .

١٣- ديوان ذي الرُّمّة ، قدّم له وشرحه : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٥ م .

١٤- ديوان الراعي النميري ، جمعه وحققه : راينهرتفايبرت ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٥- ديوان عروة بن الورد ، تح : أسماء أبو بكر محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

١٦- ديوان القطامي ، تأليف : عمير بن شيم التغلبي (ت١٠١ ه) دراسة وتحقيق : د . محمود الربيعي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م .

١٧- ديوان النابغة الجعدي ، جمعه وحققه وشرحه : الدكتور واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

١٨- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦ م .

١٩-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
٢٠- شرح شافية ابن الحاجب للعالم عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تأليف : محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ، تح : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
٢١- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ هـ) دار الحديث ، القاهرة .
٢٢- فهمُ القرآن دراسة على ضوء المدرسة العرفانية ، جواد علي كسّار ، شبكة الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١٠ م .
٢٣- الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقّب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ن مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨ م .
٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ، تح : يوسف الحمادي ، مكتبة مصر .
٢٥- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١ هـ) دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .
٢٦- مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسي ، طُبِع في مدينة ليبسيغ ، ١٩٠٣ م .
٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ ه .
٢٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٥٧٧ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٢٩- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، تح : عبد الجليل عبده شلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
٣٠- معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة .
٣١- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩ م .
٣٢- مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ .
٣٣- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت ق٨ هـ) ، الرباط ، مطبعة المعارف ، ١٩٨٠ م .
٣٤- الموافقات ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) ، شرح وتعليق : عبد الله درّاز ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧ .
٣٥- الهداية إلى بلوغ النهاية ،مكي بن أبي طالب حَمَوش الأندلسي القرطبي (ت ٤٣٧ هـ) ، تح: مجموعة رسائل علمية ، جامعة الشارقة ,كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .

توجيهُ الأحكامِ النحويةِ في شواهد القرآن الكريم بين سيبويه(ت١٨٠هـ) والفراء(ت٢٠٧هـ)

The Difference in Deriving Grammatical Rules from the Holy Quran by Sibawayh (180) and Al-Fara (207)

م.د. ضياء فاخر جبر م.د. نزار بنيان شمكلي
جامعة بغداد /كلية التربية ابن رشد

Dr . Dhyia Fakhir Jabir and Dr. Nazar Banian Shamkaly

ملخص البحث

هذا البحثُ سلطَ الضوء على اختلاف المنهج الذي التزمه كلٌّ من سيبويه (ت١٨٠هـ) ، وأبي زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ) والهدف الذي توخياه فيه فضلا عن اختلافهما في المذهب النحوي ، فقد حرص سيبويه على استقصاء وجوه التعبير في كلام الناس، والاستشهاد لها بما جاء في كلام الله تعالى، واستخلاص الأحكام النحوية منها ، على حين أنَّ الهدف الذي توخاه أبو زكريا الفراء في كتابه (معاني القرآن) هو الوقوف على ما جاء في القرآن من المعاني سورة سورة ، وينظر في كل سورة، وما ورد فيها من المعاني التي تضمنتها آياتها وما يستخلص منها من الأحكام النحوية واللغوية .

وقد بدا أنَّ اختلافهما في المنهج والهدف قد يُفضي إلى الاختلاف في التوجيه على نحوٍ ما حيث يلتمس كل منهما شاهدًا من القرآن لما له من الأحكام ولابدَّ من الإقرار أولا إنَّ هذا لا يحصل في كل ما اتفقا على النظر فيه من كلام الله تعالى فقد يكون الحكم ظاهرا ولا يجوز غيره اعتمادا على ما يقتضيه سياق العبارة فلا يكون أبو زكريا الفراء حاذيًا حذو سيبويه حينئذ في توجيهه ، وقد بدا للباحثين قبل الخوض في غمار النظر في الكتابين أنَّ الأحكام التي يستخلصها الفراء من النظر في كلام الله تأتي عنده على ضربين :

- ما يوافق فيه الوجه الذي ذكره سيبويه .
- وما ينفرد فيه كل منهما بحسب ما يتراءى له من النص .

Abstract

This research highlights the different approaches used by Sibawayh (180), and Abi Zakaria Al-Fara (207) as well as the differences between these two figures in the grammatical doctrine . Sibawayh explored the functions of expression in people's talk, and then supported them with examples from the Quran, and finally drew their grammatical rules.On the other hand, Abi Zakaria Al-Fara in his book Maani Al-Quran(the meanings in the Quran) looked at Quran Sura by Sura, and then considered each Sura and the meanings it contains and finally drawing the grammatical rules.

It seems that the differences in the approach lead to the differences in orientation as each one used examples from the Quran because of its authority .We must acknowledge that this does not occur in all the matters that they agree upon when they referred to the holy Quran.

The researchers thought , before starting this research, that Al-Fara's approach in deriving the grammatical rules from the Quran in two directions :

1- One goes in line with Sibawayh.

2- The second is unique to him and his discretion of text.

مقدّمةُ البحث :

ترددَ في مصنفات النحويين كثيرا عبارات من قبيل (أصل الوضع ، وأصل القاعدة ، والعدول عن الأصل ، والرد إلى الأصل ... الخ) والذي دعاهم إلى ذلك هو ما اصطلح عليه الدارسون المحدثون بنظرية(الاقتصاد العلمي) التي تعني تعدد الصور الصوتية أو الصرفية أو التركيبية بحسب موقعها بسبب تفاعل هذه الصور فأطلقوا على هذا التفاعل مصطلحي (التغيير) و(التأثير)، فالحرف الواحد مثلا يتعدد ما يؤديه من الدلالات في سياق ما يرد فيه لهذا جردوا له أصلا واحدا، وجعلوا هذه الصور المختلفة عدولا عن هذا الأصل بحسب مبادئ معينة للتغيير، والتأثير كأثر الإدغام والإخفاء والإقلاب ، وحين رأوا أنَّ الكلمة الواحدة تتغير صورها بحسب تصريفها وإسنادها إلى الضمائر وتثنيتها وجمعها وتصغيرها اقترحوا لها أصلا يخضع للتغيير والتأثير بحسب قواعد معينة ، وحين رأوا أنَّ الجملة لا تبدو دائما على نمط تركيبي واحد اقترحوا لها أصلا نمطيا تخرج عنه بالزيادة والحذف والإضمار والاستتار[١] .

فالكلمة على حد تعبير الدكتور تمام حسان إما اشتقاقية ذات معنى عند الإفراد وتتكون من المادة وهو المعنى المعجمي والصيغة وهو معنى صرفي وظيفي كالأسماء والأفعال والأوصاف ومن طابعها عدم الحصر وقابلية النقص والزيادة بالإبطال والارتجال ، أو تكون الكلمة تركيبية ذات وظيفة في التركيب كالضمائر والموصولات والإشارات والظروف الجامدة والحروف ومن طابعها أنها محصورة العدد غير قابلة للزيادة والنقص[٢] ، حتى خلص إلى نتيجة مفادها أنَّ ما يسميه النحويون (أصل الوضع)هو في الحقيقة فكرة مجردة تعد ثابتا من ثوابت التحليل اللغوي تُرد إليه أنواع الكلمات المختلفة وتستأنس به شواردها وأوابدها حتى إذا ما خضعت هذه الأوابد لذلك الأصل المطرد سهل على النحويين أن يبنوا قواعدهم على هذه الأصول دون أن يمنحوا الأوابد إلا تفسيرا هنا وتأويلا هناك ، ومعنى هذا أنَّ تجريد الأصول وسيلة للوصول إلى الاقتصاد العلمي الذي يجنبهم الخوض في أوابد المفردات [٣] .

والعدول عن أصل وضع الجملة الذي هو نمط خاص تتحقق به الإفادة، وهذا النمط في الجملة الاسمية مبتدأ وخبر، وفي الفعلية فعل متقدم يتلوه فاعل، أو نائب فاعل، والجملة كلام، والكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع أي المفيد بحكم أصل وضعه؛ لأنَّ الأصل في الكلام أن يكون للفائدة ، وأنَّ أصل وضع الجملة يشتمل على أصول أخرى مثل الذكر والإظهار والوصل والتضام والربط إلى جانب الرتبة والعامل فهذه الحزمة من الأصول تتضافر ليتكون منها وضع الجملة ، وهذا العدول إما مطرد أو غير مطرد، فإن كان من الضرب الثاني، فالنحويون يسمونه شاذا أو ضرورة أو قليلا أو نادرا أو خطأ ، وكل ذلك فسره الدكتور تمام حسان بالترخص عند أمن اللبس[٤] .

ليس من شأن النحوي أن يحكم على ما يرد في القرآن بأي حكم كان ، فهو كلام الله ولا يمكن إغفال ما يكمن وراء ظاهره من أسرار وحكمة ، وما لسياقه القريب والبعيد من أثر في ذلك ، وليس هو مطالبا

بإبداء تقويمه للنص القرآني مستندا في ذلك إلى ما استقرَّ لديه من أقيسته ، واعتمادا على ما لمحه من كلام الناس [٥].

إنَّ ما ينسجم مع مقتضى علمه هو أن يرصد الظاهرة القرآنية حكما وأسلوبا فيصفها ويضع لها القاعدة التي تستخلص من صورتها وليس من شأنه أن يتجاوز الجانب الوصفي لظاهره ليحكم على القرآن بأي حكم ولاسيما إذا كان هذا الحكم لا ينسجم مع حقائقه ، وإنما يقيمه على ماهو أشيع وأفشى عنده من كلام الناس[٦] .

إنَّ الحكم على القرآن بأي حكم يشاكل ما يحكم به على كلام الناس إنما ينطوي على جعل كلام الله في رتبة كلام الناس ، وحينما يكون هذا الحكم بالشذوذ أو بمخالفة القياس ، أو أنه محمول على الضرورة، أو على التوهم فإنما هو مفض إلى جعله في رتبة دون ما يسلم من ذلك من كلام الناس [٧].

أ ــ ما اتفقا في توجيهه من الأحكام المستخلصة من الشاهد القرآني :

ـ ما يأتي مثنى كناية عن الجمع :

اتفق الفراء مع سيبويه وإن لم يصرح هو بذلك ولكن ماعدَّه سيبويه من مجيء المثنى كناية عن الجمع وافقه فيه وزاد عليه شيئا في الإعراب ؛ لأنَّ المثنى داخل في حيز الجمع وله مصاديق كثيرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوْا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[٨] ومنه قوله تعالى :﴿ إِنْ تَتُوْبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا﴾[٩].

يقول سيبويه : ((وسألت الخليل رحمه الله عن : (ما أحسن وجوههما ؟) فقال: لأنَّ الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردا وبين ما يكون شيئا من شيء وقد جعلوا المفردين أيضا جميعا قال الله جلَّ ثناؤه :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوْا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وقد يثنون ما يكون بعضا لشيء زعم يونس أن رؤبة كان يقول:(ما أحسنَ رأسيْهما)...))[١٠].

فقد ذكر سيبويه قول رؤبة هذا في مقابل قولهم: (ما أحسن وجوههما) إذ يريد أنَّهم وإن عبَّروا عن المثنى بصيغة الجمع بمسوغ إضافته إلى ضمير المثنى فهم قد يُجْرُوْنَ ذلك على ما يقتضيه واقع الحال بدليل القول المنسوب إلى رؤبة ، وليس ثمة مقاربة بين رؤوسهما وهو جمع دال على المثنى والخصم مفرد دال على الجمع بدليل قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ ، ولقد كان الأجدر بالخليل أن يستشهد لما سأل عنه سيبويه بقوله تعالى :﴿ إِنْ تَتُوْبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا ﴾ إذ التماثل ظاهر بين وجوههما وقلوبكما في صيغة الجمع وفي الوزن وفي إضافتهما إلى ضمير المثنى وليس (الخصم) فيه أيٌّ من ذلك ويبدو أنَّ نظير هذا النحو من التعبير (ما أحسن وجوههما) وارد في الاستعمال في غير هذا المثال ، بدليل قول

عبد قيس بن خفاف: [البسيط]

يا صاحبيَّ فَدَتْ نَفسي نُفُوسَكُما

وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لَاقَيْتُمَا رَشَدَا[١١]

مما يدلُّ على أنَّ هذا النحو من التغيير جارٍ في كلامهم نثرا وشعرا ، وليس بوسعنا أن نرجح أحد الوجهين على الآخر فقد عضد ما بدا مخالفا لسياق العبارة بما جاء في كلام الله تعالى وبما رواه سيبويه وبالشاهد الشعري ، أما الوجه الآخر فلا يحتاج إلى دليل أو شاهد إذ هو جارٍ على ما يقتضيه سياق العبارة فضلا عما رواه يونس بن حبيب عن رؤبة .

أما الفراء فقد وقف على قوله تعالى : (خصمان) قائلا إنَّ الرفع على إضمار (نحن خصمان)؛ لأنَّ العرب((تضمر للمتكلم والمكلَّم المخاطب ما يرفع فِعْلَه ولا يكادون يفعلون ذلك بغير المخاطب أو المتكلم من ذلك أن تقول للرجل :(أذاهب)، أو أن يقول المتكلم : (واصلكم إن شاء الله ومحسن إليكم) وذلك أنَّ المتكلم والمكلَّم حاضران فتُعرف معنى أسمائهما إذا تركت وأكثره في الاستفهام يقولون : أجادٌّ ، أمنطلقٌ ، وقد يكون في غير الاستفهام فقوله (خصمان) من ذلك . وقال الشاعر: [الطويل]

وقولا إذا جاوزتما أرض عامرٍ

وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما

نزيعان من جرم بن زبان إنهم

أبوا أن يميروا في الهزاهز محجما

وقال الآخر : [الطويل]

تقول ابنة الكعبي يوم لقيتها

أمنطلق في الجيش أم متثاقلُ

وقد جاء في الآثار للراجع من سفر :(تائبون آيبون ، لربنا حامدون) وقال من أمثال العرب: (محسنة فهيلي) ... ولو جاء في الكتاب : خصمين بغى بعضنا لكان صوابا بضمير أتيناك خصمين ، جئناك خصمين فلا تخفنا))[١٢] .

ويقول النحاس (ت٣٣٨هـ) : ((وقال (خصمان) لأنَّ قبله (إذ تسوَّروا المحراب) ؛ لأنَّ الاثنين جمع قال الخليل رحمه الله كما تقول : نحن فعلنا إذا كنتما اثنين ، وقال الكسائي : جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبّر الاثنان عن أنفسهما فقالا (خصمان) قال أبو إسحاق : أي نحن خصمان ، وقال غيره : القول محذوف أي : يقول خصمان قال أبو إسحاق : ولو كان بالنصب خصمين لجاز أي أتيناك خصمين))[١٣] .

ويرى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنَّ رفع (خصمان) على أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : نحن خصمان أما دلالة (خصمان) ((الخصم : الخصماء ، وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف ، قال تعالى:(حديث ضيف إبراهيم المكرمين)[١٤] لأنه مصدر في أصله تقول : خصمه خصما كما تقول : ضافه ضيفا ، فإن قلت هذا جمع وقوله (خصمان) تثنية فكيف استقام ذلك ؟ قلت : معنى خصمان : فريقان خصمان))[١٥]

وإلى مثل هذا ذهب أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) فعد الخصم مصدرا يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث فجمع حملا على المعنى ورفعه على تقدير حذف المبتدأ[١٦].

ولو استعنا بالمنهجين التاريخي والمقارن لتفسير بعض هذه التراكيب الدَّالة على التثنية لوجدنا أنَّها

ظاهرة لغوية وجدت في العربية وفي غيرها من اللُّغات السامية، وفي اللغة اليونانية، والسنسكريتية، ولها آثار في اللُّغات الجرمانية،بل هي ظاهرة عربية قبل أن تكون سامية[١٧].لأنَّ اللُّغةَ العربية احتفظت من بين أخواتها الساميات بالتثنية منذ أقدم عصورها حتى الآن، وأنَّ العربية القديمة حتّى زمن القرآن وبعده لم تكن تراعي المثنى من حيث ما يسمى نظام تأليف الجملة، وذلك بسبب أن (المثنى) داخل في حيز الجمع، وبذلك عومل في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم هذه المعاملة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[١٨]. فلم يراعِ أنَّ أحد المتعاطفين وهو مسند إليه جمع، وذلك أنَّ الفعل وهو طرف في الإسناد قد تحمَّل ضمير التثنية وقوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾[١٩]، فلم تتم المطابقة والنحوي القديم الذي لم يعرف المنهج التاريخي استند إلى التأويل وقضى بأنَّ لفظة (كلا) و(كلتا) مفرد،وقد حمل على اللفظ، والحمل على اللفظ أفصح وأكثر[٢٠] .

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: ((وعدم المراعاة ربما جاءت من أنَّ المثنى داخل في حيِّز الجمع، وبذلك عومل في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، غير أنَّ العربية الفصيحة قد حافظت على المثنى في الفترة التي تبعت المدة الإسلامية، وحين تقدم النثر العربي ونشأ ما اصطلح عليه النقاد المحدثون بـ(النثر الفني)، ومن أجل ذلك قَلَّ أنْ نَجِدَ هذا التردد في الأساليب الكلامية في هذه المدة بين التثنية والجمع))[٢١].

ـ عمل (إذن) المسبوقة بالفاء أو الواو :

ومما وافق فيه الفراء سيبويه هو مسألة إعمال (إذن) وهي أحد الأحرف التي تنصب الفعل المضارع وتنقل الفعل أو تخصصه للاستقبال وهي حرف جواب وجزاء ، فتدخل على الفعل في ابتداء الجواب فتنصبه كقولنا : (إذن أكرمَك) في جواب : (أنا أزورك) ، وتأتي مسبوقة بالواو أو الفاء وجاءت في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن مسبوقة بالفاء وهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُوْنَ النَّاسَ نَقِيْرًا﴾[٢٢] ، ومسبوقة بالواو في موطنين أحدهما قوله تعالى :﴿ وَإِذًا لَا يَلْبَثُوْنَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيْلًا ﴾[٢٣] والآخر قوله تعالى : ﴿ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُوْنَ إِلَّا قَلِيْلًا﴾[٢٤] ، فيجوز إعمالها وإلغاؤها باعتبارين مختلفين فإن عطفت بالواو أو الفاء ألغي عمل (إذن) وعطف الفعل على ما قبله وصار واقعا موقعه ، وإن عدت مستأنفة أعملت (إذن) ونصب بها الفعل والأول أفصح [٢٥].

يقول سيبويه : ((اعلم أنَّ (إذن) إذا كانت بين الفاء والواو وبين الفعل فإنَّك فيها بالخيار إن شئت أعملتها كإعمالك (أُرى) و (حسبت) إذا كانت واحدة منهما بين اسمين ، وذلك قولك: (زيدا حسبت أخاك) ، وإن شئت ألغيت (إذن) كإلغائك حسبت إذا قلت:(زيدٌ حسبتُ أخوك)..))[٢٦].

أما الفراء فقد فصل في بيان الدلالة التي ترتبت على كل من الحالتين إذ يقول : ((فإذا كان فيها فاء أو واو أو ثم أو (أو) حرف من حروف النسق ، فإن شئت كان معناها معنى الاستئناف فنصبت بها أيضا ، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها

منقولتين عنها إلى غيرها[٢٧] والمعنى في قوله : (وإذا لا يؤتون) على : فلا يؤتون الناس نقيرا إذن)) [٢٨].
وزاد المبرد الجزم عطفا على الفعل المجزوم المتقدم فضلا عن حكمي الرفع والنصب إذ يقول: ((واعلم أنها إذا وقعت بعد واو أو فاء صلح الإعمال فيها والإلغاء ... وذلك قولك : (إن تأتني آتك وإذن أكرمك) إن شئت رفعت ، وإن شئت نصبت ، وإن شئت جزمت . أما الجزم فعلى العطف على (آتك) ، وإلغاء (إذن) ، والنصب على إعمال (إذن) ، والرفع على قولك : (وأنا أكرمك)، ثم أدخلت (إذن) بين الابتداء والفعل ، فلم تعمل شيئا))[٢٩]، والرفع في كل ذلك أجود مرجح من قبل العلماء ؛ لأنه لغة القرآن التي قرأ بها القراء السبعة [٣٠]، فهذا مثال آخر من الأمثلة التي وافق فيها الفراء سيبويه وإن لم يصرح بموافقته؛ وذلك لأنه يعدّ نفسه ندًّا لسيبويه ولهذا لا نجد ذكرا لسيبويه في كتابه فهو يحاول أن يخفي تأثره بسيبويه والخليل، وكل ما يمت لسيبويه بسبب حتى يستقيم له أمر ترؤس مدرسة الكوفة آنذاك، ويعلي من شأن الكسائي فيكثر من ذكره .

ـ دخول اللام الموطئة للقسم على (ما) الموصولة :

أصدر سيبويه والفراء أحكاما معيارية في توجيه اللام الداخلة على (ما) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾[٣١] فقيل بأنَّ هذه اللام المفتوحة هي اللام الموطئة للقسم ، أو المشعرة به؛ لأنَّ أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف، وقيل هي للابتداء التي يتلقى بها القسم [٣٢]

يقول سيبويه: ((وسألته أي الخليل عن قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ فقال : ما ههنا بمنزلة الذي ودخلتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت : والله لئن فعلت لأفعلنَّ ، واللام التي في ما كهذه التي في إنْ واللام التي في الفعل كهذه التي في الفعل هنا))[٣٣].
أمَّا الفراء فاستند إلى قراءة من قرأ بكسر اللام فحينئذ تكون اللام حرف جر وما بعده مجرور، أو تكون اللام مفتوحة وحينئذ تكون موطئة للقسم[٣٤] فيوافق سيبويه فيها يقول: (لِما آتيتكم)، قُرئت بكسر اللام،يريد أخذ الميثاق للذين آتاهم، ثم جعل قوله (لتؤمنن به) من الأخذ[٣٥] كما تقول: أخذت ميثاقك لتعملنَّ؛ لأنَّ أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف ومن نصب اللام في (لما) جعل اللام لامًا زائدة إذ أُوقِعت على جزاء[٣٦] صيّر على جهة فعل وصيّر جواب الجزاء باللام وبإن وبلا وبما فكأنَّ اللام يمين إذ صارت تلقى بجواب اليمين وهو وجه الكلام[٣٧].
فنلاحظ مسألة مهمة وهي أنَّ كلمة (الحلف) قد وردت في كلام الخليل الذي أورده سيبويه في كتابه واستعاض عنها الفراء بقوله (استحلاف) وهذا إن يدلُّ على شيء إنما يدل على أنَّ الفراء قد نظر في كتاب سيبويه وإلا فلماذا ذكر هذه اللفظة الواردة في جواب الخليل ولم يذكر القسم أو اليمين ؟؟ وعلى كل حال، فالفراء وافق سيبويه وأستاذه الخليل في عدّ اللام موطئة للقسم أو مشعرة به وزاد عليهما بأنها حرف جر مكسور وموجها معناها .

وردَّ ابن هشام (ت٧٦١هـ)على العكبري(ت٦١٦هـ) إعرابه (ما) موصولة، وهي مبتدأ خبرها (من كتاب)، أو(ما) شرطية مفعول به لآتيت، إذ يقول: ((وأما أبو البقاء، فإنه قال في قوله تعالى : ﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ من فتح اللام، ففي ما وجهان :

أحدهما : أنها موصولة مبتدأ والخبر إما (من كتاب) أي لَلذي آتيتكموه من الكتاب ، أو (لتؤمنن به) واللام جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم، و (جاءكم) عطف على (آتيتكم)، والأصل: ثم جاءكم به ، فحذف عائد ما ، أو الأصل مصدق له، ثم ناب الظاهر عن المضمر، أو العائد ضمير(استقر) الذي تعلقت به مع ، والثاني : أنها شرطية، واللام موطئة، وموضع (ما) نصب بآتيت، والمفعول الثاني ضمير المخاطب ... وفي كلامه أمور :

أحدها : أنَّ إجازته كون (من كتاب) خبرا فيه الإخبار عن الموصول قبل كمال صلته؛ لأن (ثم جاءكم) عطف على الصلة .

والثاني : أنَّ تجويزه كون (لتؤمنن) خبرا مع تقديره إياه جوابا لأخذ الميثاق يقتضي أن له موضعًا، وأنه لا موضع له، وإنما كان حقه أن يقدره جوابا لقسم محذوف، ويقدر الجملتين خبرا ، وقد يقال : إنما أراد بقوله(اللام جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم) أن أخذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين الخبر ، وإنما جعل (لتؤمنن) خبرا؛ لأنه الدال على المقصود بالأصالة لا أنه وحده هو الخبر بالحقيقة، وأنه لا قسم مقدر، بل أخذ الله ميثاق النبيين هو جملة القسم ، وقد يقال : لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكره للاتفاق على أن وجود المضارع مفتتحا بلام مفتوحة مختتما بنون مؤكدة دليل قاطع على القسم ، وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه .

والثالث : أن تجويزه كون العائد ضمير (استقر) يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معا، فإنه عائد إلى الموصول .

والرابع : أنه جوز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور .

والخامس : أنه سمى ضمير(آتيتكم) مفعولا ثانيا وإنما هو مفعول أول))[٣٨].

- مجيء الاسم الموصول (ما) مفعولا لقول محذوف :

لقد قدَّر سيبويه وتبعه الفراء وجود قول محذوف واقع خبرا هو الناصب للاسم الموصول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ اتخذوا مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾[٣٩]فـ(الَّذِيْنَ) مبتدأ وجملة (مَا نَعْبُدُهُمْ) مفعول به لقول محذوف هذا القول هو خبر الاسم الموصول يقول سيبويه : ((كأنَّه قال والله أعلم : قالوا ما نعبدهم ... ومثل ذلك كثير في القرآن))[٤٠].

ويقول الفراء ((وقوله : ﴿ وَالَّذِيْنَ اتخذوا مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ الذين في موضع رفع بقول مضمر والمعنى : والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون لأوليائهم وهي الأصنام : ما نعبدكم إلا لتقربونا إلى الله، وكذلك في حرف أُبَيّ، وفي حرف عبد الله (قالوا ما نعبدهم)، والحكاية إذا كانت بالقول مضمرا أو ظاهرا جاز أن يجعل الغائب كالمخاطب، وأن تتركه كالغائب))[٤١] .

وهذا التقدير قد تناوله من بعدهم المفسرون

والمعربون للقرآن الكريم بشيء من التفصيل يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ): ((والذين مبتدأ واحتمل أن يكون الخبر قال المحذوف المحكي به قوله (ما نعبدهم) أي والمشركون المتخذون من دون الله أولياء قالوا : ما نعبد تلك الأولياء (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) واحتمل أن يكون الخبر (إنَّ الله يحكم بينهم) وذلك القول المحذوف في موضع الحال أي : اتخذوهم قائلين ما نعبدهم وأجاز الزمخشري أن يكون الخبر (إن الله يحكم) وقالوا المحذوفة بدل من (اتخذوا) صلة (الذين) فلا يكون له موضع من الإعراب وكأنَّه من بدل الاشتمال))[٤٢].

وقد ذهب الطباطبائي إلى أنَّ الوثنية يرون أنَّ الله أجل من أن يحيط به الإدراك الإنساني فمن الواجب أن نتقرب إليه بمقربيه ونتخذهم أربابا يقربوننا زلفى ولذلك عقب اتخاذ الأولياء بذكر العبادة فقوله (الذين) مبتدأ خبره (إن الله يحكم) والمراد بهم المشركون القائلون بربوبية الشركاء وإلوهيتهم دون الله [٤٣].

بـ ما اختلف فيه الفراء مع سيبويه في توجيهه من الأحكام المستخلصة من الشاهد القرآني:

ـ الحمل على إنَّ بحكمين حسن وضعيف :

لقد ذكر سيبويه بابا بعنوان (هذا باب ما يكون محمولا على إنَّ فيشاركه فيه الاسم الذي وليها ويكون محمولا على الابتداء) يقول فيه : ((فأمَّا ما حمل على الابتداء فقولك : (إنَّ زيدا ظريفٌ وعمروٌ) و(إنَّ زيدا منطلقٌ وسعيدٌ) فعمرو وسعيد يرتفعان على وجهين فأحد الوجهين حسنٌ والآخر ضعيف ، فأمَّا الوجه الحسن فأن يكون محمولا على الابتداء ؛ لأنَّ معنى (إنَّ زيدا منطلقٌ) زيد منطلق ، وإنَّ دخلت توكيدا ، كأنَّه قال : زيد منطلق وعمرو وفي القرآن مثله :﴿ إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلُهُ ﴾[٤٤]، وأمَّا الوجه الآخر الضعيف فأن يكون محمولا على الاسم المضمر في المنطلق والظريف فإذا أردت ذلك فأحسنه أن تقول:(منطلق هو وعمرو) و (إنَّ زيدا ظريف هو وعمرو) وإن شئت جعلت الكلام على الأول فقلت (إنَّ زيدا منطلق وعمرا ظريف) فحملته على قوله عز وجل:﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرَ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[٤٥] ، وقد رفعه قوم على قولك : (لو ضربتَ عبدَ الله وزيدٌ قائمٌ ما ضرَّكَ) أي : لو ضربت عبد الله وزيد في هذه الحال كأنَّه قال : ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر هذا أمره ما نفدت كلمات الله)) [٤٦] ، وقد علق السيرافي (ت ٣٦٨هـ) على هذا الكلام بأنَّ سيبويه كان يجب عليه أن يفسر رفع (البحر) بالحال لأنَّ حمل رفع البحر على موضع (أنَّ) لا يحسن؛ لأنَّ (لو) لا يليها الابتداء[٤٧] فأنَّ وما بعدها فاعل لفعل محذوف والتقدير : لو ثبت أنّ، والآية في المصحف برفع (البحر) وتوجيهها أنه مبتدأ خبره جملة (يمده) أو معطوف على موضع أنَّ ومعمولها إذ هو مرفوع على الفاعلية كما تقدم ، والنصب عطفا على اسم أنَّ وسيبويه أصدر حكما بتضعيف من عطف على الضمير المستكن في المشتق وليس ثمة مشتق يعطف على ضميره فلا بد من أن يبين حالة الرفع التي وردت في النص القرآني فالسيرافي محق في اعتراضه هذا .

أمَّا الفراء فقد ذكر الوجهين وانتصر للرفع قائلا : ((وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ ترفع (البحر)[٤٨] ولو نصبته كان صوابا ...والشيء إذا مدَّ الشيء فزاد فكان زيادة فيه فهو يمده تقول (دجلة تمدُّ بئارنا وأنهارنا والله يمدنا بها) وتقول: (قد أمددتك بألف فَمَدُّوكَ) يقاس على هذا كل ما ورد)) [٥٠].

وكلام الفراء أقرب إلى روح العربية إذ لم يقدر فعلا ولم يلوِ النص عن وجهه، فقد اشترط البصريون أنَّ (لو) لا يليها إلا الفعل ولا يليها الاسم إلا في ضرورة الشعر أو نادر الكلام يقول المبرد (ت٢٨٥هـ) : ((و(لو) لا يليها إلا الفعل مضمرا أو مظهرا ؛ لأنَّها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل وجوابه تقول: (لو جئتني لأعطيتك) فهذا ظهور الفعل وإضماره قوله عز وجل : (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي)[٥١] والمعنى والله أعلم : لو تملكون أنتم ، فهذا الذي رفع أنتم ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره ومثل ذلك : (لو ذات سوار لطمتني) أراد لو لطمتني ذات سوار))[٥٢] وسار الزجاج (ت٣١١هـ) والزمخشري وغيرهما من النحويين والمعربين في هدي هذه القاعدة المعيارية في رفض مجيء ما بعد لو اسما ووجوب وجود فعل منتزع من السياق أو وجود فعل يدل على المحذوف إذ يقول الأخير منهما : ((لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في (لو أنتم تملكون)، وتقديره : لو تملكون أنتم تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو (أنتم) لسقوط ما يتصل به من اللفظ فـ(أنتم) فاعل الفعل المضمر، و(تملكون) تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب)) [٥٣] .

ويرى الدكتور خليل بنيان أن ما يرد مذهب النحويين ويبطله إبطالا هو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ ((فإنَّ ما في الآية ليس اسما مشبها للفعل كنحو (حاضري) وإنما هو اسم جامد محض في أسميته، ومن هنا فإن القول بلزوم أن يكون الخبر فعلا محضا لتتضح منه دلالة الامتناع إنما هو إغراق في التخيل ومثل ظاهر على إطلاق النحويين الأحكام دون أن يسبق ذلك استيعاب وافٍ لكل ما يتمثل في القرآن من الظواهر))[٥٤].

ويبدو أن هذا التركيب كان شائعا عند العرب وهو مجيء الاسم بعد لو مرفوعا أو في محل رفع، وأنَّ وجه النصب قد أجازه النحويون اعتمادا على القياس النظري، واحتكاما إلى نظرية العامل وما تجر إليه من تقدير وإضمار وقد اختلفت أحكامهم تبعا لمبدأ التأويل .

ـ حذف المستثنى منه تخفيفا :

عقد سيبويه بابا لحذف المستثنى منه، ذكر فيه جملة من الشواهد المصنوعة والشعرية وشاهدا قرآنيا أوحد، وخالفه فيه الفراء من حيث التوجيه الدلالي، وملاك الأمر فيه هو حذف الاسم الموصوف لدلالة الصفة عليه، قال : ((هذا بابٌ يحذف المستثنى فيه استخفافا، وذلك قولك: (ليس غير) و(ليس إلا) كأنَّه قال : ليس إلا ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنهم

حذفوا (ذاك) تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني ، وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : (ما منهم مات حتى رأيتُه في حال كذا) وإنَّما يريد : ما منهم واحد مات. ومثل ذلك قوله تعالى جده :﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٥٥] ومثل ذلك من الشعر قول النابغة : [الوافر]

كأنَّك من جمالِ بني أُقيشٍ

يُقعقَعُ خلفَ رجليه بشَنِّ[٥٦]

أي : كأنَّك جمل من جمال بني أقيش ، ومثل ذلك أيضًا قوله : [الرجز]

لو قلتَ ما في قومها لم تيثَمِ

يفضُلُها في حسبٍ وميْسمِ[٥٧]

يريد : ما في قومها أحدٌ ، فحذفوا هذا كما قالوا : (لو أنَّ زيدا هنا) وإنما يريدون : لكان كذا وكذا ، وقولهم : (ليس أحدٌ) أي ليس هنا أحد فكل ذلك حذف تخفيفا واستغناء بعلم المخاطب بما يعني)) [٥٨].

واستخلص الفراء معنيين من سياق الآية المباركة بين فيهما مخالفته لسيبويه ولتوجيهه المتقدم، قال: ((أحدهما : أن تكون الهاء في موته لعيسى يقول : يؤمنون إذا أنزل قبل موته، وتكون الملة والدين واحدا ، ويقال : يؤمن كل يهودي بعيسى عند موته ، وتحقيق ذلك في قراءة أُبَيّ (إلا ليؤمنُنَّ به قبل موتهم)))[٥٩].

- المعنى وأثره في تقدير المحذوف :

لجأ النحويون إلى تقدير كثير من الألفاظ في التراكيب القرآنية ، وهذا ما ذهب بهم إلى فهم خاص للنص القرآني، وبزعم ما ليس فيه مما يبعده عن دلالته الحقيقية، والذهاب ببلاغته المستوحاة من حدود ظاهره ويعدل به عن معناه المطلوب ، وقد قسم السيوطي (ت٩١١هـ) الحذف في القرآن الكريم على أربعة أنواع : الاقتطاع ، والاكتفاء والاحتباك ، والاختزال، والذي يهمنا منها هو الأخير، وهو على أقسام أيضا ؛ لأنَّ المحذوف إما اسم أو فعل أو حرف ، والاسم كأن يحذف المضاف أو المضاف إليه أو المبتدأ أو الخبر ، أو الموصوف أو الصفة أو المعطوف عليه أو المعطوف[٦٠].

وقد ذكر سيبويه تحت باب (اشتراك الفعل في أنْ وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه أنْ) قال : ((أريدُ أن تأتيني فتشتمني ، لم يرد الشتيمة، ولكنَّه قال : كلما أردت إتيانك شتمتني هذا معنى كلامه ... وقال الله عز وجل :﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الأَرحامِ ﴾[٦١] أي ونحن نقرُّ في الأرحام ؛ لأنَّه ذكر الحديث للبيان، ولم يذكره للإقرار)) [٦٢].

أما الفراء ، فقد ذهب إلى أنَّ الرفع على الاستئناف ولم يقدر محذوفا إذ يقول:((وقوله:﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الأَرحامِ ما نشاءُ ﴾ استأنف (ونقرُّ في الأرحام) ولم يردُّها على (لنبين)..)) [٦٣].

وقد دافع السيرافي عن وجهة نظر سيبويه بعدم صحة نصب (نقر) وحمله على (نبين) وحجته في ذلك أنَّ الله عز وجل قال في كلام متقدم من النص المقدس أنه خلق الإنسان من تراب ونقله من حال إلى حال وهم معترفون بذلك ليبين به البعث الذي لا يعترفون به فقال عز من قائل (إن كنتم في ريب من البعث) فبين جلَّ ثناؤه بقدرته على هذه الأحوال التي يعترفون بها قدرته على البعث؛ لأنه إحياء ما قد

بلي ورمَّ وصار ترابا من الجلد والعظم وغير ذلك ، ونقله إلى الحياة كنقل التراب إلى الحيوان في الابتداء وذكر الله تبارك وتعالى ذلك لهم ليبين لهم أمر البعث وليس ذكره لذلك ليقرَّ في الأرحام [٦٤].

ونستخلص مما تقدم أن جملة نقر جملة مكتفية بنفسها مع متعلقها في الأرحام وأدت فائدة يحسن السكوت عليها وتنقل إلى السامع فكرة كاملة تامة غير مجتزأة وهي بعيدة عن القيود المنطقية التي رسمها النحويون لها وأوجبوا فيها ذكر أجزاء مظهرة أو مقدرة وتقدير ضمير محذوف قبلها يمسخ النص ويعدل به إلى غير ما سيق لأجله .

. حذف العائد على الموصول :

أشار النحويون إلى مواطن حذف العائد على الاسم الموصول فالعائد إما أن يكون مرفوعا أو غير مرفوع فإن كان مرفوعا لم يحذف إلا إذا كان واقعا مبتدأ وخبره مفرد وقد طالت الصلة به نحو (جاء الذي هو ضارب زيدا) فيجوز حذف الضمير المنفصل (هو) لأنه واقع مبتدأ وخبره مفرد وطالت الصلة به فيجوز أن نقول : (جاء الذي ضارب زيدا) فإن لم تطل الصلة عدَّه البصريون قليلا ، وجوَّزه الكوفيون قياسا أيًّا كان الاسم الموصول ، وسواء أطالت الصلة أم لم تطل ، ودليلهم في ذلك قول الشاعر:[الطويل]

لَا تَنْوِ إِلَّا الَّذِي خَيْرٌ فَمَا شَقِيَتْ
إِلَّا نُفُوْسُ الأُلَى لِلشَرِّ نَاوُوْنَا

وتقديره عندهم : إلا الذي هو خير ، ومنه أيضا قول الآخر :[البسيط]

مَنْ يُعْنَ بِالحَمْدِ لَمْ يَنْطِقْ بِمَا سَفَهٌ
وَلَا يَحِدْ عَنْ سَبِيْلِ المَجْدِ وَالكَرَمِ

وتقديره عندهم : لم ينطق بالذي هو سفه [٦٥].

ذكر سيبويه بابا بعنوان (هذا باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة) وذكر فيه (مَنْ) و (مَا) قائلا : ((إذا بُنِيَ على ما قبله وبمنزلته في الاحتياج إلى الحشو ، ويكون نكرة بمنزلة رجل ، وذلك قولك : (هذا من أعرف منطلقا) و(هذا من لا أعرف منطلقا) ، أي هذا الذي قد علمت إني لا أعرفه منطلقا ، و(هذا ما عندي مهينا) ، وأعرف ولا أعرف وعندي حشو لهما يتمَّان به فيصيران اسما كما كان الذي لا يتم إلا بحشوه . وقال الخليل رحمه الله : إن شئت جعلت (من) بمنزلة إنسان وجعلت (ما) بمنزلة شيء نكرتين ، ويصير منطلق صفة لمن ومهين صفة لما ، وزعم أن هذا البيت عنده مثل ذلك ، وهو قول الأنصاري : [الكامل]

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا
حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَـــــــــــــــا))[٦٦].

والشاهد في البيت كما خرّجه السيرافي هو جعل (غيرنا) نعتا لـ(من) بعدِّها نكرة مبهمة موصوفة وصفا لازما يكون لها كالصلة للموصول ويجوز رفع (غير) بعدِّ (من) موصولة وحذف عائد الصلة وتقديره (من هو غيرُنا)[٦٧]، ويصدر سيبويه حكما يضعف فيه رفع غير من دون أن يُذْكَرَ العائد إذ يقول : ((واعلم أنَّ كفى بنا فضلا على من غيرُنا أجودُ وفيه ضعفٌ إلا أن يكون فيه هو؛ لأنَّ هو من بعض الصلة، وهو نحو : (مررت بأيُّهم أفضلُ) وكما قرأ بعض

الناس هذه الآية :﴿ تماما على الذي أحسنُ ﴾ [٦٨] ، واعلم أنَّه يقبح أن تقول : (هذا من منطلق) إذا جعلت المنطلق حشوا أو وصفا فإن أطلت الكلام فقلت : (من خير منك) حسن في الوصف والحشو)) [٦٩].

وملاك الأمر لدى سيبويه والبصريين عامَّة هو أنَّ حذف صدر الصلة مشروط بأن يكون الاسم الموصول هو (أي) لا غير ، وأن يكون المحذوف مبتدأ خبره مفرد ، وأن تطول الصلة به وهذا ما لم يوافقه عليه أبو زكريا الفراء والكوفيون عامةً إذ يقول الفراء : ((تماما على المحسن ، ويكون المحسن في مذهب جمع كما قال:(إنَّ الإنسان لفي خسر) ، ... وإن شئت جعلت (الذي) على معنى (ما) [٧٠] تريد : تماما على ما أحسن موسى ، فيكون المعنى : تماما على إحسانه ، ويكون (أحسن) مرفوعا ، تريد على الذي هو أحسن ، وتنصب (أحسن) ها هنا تنوي بها الخفض ؛ لأنَّ العرب تقول : (مررت بالذي هو خير منك ، وشرٌّ منك) ولا يقولون : (مررت بالذي قائم)؛ لأنَّ (خيرا منك) كالمعرفة إذ لم تدخل فيه الألف واللام ، وكذلك يقولون : (مررت بالذي أخيك ، وبالذي مثلك) إذا جعلوا صلة الذي معرفة أو نكرة لا تدخلها الألف واللام جعلوها تابعة للذي،أنشدني الكسائي : [الرجز]

إنَّ الزُّبيريَّ الذي مِثْلَ الحَلَمْ

مَشَّى بِأسلابك في أهل العَلَم))[٧١].

فهذه الشواهد المتقدمة المصحوبة برأي الكوفيين ضعفها ابن جني (ت٣٩٢هـ) وحجته في ذلك أن حذف العائد يكون في الهاء المنصوبة بالفعل؛ لأنها فضلة، أما المبتدأ وهو واقع صلة، فلا يصح ذلك،وقد ضعّف رأي من رفع (أحسنُ) في قوله تعالى:﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾[٧٢] ،إذ يقول : ((هذا مستضعف الإعراب عندنا لحذفك المبتدأ العائد على الذي ؛ لأنَّ تقديره : (تماما على الذي هو أحسن)، وحذف (هو) من هنا ضعيف؛ وذلك أنَّه إنَّما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو: (مررت بالذي ضربت) أي : ضربته ، و(أكرمت الذي أهنت) أي : أهنته ، فالهاء ضمير المفعول ومن المفعول بدٌّ وطال الاسم بصلته ، فحذفت الهاء لذلك ، وليس المبتدأ بنيف، ولا فضلة فيحذف تخفيفا لاسيما وهو عائد الموصول، وأنَّ هذا قد جاء نحوه عنهم ، حكى سيبويه عن الخليل : (ما أنا بالذي قائل لك شيئا وسوءا) أي: بالذي هو قائل))[٧٣].

ويقول الرضي (ت٦٨٦هـ): ((ويشترط في المبتدأ المحذوف ألَّا يكون خبره جملة ولا ظرفا ولا جارًّا ومجرورًا إذ لو كان أحدها لم يعلم بعد الحذف أنَّه حذف شيء إذ الجملة والظرف يصلحان مع العائد فيهما لكونهما صلة وإذا حصل المبتدأ المشروط فالبصريون قالوا : إن كان في صلة (أي) جاز الحذف بلا شرط آخر نحو قوله تعالى:﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ على الرَّحمنِ عِتِيًّا ﴾[٧٤] ، وقوله :

﴿إِذَا مَا لَقِيْتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ﴾[٧٥]

لحصول الاستطالة في نفس الموصول بسبب الإضافة وإن لم تطل الصلة ، وقال أبو حيان: لأنَّها لها من التمكن ما ليس لأخواتها فلهذا تضاف وتعرب فتُصرِّفَ في صلتها أيضا بحذف بعضها ، وإن لم يكن في صلة (

أي) لم يحذف إلا بشرط استطالة الصلة كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [٧٦] ، طالت الصلة بالعطف عليها ، وأمَّا الكوفيون، فيجوزون الحذف، بلا شذوذ مطلقا، في صلة (أي) كان، أو في غيرها، مع الاستطالة أو بدونها،...، ونظيره : (ما أنا بالذي قائل لك شيئا)))[٧٧]. وقد عدَّ ابن يعيش هذا الحذف قبيحا جدًّا، قال : ((ومثله قوله تعالى : ﴿تماما على الذي أحسنُ ﴾ برفع (أحسن) على تقدير : الذي هو أحسنُ ... وهو قبيح جدًّا ؛ لحذف ما ليس بفضلة))[٧٨]،فرأي البصريين غدا واضحا في تضعيف هذه النصوص وتقبيحها، وما ذلك إلا تزمتا بما ذكره سيبويه من قبل؛كي يفوتوا الفرصة على الكوفيين في إجازة هذا التركيب الذي يؤيده الاستعمال العربي انتصارا لمذهبهم وحتى تستقيم قاعدتهم التي أقروها، ولا نعلم ما الداعي للاستطالة، وعدم الاستطالة إذا كان المعنى قد وضح في ذهن المخاطب، وتم به المعنى؟ ، ثم ما الذي يحصل إن جاء الاسم الموصول (أي)، أو غيره ؟ أفلا يقرون أنَّ (من) و (ما) تأتي بمعنى (الذي) ، وهم لا يقبلون ما جاء أصلا من الأسماء الموصولة، وهو (الذي) وقد حذف صدر صلته كما في النصوص المتقدمة ؟

وقد فصّل القول في ذلك أبو حيان إذ ذهب إلى أن (الذي) يحتمل أن يكون موصولا دالا على العاقل ، ويحتمل أن يكون موصولا دالا على غير العاقل ، وتحتمل (أن) كونها مصدرية، ونسب ذلك إلى نحاة الكوفة، وعَدَّ(أحسن) فعلا ماضيا تحمَّل ضميرا عائدا على (الذي)، إذ تفسيره: و(الذي أحسن) جنسٌ أي : (على من كان محسنا من أهل ملته) قالَهُ مجاهد، أي: إتماما للنعمة عندهم . وقيل : المراد بالذي أحسن مخصوص. فقال الماوردي : كانت نبوة موسى نعمة على إبراهيم؛ لأنه من ولده ، والإحسان للأبناء إحسان للآباء . وقيل : موسى ،عليه السلام، تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ، وفي كل ما أُمِرَ بهِ ، و(الذي) في هذه التأويلات واقعة على من يعقل ، وقال ابن الأنباري : تماما على الذي أحسن موسى من العلم وكتب الله القديمة ... و(الذي) في هذا التأويل واقعة على غير العاقل . وقيل : (الذي) مصدرية وهو قول كوفي، وفي (أحسن) ضمير موسى ، أي : إتماما على إحسان موسى بطاعتنا، وقيامه بأمرنا ونهينا ... وقيل : الضمير في (أحسن) يعود على الله تعالى وهذا قول ابن زيد ، ومتعلق الإحسان إلى أنبيائه ، أو إلى موسى قولان وأحسن ما في هذه الأقوال كلها فعل ، وقال بعض نحاة الكوفة : يصح أن يكون(أحسن) اسما وهو أفعل التفضيل وهو مجرور صفة لـ(الذي) وإن كان نكرة من حيث قارب المعرفة إذ لا يدخله(أل) كما تقول العرب : (مررت بالذي خير منك) ولا يجوز (مررت بالذي عالم) ، وهذا سائغ على مذهب الكوفيين في الكلام وهو خطأ عند البصريين ... وقال التبريزي : (الذي) هنا بمعنى الجمع و(أحسن) صلة فعل ماض حذف منه الضمير وهو الواو فبقي (أحسن) أي : على الذين أحسنوا ، وحذف هذا الضمير والاجتزاء بالضمة تفعله العرب))[٧٩].

. العطف على المنادى العلم المبني :

قال سيبويه نقلًا عن الخليل:إن من قال : (يا زيدُ والنضرَ) فإنَّما نصب؛ لأنَّ هذا كان من المواضع التي يُرَدُّ فيها الشيء إلى أصله، فأمَّا العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: (يا زيدُ والنضرُ)، ومنهم من رفع (الطير) في قوله تعالى : ﴿ يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ﴾[٨٠] ، ويقولون :(يا عمرُو والحارثُ) ، وقال الخليل : هو القياس كأنَّه قال : ويا حارثُ ، ولو حمل الحارثُ على (يا) كان غير جائز البتَّةَ نصب أو رفع ، من قبل أنَّك لا تنادي اسما فيه الألف واللام بيا ، ولكنَّك أشركت بين النضر والأول في (يا) ولم تجعلها خاصَّةً للنضر كقولك : (ما مررتُ بزيدٍ وعمرٍو) ولو أردت عملين لقلت : ما مررت بزيد ولا مررت بعمر[٨١] ، وذكر السيرافي ما ملخصه: ((الرفع اختيار الخليل ، وذكر أبو العباس أنَّك إذا قلت: يا زيدُ والرجل فالنصب هو الاختيار، وفرق بينه وبين النضر حيث جعل الاختيار فيه الرفع، بأنَّ النضر ونضر علمان وليس في الألف واللام معنى سوى ما كان في نضر والألف واللام في الرجل قد أفادت معنى وهو معاقبة الإضافة فلما كان الواجب في المضاف النصب كان الاختيار فيما هو بمنزلة الإضافة النصب))[٨٢].

وقال الفراء : ((والطير منصوبة على جهتين : إحداهما أن تنصبها بالفعل بقوله :﴿ ولقد آتينا داودَ منَّا فضلا ، وسخرنا له الطيرَ﴾ فيكون مثل قولك : أطعمته طعاما وماء ، تريد : وسقيته ماء، فيجوز ذلك. والوجهُ الآخرُ بالنداء؛ لأنَّك إذا قلت : (يا عمرو والصلت أَقبِلا) نصبت الصلت؛ لأنَّه إنما يدعى بيا أيُّها ، فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنُصِبَ، وقد يجوز رفعه على أن يتبع ما قبله، ويجوز رفعُهُ على : أوِّبي أنت والطيرُ ، وأنشدني بعض العرب في النداء إذا نُصِبَ لفقده يا أيُّها:[الوافر]

أَلَا يَا عَمْرُو وَالضَّحَاكَ سِيْرَا

فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيْقِ

الخمر:ما سترك من الشجر وغيرها، وقد يجوز نصب (الضحاك) ورفعُه، وقال الآخر:[الكامل]* يَا طَلْحَةُ الكَامِلُ وَابْنَ الكامل *

والنعت يجري في الحرف المنادى كما يجري المعطوف : ينصب ويرفع ، ألا ترى أنَّك تقول: (إنَّ أخاك قائم وزيد) ، (وإنَّ أخاك قائم وزيدا) فيُجْرَى المعطوف في إنَّ بعد الفعل مجرى النعت بعد الفعل)) [٨٣].

وقال الزجاج: ((والطيرَ، والطيرُ، فالرفع من جهتين إحداهما : أن يكون نسقا على ما في (أوِّبي) المعنى : يا جبال رجعي التسبيح أنت والطيرُ ، ويجوز أن يكون مرفوعا على البدل، المعنى: يا جبال ويا أيها الطير أوّبي معه ، والنصب من ثلاث جهات : أن يكون عطفا على قوله:(ولقد آتينا داود منا فضلا والطير) ، أي وسخرنا له الطير، حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، ويجوز أن يكون نصبا على النداء، المعنى : معطوفا على موضع الجبال في الأصل، وكل منادى عند البصريين كلهم في موضع نصب ... ويجوز أن يكون (والطيرَ) نصب على معنى (مع) كما تقول:(قمت وزيدا) أي : قمت مع زيد، فالمعنى : أوبي معه ومع الطير))[٨٤].

ويقول الزمخشري : ((وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها ، وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه ، وأن يعطف على فضلا، بمعنى وسخرنا له الطير فإن قلت أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: (وآتينا داود منا فضلا) تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية والكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا ، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا: إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته))[٨٥].

ويقول أبو البركات الأنباري: (((الطير) بالنصب والرفع ، فالنصب من ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون منصوبا بالعطف على موضع المنادى وهو النصب في قوله:(يا جبال)كقولهم:(يا زيدُ والحرث) كالوصف نحو: (يازيد الظريفَ) والثاني: أن يكون منصوبا على أنَّه مفعول معه ، أي مع الطير ، والثالث : أن يكون منصوبا بفعل مقدر وتقديره : وسخرنا له الطير ، ودلَّ على هذا المقدر قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾[٨٦] ، والرفع من وجهين : أحدهما : أن يكون مرفوعا بالعطف على لفظ (يا جبال) كالوصف نحو (يا زيدُ الظريفُ) وإنَّما جاز الحمل على اللفظ ؛ لأنَّه لمَّا اطَّردَ البناء على الضم في كل اسم منادى مفرد أشبه حركة الفاعل فأشبه حركة الإعراب فجاز أن يحمل على لفظه وإلا فالقياس يقتضي ألَّا يجوز الحمل على لفظ المبني في العطف والوصف ، والقراءة بالنصب عندي في القياس من الرفع ، والثاني : أن يكون معطوفا على المضمر المرفوع في (أوِّبي) وحسن ذلك لوجود الفصل بقوله : (معه) والفصل يقوم مقام التوكيد)) [٨٧].

ويقول ابن يعيش (٦٤٣هـ) : ((وأما العطف بحرف فنحو : (يا عمرُو والحارثُ و الحارثَ) إذا عطفت اسما فيه الألف واللام على مفرد جاز فيه وجهان : الرفع والنصب ، تقول في الرفع : (يا زيدُ والحارثُ) وهو اختيار الخليل وسيبويه والمازني ، وقرأ الأعرج : ﴿ يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرُ﴾ ، وتقول في النصب : (يا زيدُ والحارثَ) وهو اختيار أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر وأبي عمرو الجرمي وقراءة العامة ﴿ يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ﴾ بالنصب ، وكان أبو العباس المبرد يرى أنَّك إذا قلت : (يا زيدُ والحارثُ) فالرفع هو الاختيار عنده ، وإذا قلت : (يا زيدُ والرجلَ) فالنصب هو المختار وذلك أن (الحارث) و (حارثا) علمان وليس في الألف واللام معنى سوى ما كان قبل دخولهما ، والألف واللام في (الرجل) قد أفادتا معنى وهو معاقبة الإضافة فلما كان الواجب في الإضافة النصب كان المختار والوجه مع الألف واللام النصب أيضا لأنهما بمنزلة الإضافة فإن عطفت اسما مفردا علما على مثله نحو : (يا زيدُ وعمرُو) لم يكن فيه إلا البناء لأنَّ العلة الموجبة لبناء الاسم الأول موجودة في الثاني لأنَّ حرف العطف أشرك الثاني في حكم الأول ولذلك لو أبدلت الثاني من الأول وهو مفرد لم يكن فيه إلا البناءُ والضمُّ نحو: (يا زيدُ زيدُ) و(يا أخانا خالدُ)

؛ لأنَّ عبرة البدل أن يحلَّ محلَّ الأول لم يكن فيه إلا البناء ولذلك استثناه فقال : إلا البدل))[٨٨].

. العطف على معمول اسم الفاعل المفصول عنه بمعمول المضاف :

قال سيبويه عن العطف على معمول اسم الفاعل المفصول عنه بمعمول المضاف : ((حمله على شيء لو كان عليه الأول لم ينقض الحديث ، والجرُّ في هذا أقوى يعني (هذا ضاربُ زيدٍ وعمرٍو وعمرًا) بالنصب وقد فعل لأنه اسم وإن كان قد جرى مجرى الفعل بعينه ، والنصب في الفصل أقوى إذا قلت : (هذا ضاربُ زيدٍ فيها وعمرًا) كلَّما طال الكلام كان أقوى؛ وذلك أنَّك لا تفصل بين الجار وبين ما يعمل فيه، فكذلك صار هذا أقوى ، فمن ذلك قوله جلَّ ثناؤه : (وجاعلُ الليلِ سكنًا والشّمسَ والقمرَ حُسْبانًا)[٨٩] ، وكذلك إن جئت باسم الفاعل الذي تعدَّى فعلُه إلى مفعولين، وذلك قولك : (هذا معطي زيدٍ درهما وعمرٍو) إذا لم تُجْرِه على الدرهم ، والنصب على ما نصبت عليه ما قبله وتقول : (هذا معطي زيدٍ وعبدَ اللهِ)، والنصبُ إذا ذكرتَ الدرهمَ أقوى؛ لأنَّك قد فصلت بينهما)) [٩٠] .

ويقول الفراء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وجاعلُ الليلِ سكنًا والشّمسَ والقمرَ حُسْبانًا ﴾ ((الليل في موضع نصب في المعنى ، فردَّ الشمس والقمر على معناه، لما فرق بينهما بقوله (سكنا)، فإذا لم تفرق بينهما بشيء آثروا الخفض، وقد يجوز أن ينصب، وإن لم يحل بينهما بشيء ... وتقول: (أنت آخذٌ حقَّك وحقِّ غيرك فتضيف في الثاني، وقد نونت في الأوَّل؛لأنَّ المعنى في قولك:(أنت ضاربٌ زيدًا وضاربُ زيدٍ) سواء،وأحسن ذلك أن تحول بينهما بشيء كما قال امرؤ القيس:[الطويل]

فَظَلَّ طُهَاةُ الَّلحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ

صَفِيْفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ مُعَجَّلِ[٩١]

فنصب الصفيف وخفض القدير على ما قلت لك)) [٩٢].

ويقول الزجاج : (((والشّمسَ والقمرَ حُسْبانًا) النصب في الشمس والقمر هي القراءة، والجر جائز على معنى وجاعل الشمس والقمر حسبانا؛ لأنَّ في جاعل معنى جعل، وبه نصبت(سكنا)، ولا يجوز جاعل الليل سكنا ؛ لأنَّ أسماء الفاعلين إذا كان الفعل قد رفع، أضيفت إلى ما بعدها لا غير، تقول: (هذا ضارب زيد أمس)، فإجماع النحويين أنَّه لا يجوز في زيد النصب ، وعلى ذلك أكثر الكوفيين، وبعض الكوفيين يجيز النصب، فإذا قلت: (هذا معطي زيد درهما)، فنصب الدرهم محمول على أعطى)) [٩٣].

وذهب الزمخشري إلى أن قوله تعالى:﴿والشّمسَ والقمرَ﴾ فيه ثلاث حركات إذ قال:()النصب على إضمار فعل دلَّ عليه جاعل أي : وجعل الشمس والقمر حسبانا ، أو يعطفان على محل الليل، فإن قلت: كيف يكون لليل محل، والإضافة حقيقية؛ لأنَّ اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضيّ ولا تقول: (زيد ضارب عمرا أمس) ؟ قلت : ما هو في معنى المضيّ، وإنَّما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة، وكذلك فالق الحب، وفالق الإصباح كما تقول: (الله قادر عالم)، فلا تقصد زمانا دون زمان، والجر عطف على لفظ الليل، والرفع على الابتداء،

والخبر محذوف تقديره: والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا، ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا: جعلهما على حسبان؛ لأنَّ حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما)) [٩٤].

وكان أبو البركات الأنباري أكثر إيضاحا في إعرابه للنص المتقدم، إذ يقول : ((قُرِئَ جاعلُ الليلِ وجعل الليلَ ، فمن قرأ جاعلُ الليلِ أضاف اسم الفاعل إلى الليل، ويكون سكنا منصوبا بتقدير فعل مقدر وتقديره:(وجعل الليل سكنا)، كالقراءة الأخرى، والليل على قراءة من قرأ وجعل مفعول أول، وسكنا مفعول ثانٍ، والشمسَ والقمرَ منصوبان بتقدير (جعل) على قراءة من قرأ،وجاعل بالعطف على الليل على قراءة من قرأ وجعل الليل، وحسبانا أي ذا حساب ، وهو مفعول ثان وهذا ظاهر)) [٩٥].

ويقول ابن يعيش : ((وأما قوله تعالى ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ جاعلُ الليلَ سكنًا﴾ فإنَّ أكثر النحويين يجعلون ذلك ماضيا؛ لأنَّ الفلق والجعل قد كانا، فعلى هذا يكون نصب (سكنا) وما بعده بإضمار فعل على القول الأول، وبالفعل المذكور على الثاني تحجز الإضافة بينهما ، وكان أبو سعيد السيرافي يجيز أن يكون ذلك للحال والاستقبال ؛ لأنَّ ذلك كلّ يوم يحدث، وعلى هذا يكون (سكنا) منصوبا بالفعل المذكور ، والاسم الأول في معنى منصوب ويكون الشمس والقمر معطوفا على المعنى كما قلنا في : (هذا ضاربُ زيدٍ وعمرًا غدًا) ، وهذا القول يُضَعِّفه قوله :﴿ والشّمسَ والقمرَ حسبانا﴾ ؛ لأنَّه ماض قد كان لا محالة لا يتجدد كلَّ يوم فاعرفه))[٩٦].

الخاتمة :

بعد عرض هذه المسائل النحوية التي احتكم فيها سيبويه والفراء إلى آرائهما الخاصة على اختلاف مدرستيهما، واستخلاص هذه الأحكام من التراكيب التي وردت في القرآن الكريم ،بدا لنا أنَّ اختلافهما في المنهج والهدف قد يُفضي إلى الاختلاف في التوجيه على نحوٍ ما حيث يلتمس كل منهما شاهدا من القرآن لما يتبدى له من الأحكام ولابدَّ من الإقرار أولا إنَّ هذا لا يحصل في كل ما اتفقا على النظر فيه من كلام الله تعالى فقد يكون الحكم ظاهرا ولا يجوز غيره اعتمادا على ما يقتضيه سياق العبارة فلا يكون أبو زكريا الفراء حاذيا حذو سيبويه حينئذ في توجيهه .

ويبدو جليًّا اختلاف المنهج الذي التزمه كلٌّ من سيبويه في كتابه ، وأبي زكريا الفراء في معانيه والهدف الذي طلباه، فضلا على اختلافهما في المذهب النحوي ، فقد حرص سيبويه على استقصاء وجوه التعبير في كلام الناس، والاستشهاد لها بما جاء في كلام الله تعالى، واستخلاص الأحكام النحوية منها ، على حين أنَّ الهدف الذي توخاه أبو زكريا الفراء في كتابه (معاني القرآن) هو الوقوف على ما جاء في القرآن من المعاني سورة سورة ، وينظر في كل سورة، وما ورد فيها من المعاني التي تضمنتها آياتها وما يستخلص منها من الأحكام النحوية واللغوية .

وقد بدا لنا أنَّ الأحكام التي يستخلصها الفراء من النظر في كلام الله تأتي عنده على ضربين:

- ما يوافق فيه الوجه الذي ذكره سيبويه .
- وما ينفرد فيه كل منهما بحسب ما يتراءى له من النص .

كما لا يمكن قبول تحليل بعض النصوص بموجب الذهاب إلى أنه (لايستقيم المعنى إلا بتقديرها)، فهذا قول تنقصه الدقة ولا يمكن القبول به بأي وجه من الأوجه حمل بعض النصوص القرآنية على نصوص من الشعر العربي، فللقرآن مستوى خاص من اللغة وهي لغة الإعجاز الرباني المقدس وهذا يفضي إلى خلط مستويات الأداء المتباينة والتي عدها الدارسون المحدثون من عيوب النحو العربي التي أدت به إلى الاضطراب وتصادم الأقيسة .

وخلاصة الأمر في ذلك أنَّنا وجدنا الفراء قد يتفق مع سيبويه في الأحكام المستخلصة من الشاهد القرآني فمنه ما يتفق معه فيه ومنه ما يختلف معه فيه .

وقد نكون مغالين فيما عرضنا أو مقصرين هنا أو هناك فذلك ما يوجب الاعتذار سلفا والله الموفق وبه نستعين .

الهوامش

١. ينظر : الأصول د. تمام حسان ١٠٧ .

٢. الأصول ، ١١٥ .

٣. الأصول ، ١٢١ .

٤. الأصول ، ١٣٠ ، وينظر : النحويون والقرآن ٢٩٥ .

٥. النحويون والقرآن ٢٩٥ .

٦. النحويون والقرآن ٢٩٦ .

٧. النحويون والقرآن ٢٩٧ .

٨. سورة ص ٢١ ـ ٢٢ .

٩. سورة التحريم ٤ .

١٠. الكتاب ٢/ ٤٨ .

١١. البيت لعبد قيس بن خفاف في خزانة الأدب ٢ / ٥٥٩ .

١٢. معاني القرآن ٢/ ٤٠٢ ، والبيتان بلا نسبة .

١٣. إعراب القرآن ٣/ ٣٠٨ .

١٤. سورة الذاريات ٢٤ .

١٥. الكشاف ٤/ ٧٩ .

١٦. ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٣١٤ .

١٧. ينظر : دراسات في اللغة ٦٨ .

١٨. سورة الأنبياء ٣٠ .

١٩. سورة الكهف ٣٣ .

٢٠. ينظر : همع الهوامع ١/ ١٣٨ .

٢١. دراسات في اللغة ٦٨ .

٢٢. سورة النساء ٥٣ .

٢٣. سورة الإسراء ٧٦ .

٢٤. سورة الأحزاب ١٦ .

٢٥. ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/ ١٣٦، وإعراب القرآن الكريم وبيانه ٢/ ٤١ .

٢٦. الكتاب ٣/ ١٣ .

٢٧. يكون النصب بوقوع تقدير النقل في الجواب بعد الفاء .

٢٨. معاني القرآن ١/ ٢٧٣ .

٢٩. المقتضب ٢/ ١٢ .

٣٠. ينظر : شرح الكافية الشافية ٢ / ٢٤٤ .

٣١. سورة آل عمران ٨١ .

٣٢. ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ١/ ٤٧٣ .

٣٣. الكتاب ٣ / ١٠٧ .

٣٤. ينظر : النشر في القراءات العشر : ١٨١/٢، والحجة للقراء السبعة: ٣٠/٢ .

٣٥. يريد أنه جواب القسم الذي تضمنه قوله : أخذ الله ميثاق النبيين إذ كان ذلك في معنى القسم .

٣٦. يريد أن (ما) في (لما) على هذا شرطية ، واللام موطئة للقسم ، ولذلك أجيبت بما يجاب به القسم في قوله : لتؤمننَّ به .

٣٧. معاني القرآن ١ / ٢٢٥ .

٣٨. مغني اللبيب ١ / ٥٣٢ ـ ٥٣٤ .

٣٩. سورة الزمر ٣ .

٤٠. الكتاب ٣ / ١٤٣ .

٤١. معاني القرآن ٢ / ٤١٤ .

٤٢. البحر المحيط ٧ / ٣٩٨ ، وينظر : مجمع البيان ٨ / ٤٢١ .

٤٣. ينظر : الميزان في تفسير القرآن ١٧ / ٢٤٧ .

٤٤. سورة التوبة ٣ .

٤٥. سورة لقمان ٢٧ .

٤٦. الكتاب ٢ / ١٤٤ .

٤٧. ينظر هامش الكتاب الصفحة نفسها .

٤٨. قرئت بالرفع والنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب ووافقهما اليزيدي .

٤٩. سورة الجاثية ٣٢ .

٥٠. معاني القرآن ٢ / ٣٢٩ .

٥١. سورة الإسراء ١٠٠ .

٥٢. المقتضب ٢ / ٥٧٢ .

٥٣. الكشاف ٢ / ٦٩٦ .

٥٤. النحويون والقرآن ٣٤ .

٥٥. سورة النساء ١٥٩ .

٥٦. البيت في ديوانه ٧٩ .

٥٧. البيت في خزانة الأدب لحكيم بن معية ٢ / ٣١١ .

٥٨. الكتاب ٢ / ٣٤٤، ٣٤٦ .

٥٩. معاني القرآن ١ / ٢٤٩ .

٦٠. ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١١٨ ـ ١٢٠ .

٦١. سورة الحج ٥ .

٦٢. الكتاب ٣ / ٥٢ ـ ٥٣ .

٦٣. معاني القرآن ٢ / ٢١٦ .

٦٤. هامش الكتاب ٣ / ٥٣ .

٦٥. ينظر : شرح ابن عقيل ، وهامش المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد١/١٦٥ــ١٦٦ ، والبيتان بلا نسبة.

٦٦. الكتاب ٢ / ١٠٥ ، والشاهد في خزانة الأدب رقم ٤٣٨.

٦٧. ينظر : هامش الكتاب ٢ / ١٠٥ .

٦٨. سورة الأنعام ١٥٤ ، وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق والحسن والأعمش .

٦٩. الكتاب ٢ / ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٧٠. يريد أن تكون مصدرية .

٧١. معاني القرآن ١ / ٣٦٥ ، والبيت بلا نسبة.

٧٢. سورة الأنعام/١٥٤ .

٧٣. المحتسب ١ / ٣٤٤ ـ ٣٤٥ . ونقل هذا الكلام بنصه أبو علي الطبرسي في مجمع البيان ٤ / ٢١٦ .

٧٤. سورة مريم / ٦٩ .

٧٥. البيت لغسان بن وعلة في الدرر اللوامع ١ / ٢٧٢ .

٧٦. سورة الزخرف ٨٤ .

٧٧. شرح الكافية ٣ / ١١١ ، ١١٢ .

٧٨. شرح المفصل ٢ / ٦٥ .

٧٩. البحر المحيط ٤ / ٢٥٦ .

٨٠. سورة سبأ / ١٠ .

٨١. الكتاب ٢ / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

٨٢. هامش المصدر نفسه ٢ / ١٨٧ .

٨٣. معاني القرآن ٢ / ٣٥٥ ، والبيتان بلا نسبة .

٨٤. معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٥ .

٨٥. الكشاف ٣ / ٥٥٤ .

٨٦. سورة سبأ/١٠ .

٨٧. البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

٨٨. شرح المفصل ١ / ٣٢٨ .

٨٩. سورة الأنعام ٩٦ .

٩٠. الكتاب ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٩١. ديوان امرئ القيس ٦٢/١

٩٢. معاني القرآن ١ / ٣٤٦ .

٩٣. معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٦٩ .

٩٤. الكشاف ٢ / ٤٧ .

٩٥). البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٣٣٢ .

٩٦. شرح المفصل ٤ / ١٠١ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، ضبطه وصححه وخرج آياته : محمد سالم هاشم ، منشورات ذوي القربى، ط١ ، ١٤٢٢هـ، إيران.

٢- الأصول دراسة إبستيمُولوجيَّة للفكر اللغوي عند العرب (النحو ، فقه اللغة ، البلاغة)، د. تمّام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ٢٠٠٤م.

٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، منشورات كمال الملك، ط١، إيران ١٤٢٥هـ.

٤- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ) تحقيق ثلة من الأساتذة ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ط٢ ، بيروت ٢٠٠٧م.

٥- البيان في غريب إعراب القرآن ،أبو البركات كمال الدين بن محمد الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة د. مصطفى السقا، دار الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٩م.

٦- الحجة للقراء السبعة ،أبو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ) تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، نشر مكتبة ، الخانجي القاهرة ١٩٧٧م.

٨- دراسات في اللغة ،د. إبراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين ، ط١،بيروت (د،ت).

٩- دراسات لأسلوب القرآن الكريم،د. محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ، القاهرة (د،ت) .

١٠- ديوان ديوان امرِئ القيس ، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)،اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

١١- شرح الكافية الشافية ، جمال الدين ابن مالك (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق علي محمد معوض ، وعادل عبد الموجود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت ٢٠٠٠م.

١٢- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٤٢٥هـ .

١٣- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشريّ ،(ت٥٣٨هـ)، وبحواشيه (أربعة كتب) رتّبه وضبطه وصحَّحَهُ محمد عبد السلام شاهين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٦م.

١٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، تحقيق هاشم الرسوليّ ، دار إحياء التراث العربيّ ، ط٨ ، بيروت ١٩٩٠م .

١٥- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ،(ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف، دار السرور، مصر(د،ت) .

١٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري ،(ت٧٦١هـ) حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله راجعه سعيد الأفغاني ، مؤسسة الصادق، طهران ١٣٧٨هـ .

١٧- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ،

(ت٢٨٥ هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د ، ت).
١٨- النحويون والقرآن ، د. خليل بنيان الحسون ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط١، عمان ٢٠٠٢م.
١٩- النشر في القراءات العشر ، تأليف الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) قدم له علي محمد الضباع ، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية - بيروت ـ لبنان ط٣ ، ١٤٢٧هـ.
٢٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطيّ ، تحقيق أحمد شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٦م.

اثرُ أسلوبِ تفسير الأمثال القرآنيةُ في تحصيلِ طلاب الخامس الأدبي في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي

The Impact of the Explanation Style to Quranic Proverbs on the Fifth Stage Students' Written Composition and Holistic Thinking

أ.م سيف طارق حسين العيساوي
جامعة بابل
كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية

Assist.Prof .Saif Tariq Mohammed Al-Issawi

ملخص البحث

يعتمدُ التعبير الكتابي اعتمادا كبيرا على درجة ثقافة الطالب وكثرة اطلاعه وقراءته ويعتمد على درجة تدربه على الكتابة ، ويرجع بعض المربين فشل بعض الطلبة دراسيا إلى قلة قدرتهم على التعبير عن أفكارهم، حتى وان كان بعضهم مستوعبا المواد الدراسية ، وعلى الرغم من العوامل والأسباب الكثيرة التي تؤدي إلى ضعف الطلبة في التعبير يرى الباحث أنها تنحصر في أربعة محاور :هي المدرس ،والطالب ،والمنهج الدراسي، والمشرف التربوي فلكل منهم دوره في تدني مستوى الطلبة في التعبير

Abstract

Written composition depends heavily on the degree of student's culture , background and readings as well as practice of writing. Some educators think that the reason of some students' failure is lack of ability to express their ideas, even if they sometimes understand each school subjects. In spite of many causes and factors that lead to students' poor writing , the researcher finds out that they can be confined to four reasons : teacher, student, curriculum, and educational supervisor .Each of them plays a role in the low level of students' writing.

هدفا البحث:

يهدف البحث الحالي إلى :

١- التعرف على اثر أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية) في تحصيل طلاب الخامس الأدبي في التعبير الكتابي

٢- التعرف على اثر أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية) في التفكير الشمولي لدى طلاب الخامس الأدبي

حدود البحث

١. الحدود المكانية : المدارس الإعدادية والثانوية للذكور في مركز محافظة بابل

٢.الحدود الزمانية : العام الدراسي٢٠١٥ /٢٠١٦

٣. الحدود البشرية : طلاب الصف الخامس الأدبي في إعدادية الجهاد للبنين

٤. الحدود المعرفية :مجموعة من الموضوعات التعبيرية تدرس للمجموعتين التجريبية والضابطة، الأمثال القرآنية، التفكير الشمولي.

تحديد المصطلحات:

١. الأمثال القرآنية.،٢. التعبير،٣.التفكير،٤. التفكير الشمولي

نتائج البحث: توصلت نتائج البحث إلى تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي.

وقد أوصى الباحث بوصايا عدة منها:

١. أن ترمي المناهج الدراسية إلى تنمية التفكير والإبداع لدى المتعلمين .

٢. أن تكون عناية المدرس تعليم الطالب كيف يفكّر؟ وليس كيف يحفظ ؟

الفصل الأول

مشكلة البحث، أهميته، أهدافه، مصطلحاته

مشكلة البحث :

يعتمد التعبير الكتابي اعتمادا كبيرا على درجة ثقافة الطالب وكثرة اطلاعه وقراءته ويعتمد على درجة تدربه على الكتابة (إسماعيل ،٢٠٠٥، ص١٨٧)، ويرجع بعض المربين فشل بعض الطلبة دراسيا إلى قلة قدرتهم على التعبير عن أفكارهم، حتى وان كان بعضهم مستوعبا المواد الدراسية. (حمدان وآخرون،١٩٩٠،ص١٤٣) ، وعلى الرغم من العوامل والأسباب الكثيرة التي تؤدي إلى ضعف الطلبة في التعبير يرى الباحث أنها تنحصر في أربعة محاور :هي المدرس ،والطالب ،والمنهج الدراسي، والمشرف التربوي:

أما التي تخص المدرس فأولى سلبياته فرضه الموضوعات التقليدية التي لا تمثل تفكير الطلبة واختيارهم فيطلب منهم التعبير في أمور لا يعرفون عنها شيئاً في أغلب الأحيان، فضلاً عن أن أساليب التدريس المتبعة تسير على أساس إن التعبير ليس تعبيرا عن الحياة والواقع ولا وصفا للذات وأحاسيسها ولكنه التعبير الأدبي بجماله ومقوماته (مجاور، ٢٠٠٠،ص٢٢٢-٢٢٣)،مما يشكل لهم بعدا بين ما يختلج في نفوسهم من إرهاصات وما يطلب منهم الكتابة فيه، زيادة على أن كثيرا من المدرسين لايستثمرون فرص التدريب في فروع اللغة العربية الأخرى وتوظيفها في درس التعبير، فيأتي درسه غير مشوق لايوظف الخبرات التي اكتسبها الطلبة داخل غرفة الصف (الوائلي،٢٠٠٤ ،ص٨٤-٨٥)

أما فيما يخص المحور الثاني(الطلبة):فقلة رغبة الكثير منهم في درس اللغة العربية بسبب تشعبه ، وقلة المطالعة الخارجية ،بالإضافة إلى أن بعضهم يميلون إلى الموضوعات الجاهزة كي لايكلفوا أنفسهم عناء القراءة فضلا عن أن كثيرا منهم يعتمدون على ذويهم في كتابة الموضوعات التعبيرية .(الحلاق،٢٠١٠،ص٨٦)

ومن الأسباب الأخرى انصراف كثير من الطلبة عن الاشتراك في ميادين النشاط اللغوي في المدرسة المتمثلة في النشرات والإذاعة والتمثيل والخطابة والمناظرات والمحاضرات والندوات الأدبية التي من شأنها أن تنمي القدرة التعبيرية لديهم. (الوائلي،٢٠٠٤،ص٨٦)

أما فيما يخص المحور الثالث (المنهج الدراسي) فيرى الباحث انه يتمثل في عدم وجود كتاب منهجي يوجه المدرسين في تدريس التعبير مما جعله خاضعا للعفوية والارتجال ، فيجعل تدريسه مرهونا باجتهادات المدرسين وأمزجتهم وإمكاناتهم التي تختلف من مدرس إلى آخر فهناك من يبذل جهدا مقبولا في تدريس الإنشاء وهناك من يستغل درس الإنشاء لتدريس فروع أخرى كالقواعد والأدب مما يجعله درسا للراحة زيادةً على أن أهداف تدريس التعبير غير واضحة عند كثير من المدرسين والطلبة .

أما فيما يخص المحور الرابع (المشرفين): فضعف متابعة المشرفين التربويين أداء المعلمين في دروس التعبير حتى يصل الأمر لبعضهم إلى أنه لا يزور المعلم إذا كان درسه في التعبير ويحرص على أن يزوره في دروس القواعد والأدب أو غيرها من فروع

اللغة العربية وهذا يكرس قناعة المعلمين والمدرسين بعدم العناية بدرس التعبير. (عطية ،٢٠٠٨، ص ١٧٨ـ ١٧٩)

وعند استطلاع الباحث لآراء مجموعة من المشرفين المتخصصين*في اللغة العربية حول أسباب الإخفاق في درس التعبير فقد أضافوا محورين آخرين زيادة على التي ذكرت :إذ يرجعون

---

*١- احمد مكي،٢- خليل المشايخي،٣- عدنان النجار / مديرية تربية بابل (مقابلة خاصة)

ضعف الطلبة في التعبير إلى خطة الدرس التي لاتلبي احتياجات درس التعبير وقدمها وقلة تشويقها للطلبة، والمنزل حيث قلة تشجيع الوالدين في تعويد أبنائهم على التعبير عن آرائهم زيادة على افتقار كثير من الأسر إلى المكتبات الخاصة التي تشجع أبناءهم على المطالعة التي تنمي قدرتهم التعبيرية ،ووسائل الإعلام التي تزخر بأنواع التعبير الركيك فضلا عن شيوع العامية فيها ، وفي ضوء ما ذكرنا يرى الباحث أن احد أسباب الضعف في مادة التعبير الكتابي هي خطة الدرس والتي من ضمنها طريقة التدريس التي لا تلبي احتياجات الطلبة في هذه المادة ، لذا ارتأى الباحث تجريب أسلوب تدريسي جديد وهو (تفسير الأمثال القرآنية) لعله يسهم في رفع مستوى طلاب الخامس الأدبي في التعبير الكتابي .

*أهمية البحث :

يعد التعبير الخلاصة من تعليم اللغة العربية إذ يتوجه التعليم منذ بدايته إلى مهارة التعبير ،لأنها تستند إليها كل المهارات فهو يغطي فنين من فنون اللغة هما الحديث والكتابة، ويعتمد في امتلاك زمامها على فني اللغة الآخرين: الاستماع والقراءة، وبذلك يبدو وكأن دراسة اللغة تتجمع حوله، وليس بعيداً أن يقال ((اللغة نوع من أنواع التعبير)) (ظافر، ١٩٨٤،ص٢٠).

إن لدرس التعبير أهمية بالغة، فهو يمكن الطلبة من الإفصاح عن حاجاتهم ومشاعرهم ويزودهم بما يحتاجون من ألفاظ وتراكيب لإضافتها إلى حصيلتهم اللغوية، ويعودهم على ترتيب الأفكار والتسلسل في طرحها ومن ثم يهيئ الطلبة لمواجهة المواقف الحياتية المختلفة التي تتطلب فصاحة اللسان والقدرة على الارتجال فضلا عن انه ينمي خيال المتعلم ويغذيه بعناصر الإبداع (عاشور،٢٠٠٣ ،ص٢٠٠), وهو من أهم ثمار الثقافة الأدبية اللغوية لذلك يجب أن يوجه إليه نصيبا كبيرا من العناية ليس في درسه فقط وإنما في أي فرصة سانحة أخرى. (الركابي،٢٠٠٥،ص١١٦) ،فمن الضرورة أن يكون درس التعبير هادفا أصلا إلى تشكيل رؤى المتعلمين فيما يكتبون فيه وتلبية حاجاتهم وتصوير مشاعرهم وإكسابهم اكبر قدر من الثقة بأنفسهم وتعويدهم الجرأة في الطرح والطلاقة فيه ،ليجيء مكتوبا طبعيا لامتكلفا مصنوعاً(عصر،٢٠٠٠،ص٢٥٩) ، فهو عنصر من عناصر النجاح التي لا يستغني عنها أي إنسان في أي طور من أطوار حياته فمن طريقه يستطيع أن يحق حقا أو يبطل باطلا ،وهذا يعني إن للتعبير وظيفتين من وظائف اللغة هما الاتصال والتفكير. (الخطيب،٢٠٠٩،ص٢٥٥) ومن العرض السابق يجد الباحث أن التعبير قائم على أساسين

رئيسيين :

الأول اللغة ، والثاني التفكير فبامتزاجهما يتكون ، إذاً هو ليس بالعملية السهلة لذا كان لزاما أن يدرس بأساليب وطرائق خاصة ومتنوعة لكي تحقق الفائدة ومنها أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية) والتي تشكل ظاهرة في القران الكريم لكثرة ورودها وتنوع معانيها وتراكيبها.

ومعرفة أمثال القرآن مهمة جدا، ولابد منها للعالم المجتهد، والقارئ المعتبر، فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه واله أنه قال : «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال» . (البغا،١٩٦٩،ص ١٠٢)

ويكفينا في أهمية الأمثال ما قاله الرازي (المتوفّى عام ٦٠٦ هـ) : « إن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأنّ الغرض في المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل ، وذلك في نهاية الإيضاح ، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرّداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثّل بالنور ، وإذا زهد في الكفر بمجرّد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول ، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجرّداً ، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله ، قال تعالى: «وَتِلْكَ الأمْثال نَضْرِبها لِلنّاس لعلهم يتفكرون» الحشر/ ٢١ (السبحاني ، ٢٠٠٠،ص ١٧)، فنجد أن الله سبحانه ربط ضرب المثل بالتفكر لما له من مقدرة بيانية في إيصال الفكرة إلى القارئ.

ويقول الدكتور مصطفى المنشي مبينا أهميتها : تتجلّى روعة الأمثال القرآنية فيما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفس البشرية، وانفعالها من طريق البراعة في التصوير، والقدرة على التشخيص، وقوة الحركة ونقل الصورة من الفكر المجرد إلى الحسّ المشاهد المتحرك، وهذا أدعى إلى إيقاظ همم المخاطب، وبعث كوامن نفسه، واستنهاض أحاسيسه ومشاعره ووجدانه؛ للإقبال نحو تحقيق غرض التمثيل وغاياته،ويتكون هذا من خلال فنون التشبيهات والاستعارات، والنظائر التي ترسم علاقة المشابهة والمماثلة بين ما هو عقلي بما هو حسّي، زيادة في توضيح الصورة، وتبييناً لها على أكمل وجه. (المنشي، www.khutabaa.com

ولما كان المثل القرآني يحوي هذا التنوع الفكري واللغوي وقد دعا القرآن الكريم إلى التفكر فيه بصريح الآية الكريمة السابقة بل أكثر من ذلك ففي قوله الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ قرنها سبحانه بالتعقل والعلم لما في المثل من عمق فكري وشمولية ، وقد ادخل الباحث متغيرا تابعا ثانيا بالإضافة إلى التعبير وهو التفكير الشمولي لعل المتغير المستقل يؤثر فيه، فالتفكير الشمولي عبارة عن رؤية الموقف أو المشكلة من زوايا عدة باستعمال مهارات تفكيرية متنوعة كالناقد والإبداعي والتأملي، وتوصلت دراسة لانج(Lunch1986)

إلى أن الأفراد من ذوي التفكير الشمولي يميلون إلى السرعة في توليد الأفكار على العكس من الأفراد ذوي التفكير غير الشمولي (Lunch, 1986, P.3) ،وفي دراسة أجراها كل من هازارد وويزبرج عام ١٩٩٠وكان من بين أهداف هذه الدراسة التعرف على العلاقة بين التفكير الشمولي والتغيير الثقافي إذ توصلت هذه الدراسة إلى وجود علاقة بين التفكير الشمولي والتغيير الثقافي إذ وجدوا أن الأفراد الذين يمتلكون تفكيرا شموليا لديهم القدرة على التأقلم مع المناخات الثقافية المختلفة(Hassard& Weisberg 1995, P.14)

وقد تزايد إحساس المربين يوما بعد يوم بقيمة التفكير في المجال التربوي ، مما يوجه المدرسين على ممارسة نماذج تفكيرية تسهم في إثارة تنشيط استيعاب الطلبة للخبرات التعليمية ، وتنمية التفكير لديهم .(أبو سرحان ،٢٠٠٠ ، ص ٩٤) ، وتدرب المدرس على إتقان مهارة التفكير لدى الطلبة ، من خلال الانتقال إلى تعليم يتطلب تعدد الأهداف وتنوع العمليات الذهنية وتعزيز تفرد الفرد وتميز الطلبة فذلك يحقق إتقانهم مهارات التفكير وعملياته وأساليب الحصول على المعرفة والخبرة بأنفسهم (قطامي ، ٢٠٠١ص ٦٦) ، فينمو لديهم التفكير الشمولي الذي يعمل على تحفيز قدرات الدماغ المختلفة ومهارات التفكير المتنوعة ،وأشارت دراسة أرمسترونك (Armstrong (1999 إلى وجود علاقة بين التفكير الشمولي وتوليد الأفكار وأن توليد الأفكار يتأثر بصورة دالة بالقدرات المعرفية و أن الأفراد ذوي التفكير الشمولي يميلون إلى السرعة في توليد الأفكار (Armstrong, 1999, P.19) زيادة على أن الأطفال ذوي التفكير الشمولي يميلون إلى إعطاء استجابات فورية وسريعة بالنسبة للموقف الذي يمرون به (علي ، ١٩٩٤ :١٣) .

ويرى الباحث من خلال العرض السابق أن للمثل القرآني تنوعا فريدا في الصياغة اللغوية والتركيبة البيانية و عمق المعنى الفكري فارتأى تجريبه على طلبة الخامس الأدبي لأنه يحتاج إلى نضوج عقلي ، وتمثل هذه المرحلة مرتبة متقدمة في المرحلة الثانوية ولان طلبتها أكثر مرونة فكرية ، ولمادة التعبير الكتابي خصوصية في شموليتها لفروع اللغة العربية وبما أن الأمثال القرآنية تحوي هذا الثراء الذي تطرقنا إليه سابقا لذلك تأتي هذه الدراسة علّها تسهم في النهوض بهذه المادة والتفكير الشمولي وتتلخص أهمية البحث الحالي:

١- أهمية اللغة العربية لأنها لغتنا الأم ولغة التعبير والدراسة

٢- أهمية التعبير لأنه الغاية من دراسة اللغة العربية.

٣- أهمية التفكير الشمولي لأنه يساعد الطلبة على استثمار عقولهم بالطريقة الفضلى

٤- إفادة الجهات المختصة من هذه التجربة .

٥- لاتوجد دراسة - حسب علم الباحث- درست اثر أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي لدى طلاب الخامس الأدبي.

هدفا البحث:

يهدف البحث الحالي إلى :

٣- التعرف على اثر أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية)

في تحصيل طلاب الخامس الأدبي في التعبير الكتابي

٤- التعرف على اثر أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية) في التفكير الشمولي لدى طلاب الخامس الأدبي

فرضيتا البحث :

لغرض تحقيق هدفي البحث تم صياغة الفرضيتين الآتيتين :

الفرضية الأولى :

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التعبير الكتابي بأسلوب تفسير الأمثال القرآنية ودرجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي .

الفرضية الثانية:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التعبير الكتابي بأسلوب تفسير الأمثال القرآنية ودرجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الشمولي .

حدود البحث

١. الحدود المكانية : المدارس الإعدادية والثانوية للذكور في مركز محافظة بابل

٢.الحدود الزمانية: العام الدراسي٢٠١٥/٢٠١٦

٣. الحدود البشرية : طلاب الصف الخامس الأدبي في إعدادية الثورة للبنين

٤. الحدود المعرفية :مجموعة من الموضوعات التعبيرية تدرس للمجموعتين التجريبية والضابطة، الأمثال القرآنية، التفكير الشمولي.

تحديد المصطلحات:

١. الأمثال القرآنية.

٢. التعبير

٣.التفكير

٤. التفكير الشمولي

١- المثل القرآني :

لغة : المِثْل بالكسر والتحريك يأتي لمعان مختلفة : كالنظير ، والصفة ، والعِبرة ، وما يُجعل مثالاً لغيره يُحذى عليه .(ابن منظور، ٢٠٠٥، مادة مثل)

اصطلاحا عرفه :

الجوزية: «نظم من التنزيل يعرض نمطاً واضحاً معروفاً من الكائنات، أو الحوادث الكونية، أو التاريخية عرضاً لافتا للأنظار؛ ليشبه أو يقارن به سلوكا بشريا، أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الإقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه، أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر»(الجوزية،٢٠٠٠: ٥٨)

التعريف الإجرائي : يتفق الباحث مع تعريف الجوزية.

٢- التعبير :

لغة : «عبر عمّا في نفسه: أعرب وبين ،وعبر عنه غيره فأعرب عنه والاسم العِبرة والعبارة ،وعبر عن

فلان: تكلم عنه» (ابن منظور: ٢٠٠٥:ج٩: ١٧)
اصطلاحا :عرفه كل من

أ- الخطيب،٢٠٠٩ : «إبانة وإفصاح عما يجول في النفس من خواطر وأفكار ،وتطبيق مفاهيم وحقائق وقواعد قد خبرها الإنسان في الكتابة». (الخطيب ،٢٠٠٩/٢٥٤)

ب- طاهر، ٢٠١٠: « تمكين التلاميذ حتى يصبحوا قادرين على الإفصاح عما يخالج نفوسهم من الأمور العديدة بلغة سليمة ويكتبوها في أسلوب جديد يجمع بين الترتيب والتأثير».(طاهر،٢٠١٠/١٧٤).

ت- التعريف الإجرائي:ما يكتبه طلاب المجموعتين عن الموضوعات التعبيرية بلغة سليمة وجمال فني يستمد من أفكارهم وثقافتهم ويفصح عما في نفوسهم.

٣- التفكير

لغة: في لسان العرب يشتق من مادة (فَكَرَ) وهي إعمال الخاطر في الشيء والتفكير وهو التأمل (ابن منظور ، ص٣٠٧)،في المعجم الوسيط : فكّر في الأمر مبالغة في الفكر وفكّر في المشكلة أعمل عقله فيها للتوصل إلى حلها (مصطفى و آخرون ، ص٦٩٨ ، ٧٨م).

اصطلاحا :

أ- عبد الهادي وآخرون (٢٠٠٣) بأنه:- « سلسلة من النشاطات الذهنية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض للأحداث والمواقف التي تنقل إليه عن طريق الحواس الخمس «.(عبد الهادي وآخرون ،٢٠٠٣/ ٥٢)

ب– الربضي (٢٠٠٧) : « عملية معرفية تتميز باستعمال الرموز لتنوب عن الأشياء وهي تتصل بالحوادث التي نتذكرها أو المنسية بالنسبة لنا « (الربضي ، ٢٠٠٧، ص٥٠) .

ت- التعريف الإجرائي : يتفق الباحث مع تعريف عبد الهادي.

٤- التفكير الشمولي عرفه كل من:

أ- الفلو ٢٠٠٥ :» هو قدرة متوازنة لتنمية قابلية الفرد وتعزيز الوعي الذاتي والوعي الاجتماعي ليدرك أنه جزء من عالم تتشابك فيه القضايا المختلفة « . (الفلو ، ٢٠٠٥ ، ص١٠) .

ب مشرف ٢٠٠٧ :»هو قدرة الفرد على التفكير بالمسائل من جميع جوانبها ويكون التفكير شاملاً لجميع العلاقات المتصلة بالموضوعات أو المسائل « . (مشرف ، ٢٠٠٧ ، ص٣) .

ج- نيدهرمان (Nedherman (2007 :

« هو قدرة الفرد على التفكير بمستوى شامل لرؤية الصورة كاملة واضحة يستطيع من خلالها ربط الأشياء « . (البلالي ، ٢٠٠٧ ، ص٢) .

التعريف الإجرائي : ((الدرجات التي يحصل عليها طلاب الخامس الأدبي في اختبار التفكير الشمولي المستعمل في البحث الحالي)).

الفصل الثاني

المحور الأول : جوانب نظرية

المحور الثاني : دراسات سابقة

المحور الأول : جوانب نظرية

أولا /المثل:

تعريفه : قول محكي سائر، يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي: يشبه مضربه بمورده، مثل: رب رمية من غير رام (النحلاوي، ١٩٩٨: ١٧)

*أنواع الأمثال:

١- المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي: لا تعلم فيه، ولا تكلف، ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابي: صادر عن ذوي الثقافة العالمية كالشعراء والخطباء كقولهم: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

٢- المثل القياسي: هو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، أو اعتبار أحدهما بالآخر؛ لغرض التأديب والتهذيب، أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

٣-المثل الخرافي: وهي حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان؛ لغرض تعليمي، أو فكاهي، وما أشبه ذلك، كقولهم: أكلت يوم أكل الثور الأبيض (البيانوني،١٩٩١ :١٩-٢٠)

*الفرق بين المثل والحكمة يظهر في ثلاثة أمور:

١. أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال.

٢. أن المثل وقع فيه التشبيه، والحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع، فإذا وقع فيها التشبيه اجتمعت مع المثل، وإلا اختلفت عنه.

٣. أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ، ولا يبعد أن يقال بعد ذلك: إن المثل هو من الحكمة فهي تعمه وتعم غيره، ومن هنا قرر أبو هلال العسكري صاحب كتاب: (جمهرة الأمثال) أن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً (الميداني،١٩٩٢: ٣٢)

* الفرق بين الأمثال والقصص:

إن بين الأمثال والقصص فارقا كبيرا، وإن كان يجمعهما قدر مشترك من تنبيه الذهن إلى أخذ العبرة وقياس الحال على الحال.

وهذا الفارق هو: أن الأمثال لا يشترط في صحتها أن تكون واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا

وليس معنى هذا أننا نشترط في الأمثال عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، إذ ربما ضرب المثل بقصة واقعة، وتسمى القصة عندئذ تمثيلا، لأنها وردت للتمثيل لا للإخبار عنها.٠(الميداني،١٩٩٢: ٣٤)

ثانيا/ المثل في القران الكريم:

قد استعمل الذكر الحكيم كلاً من لفظي) المَثَل) و « المِثْل » في غير واحد من سوره وآياته حتى ناهز استعمالهما ثمانين مرة ، إلاّ أنّ الثاني يزيد على الأوّل بواحد. والأمثال جمع لكليهما ويميّزان بالقرائن قال سبحانه :﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُم﴾ الأعراف /١٩٢) وهو في المقام ، جمع المِثْل لشهادة أنّه يحكم على آلهتهم بأنّها مثلهم في الحاجة والإمكان، قال سبحانه : ﴿تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لعلّهُمْ يَتفَكَّرُون﴾ الحشر/ ٢١

فاقتران الأمثال بلفظ الضرب ، دليل على أنّه جمع مَثَل إلاّ أنّ المهم هو دراسة معنى « الضرب »

في هذا المورد ونظائره ، فكثيراً ما يقارن لفظ المثل لفظ الضرب ، يقول سبحانه «: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً»إبراهيم/٢٤).وقال سبحانه : (﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا للنّاسِ في هذا القُرآن مِنْ كُلّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرون﴾ الأعراف/١٦٠. (السبحاني،٢٠٠٠: ٣٥)

*أقسامه :

ج: للأمثال القرآنية أنواع ثلاثة وهي: ١ - الأمثال المصرحة، ٢ - الأمثال الكامنة.

٣-الأمثال المرسلة، وإليك بيانها مفصلة:

١-الأمثال المصرحة: وهي ما كان اللفظ فيها صريحا بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه مثل قوله تعالى:» إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ «محمد /١٥ وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾يونس ٢٤ شبه الله تعالى حال المنافقين في هذه الآيات الكريمات حين انتفعوا بالدخول في دين الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم بحال الذي استوقد نارا للإضاءة والنفع، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وأبقى لهم ما فيها من الإحراق، فانتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم فذهب الضوء عنهم وبقي لهم الإحراق، هذا المثل تشبيها بالنار، أما مثلهم المشبه بالماء، فشبههم بحال من أصابهم مطر غزير وفيه ظلمة ورعد وبرق فخافوا وخارت قواهم ووضعوا أصابعهم في آذانهم وأغمضوا عيونهم خوفا من صاعقة واقعة بهم، وهذا المثل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ البقرة﴾/١٩ لأن القرآن العظيم حينما نزل عليهم بزواجره وأوامره ونواهيه في خطابه لهم، نزل عليهم نزول الصواعق،و هذا من الأمثال المصرحة في القرآن الكريم.

٢- الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

١. مثال «خير الأمور الوسط» يقابله من أمثال القرآن قوله تعالى: ﴿لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ﴾ البقرة /٦٨، في وصف البقرة، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء /٢٩ هذا مثال للاعتدال في الإنفاق.

٢. مثال قولهم: «ليس الخبر كالعيان» يقابله من أمثلة القرآن قوله تعالى:

﴿قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة / ٢٦٠، يفيد أن الرؤيا أولى من السماع.

٣. مثال قولهم: «كما تدين تدان» يقابله قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ النساء/١٢٣ وهذا المثال يفيد ما تعمله تجده.

٤. مثال قولهم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» يقابله في القرآن قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه:﴿قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف/ ٦٤ والأمثلة على هذا النوع كثيرة لا يتسع لحصرها هذا المختصر .

ثالثا- الأمثال المرسلة: هي التي أرسلت جملها إرسالا من غير تصريح بلفظ يدل على التشبيه فهي آيات جارية مجرى الأمثال, ومنه في القرآن الكريم بقوله

تعالى:﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾يوسف/ ٥١،وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ﴾ النجم/ ٨٥ وقد قال بعض العلماء: (إذا سمعت المثل في القرآن ولم أفهمه بكيت على نفسي، لأن الله تعالى قال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ﴾ العنكبوت/ ٤٣(مقيبل،١٤١٤،:٨٢-٨٤)

*فوائد المثل في القرآن الكريم

لمعرفة الأمثال القرآنية فوائد جمة نوجزها فيما يلي:

١. إبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، حيث ضرب الله المثل لبيان حال المنفق رياء بأنه لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ البقرة/٢٦٤.

٢.الأمثال تكشف عن الحقائق وتبين الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ البقرة /٢٧٥.

٣. يضرب المثل للترغيب. كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٦١.

٤. يضرب الله تعالى المثل للتنفير حيث يقول جل ذكره:﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات/ ١٢.

٥. يضرب الله تعالى المثل للمدح كما في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ إلى أن قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح /٢٩ وقد نزل هذا في حق صحابة رسول الله صلّى الله عليه واله في وصفهم بأكمل الأوصاف الإيمانية.

والأمثال في الحقيقة أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ والإرشاد وأقوى من الزجر.

وفي شدة انتباه السامع وفي الإقناع بها عند سماعها، وقد أكثر الله تعالى من الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، كما استعملها الرسول صلّى الله عليه واله في كثير من أحاديثه الشريفة واستعان بها الداعون إلى الله تعالى في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة وكذلك ليستعين بها المربّون ويعتبروها من وسائل جذب الانتباه والإيضاح والتشويق، ليتمكنوا من إيصال ما يريدون إيصاله إلى المستمع، وذروة هذا كله قوله تعالى﴿:وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾الزمر / ٢٧.(معبد،٢٠٠٥: ١١٢-١١٣)

الثاني : دراسات سابقة

١-دراسة النعيمي (٢٠٠١)

((اثر ثلاث استراتيجيات قبلية لتدريس المطالعة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي))

أجريت هذه الدراسة في العراق / جامعة بغداد كلية التربية/ابن رشد، وهدفت إلى معرفة اثر ثلاث استراتيجيات قبلية لتدريس المطالعة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي العام ، بلغت عينة البحث (٢٩٠) طالباً

وطالبة، بواقع (١٥٠) طالباً و (١٤٠) طالبة وزعوا عشوائياً بين المجموعات الأربع درست المجموعة التجريبية الأولى باستعمال إستراتيجية الاختبارات القبلية، والمجموعة الثانية باستعمال إستراتيجية الأهداف السلوكية، والمجموعة الثالثة باستعمال إستراتيجية الملخصات العامة، في حين درست المجموعة الضابطة بالطريقة الاعتيادية، أما أداة الدراسة فكانت اختباراً في الاستيعاب القرائي تكون من(٤٠) فقرة موزعة على مجموعتين من الأسئلة مراعيا فيها شروط صياغة كل نوع منها، وتوصلت الدراسة إلى تفوق طلبة المجموعات الثلاث على المجموعة الضابطة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري.(النعيمي، ٢٠٠١)

٢-دراسة عبود،٢٠٠٤

(أثر تحفيظ نصوص وأقوال مختارة في تحسين الأداء التعبيري لطالبات الصف الرابع العام)

أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بابل وكانت تهدف إلى تعرف اثر تحفيظ نصوص وأقوال مختارة في تحسين الأداء التعبيري لطالبات الصف الرابع ولتحقيق هذا الهدف اختار الباحث عشوائياً إعدادية الخنساء للبنات لإجراء التجربة وبلغت عينة الدراسة (٦٦) طالبة توزعت على شعبتين حيث مثلت شعبة (أ) المجموعة الضابطة بواقع (٣٣) طالبة ، وشعبة(د) مثلت المجموعة التجريبية بواقع (٣٣) طالبة

استعمل الباحث وسائل إحصائية عديدة للتوصل إلى نتائج دراسته منها معامل ارتباط بيرسون والقيمة التائية ومربع كاي أما أداة البحث فكانت اختبارا تحصيليا

أظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) لمصلحة طالبات المجموعة التجريبية ، وفي ضوء هذه النتائج أوصى الباحث بتوصيات عدة منها : اعتماد طريقة تحفيظ النصوص والأقوال المختارة في تدريس التعبير التحريري في المرحلة الإعدادية وضرورة توظيف النصوص والأقوال التي يحفظونها في دروس التعبير .

٣- دراسة المسعودي ،٢٠٠٦(اثر تحليل النصوص القرآنية في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الخامس الأدبي)

أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد ، و هدفت الدراسة الحالية إلى تعرف» اثر تحليل النصوص القرآنية في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الخامس الأدبي» .

ولتحقيق هذا الهدف اختار الباحث تصميماً تجريبياً لمجموعتين تجريبية وضابطة واختار قصدياً إعدادية (الحسينية للبنين) التابعة لمديرية تربية كربلاء لإجراء التجربة ، وبلغ عدد أفراد عينة البحث (٦٠) طالباً اختارهم عشوائياً ضمن شعبتين الأولى تجريبية تدرس التعبير بأسلوب تحليل النصوص القرآنية ، وعدد أفرادها (٣٠) طالباً والثانية ضابطة تدرس التعبير بالطريقة التقليدية وعددها (٣٠) طالباً ، كافأ الباحث بين طلاب المجموعتين إحصائيا، اعتمد الباحث الاختبارات المتسلسلة لمادة التعبير أداة لبحثه ،واستعمل الوسائل الإحصائية الآتية معامل ارتباط بيرسون، مربع كاي والاختبار التائي وتوصل البحث إلى النتائج الآتية :-

- هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في الأداء التعبيري لصالح طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا التعبير بأسلوب تحليل النصوص القرآنية

و قد أوصى الباحث باعتماد أسلوب تحليل النصوص القرآنية في تدريس مادة التعبير ، وتضمين درس التعبير بعضاً من آيات القرآن الكريم في أثناء عرض عناصر الموضوع وشرحها لطلاب الصف الخامس الأدبي وتعميمها على مواد أخرى .

*موازنة الدراسات السابقة مع الحالية:

جدول رقم (١)

اسم الدراسة	مكان إجرائها وتاريخها	أهدافها	عينتها	نتائجها
دراسة النعيمي اثر ثلاث استراتيجيات قبلية لتدريس المطالعة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي	أجريت هذه الدراسة في العراق / جامعة بغداد كلية التربية/ابن رشد ٢٠٠١	هدفت إلى معرفة اثر ثلاث استراتيجيات قبلية لتدريس المطالعة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي العام	بلغت عينة البحث (٢٩٠) طالباً وطالبة، بواقع (١٥٠) طالباً و (١٤٠) طالبة	توصلت الدراسة إلى تفوق طلبة المجموعات الثلاث على المجموعة الضابطة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري
دراسة عبود أثر تحفيظ نصوص وأقوال مختارة في تحسين الأداء التعبيري لطالبات الصف الرابع العام	أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية، ٢٠٠٤	تهدف إلى تعرف اثر تحفيظ نصوص وأقوال مختارة في تحسين الأداء التعبيري لطالبات الصف الرابع	بلغت عينة الدراسة (٦٦) طالبة توزعت على شعبتين	أظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) لمصلحة طالبات المجموعة التجريبية
دراسة المسعودي اثر تحليل النصوص القرآنية في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الخامس الأدبي	أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٦	هدفت الدراسة الحالية إلى تعرف" اثر تحليل النصوص القرآنية في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الخامس الأدبي" .	بلغ عدد أفراد عينة البحث (٦٠) طالباً اختارهم عشوائياً ضمن شعبتين	هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) في الأداء التعبيري لصالح طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا التعبير بأسلوب تحليل النصوص القرآنية
الدراسة الحالية اثر أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي لدى طلاب الخامس الادبي	أجريت هذه الدراسة في جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية ٢٠١٥	هدفت إلى تعرف اثر أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي لدى طلاب الخامس الأدبي	بلغ عدد افراد عينتها () موزعة على شعبتين	أظهرت نتائج البحث تفوق طلاب المجموعة التجريبية في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي على طلاب المجموعة الضابطة

*جوانب الإفادة من الدراسات السابقة:انتفع الباحث كثيراً بهذه الدراسات من نواحٍ عدة منها :-

أ. ساعدته على تحديد عنوان بحثه بدقة .

ب. بصرته بمشكلة بحثه ، وكيفية معالجتها .

ج. ساعدته على وضع تصور لكيفية تحقيق هدف بحثه الحالي .

د. أفاد الباحث في كيفية تطبيق بحثه واختيار الوسائل الإحصائية المناسبة .

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

للتثبت من هدف البحث وفرضيتيه ، اتبع الباحث مجموعة من الإجراءات يوضحها الشكل الآتي :

شكل (١)

يوضح المراحل التي اتبعت في إجراءات البحث

أولا / التصميم التجريبي :

إن اختيار التصميم التجريبي يعد أولى الخطوات التي على الباحث تنفيذها ، لان الاختيار السليم له يضمن للباحث الوصول إلى نتائج دقيقة وسليمة ، ويتوقف تحديد نوع التصميم التجريبي على طبيعة المشكلة ، وعلى ظروف العينة، وينبغي الاعتراف من الخطوة الأولى أن البحوث التربوية لم تصل بعد إلى تصميم تجريبي يبلغ حد الكمال من الضبط ، لان توافر درجة كافية من ضبط المتغيرات أمر بالغ الصعوبة بحكم طبيعة الظواهر التربوية المعقدة . (الزوبعي،١٩٦٨،ص٥٨)

لذلك اعتمد الباحث تصميما تجريبيا ذا ضبط جزئي ملائما لظروف البحث الحالي فجاء التصميم على الشكل الآتي :

يظهر من الجدول (٢) ، إن عدد المدارس الثانوية

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع		اداة البحث
التجريبية	أسلوب تفسير الأمثال القرآنية	التعبير الكتابي	التفكير الشمولي	اختباران في التعبير الكتابي والتفكير الشمولي
الضابطة	----------	التعبير الكتابي	التفكير الشمولي	

يقصد بالمجموعة التجريبية : المجموعة التي يتعرض طلابها للمتغير المستقل (تفسير الأمثال القرآنية) ، أما المجموعة الضابطة : هي المجموعة التي تدرس(بالطريقة الاعتيادية)

ثانياً : مجتمع البحث وعينته:

١- مجتمع البحث:

يعرف بأنه : (المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة).(القيّم،٢٠٠٧:١٣٦)

ويشمل مجتمع البحث الحالي المدارس الثانوية والإعدادية النهارية للبنين في مركز محافظة بابل للعام الدراسي (٢٠١٥- ٢٠١٦م) ، وقد زار الباحث المديرية العامة للتربية في محافظة بابل، بموجب الكتاب الصادر من جامعة بابل- كلية التربية الأساسية (ملحق ١) ليتعرف على المدارس الثانوية والإعدادية النهارية للبنين التابعة لها، التي تقع في مركز محافظة بابل، فكانت المدارس على ما مبين في الجدولين (٢-٣)

جدول (٢)

المدارس الثانوية للبنين في مركز محافظة بابل

ت	المدرسة	العنوان
١	ثانوية بابل التطبيقية	قضاء الحلة / حي القاضية
٢	ثانوية الحلة	قضاء الحلة/ حي الجمهورية
٣	ثانوية الفارس	قضاء الحلة/ حي العسكري
٤	ثانوية الميثاق	قضاء الحلة/ حي البكرلي
٥	ثانوية الوائلي	قضاء الحلة/ حي القاضية
٦	إعدادية الإمام علي (ع)	قضاء الحلة/ حي نادر
٧	إعدادية الثورة	قضاء الحلة/ حي الثورة
٨	إعدادية الجهاد	قضاء الحلة/ حي الجمعية
٩	إعدادية الفيحاء	قضاء الحلة/ حي العبور
١٠	إعدادية الكندي	قضاء الحلة/ حي الكرامة

والإعدادية النهارية للبنين بلغ عشر مدارس ، خمس مدارس ثانوية وخمس مدارس إعدادية .

٢- عينة البحث :

عرفت بأنها:(جزء من المجتمع المراد دراسته يتم اختيارها بطريقة معينة، بحيث لا يكون هناك أي تمييز في الاختيار، ويمكن أن تكون صورة صادقة للمجتمع الذي يمثله).(القيّم،٢٠٠٧:١٣٨)

أ- عينة المدارس:

اختار الباحث بطريقة عشوائية إعدادية الجهاد للبنين لإجراء بحثه فيها.

ب-عينة الطلاب:

زار الباحث إعدادية الجهاد للبنين ومعه كتاب تسهيل مهمة صادر من المديرية العامة لتربية بابل لتسهيل مهمته فيها(الملحق ٢)، ووجدها تضم شعبتين للصف الخامس الأدبي للعام الدراسي(٢٠١٥ – ٢٠١٦ م) ، وبطريقة السحب العشوائي اختار الباحث شعبة (ا) لتمثل المجموعة التجريبية التي سيدرس طلابها مادة التعبير الكتابي بأسلوب تفسير الأمثال القرآنية وشعبة (ب) المجموعة الضابطة التي تدرس المادة نفسها بالطريقة التقليدية ، وقد بلغ المجموع الكلي لطلاب المجموعتين(٨١) بواقع (٤١) طالبا في شعبة(أ)، و(٤٠) طالبا في شعبة (ب)، وقد تم استبعاد الطلاب المخفقين البالغ عددهم (٥) طلاب بواقع طالبين في المجموعة التجريبية، وثلاثة طلاب في المجموعة الضابطة، وبذلك أصبح عدد أفراد العينة النهائي (٧٦) طالبةً، بواقع (٣٨) طالبا في المجموعة التجريبية و(٣٨) طالبا في المجموعة الضابطة ، وجدول (٤) يبين ذلك. جدول (٤)

عدد طالبات مجموعتي البحث قبل الاستبعاد وبعده

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الطلاب المخفقين	عدد الطلاب بعد الاستبعاد
التجريبية	أ	٤١	٢	٣٨
الضابطة	ب	٤٠	٣	٣٨
المجموع		٨١	٥	٧٦

ثالثا / تكافؤ مجموعتي البحث :

حرص الباحث قبل الشروع ببدء التجربة على تكافؤ طلاب مجموعتي البحث إحصائيا في بعض المتغيرات التي قد تؤثر في سلامة التجربة على الرغم من أن طلاب العينة من منطقة سكنية واحدة ، ويدرسون في مدرسة واحدة ، ومن الجنس نفسه وهذه المتغيرات هي :

١- العمر الزمني للطلاب محسوبا بالشهور (الملحق ٢) .

٢- التحصيل الدراسي للآباء .

٣- التحصيل الدراسي للأمهات .

٤- درجات العام السابق في اللغة العربية لمجموعتي البحث . (الملحق٣)

وقد حصل الباحث على البيانات عن المتغيرات المذكورة آنفا – عدا المتغير الرابع - من البطاقة المدرسية مع إدارة المدرسة ، في حين حصل على بيانات المتغير الرابع من خلال كتابة الطلاب في موضوع تعبيري موحد للمجموعتين ، وفيما يأتي توضيح لعمليات التكافؤ الإحصائي في المتغيرات بين مجموعتي البحث :

١- العمر الزمني محسوبا بالشهور :

أجري تكافؤ إحصائيٌّ في العمر الزمني محسوباً بالشهور لطلاب مجموعتي البحث ، ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسط أعمار طلاب المجموعتين ، استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، وعند حساب الفرق إحصائياً ، وجدت الباحث انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسطي أعمار طلاب المجموعتين عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، بدرجة حرية (٧٤) ، وجدول (٤) يبين ذلك .

جدول (٤)

نتائج الاختبار التائي للعمر الزمني لطلاب مجموعتي البحث محسوبا بالشهور

المجموعة	عدد أفراد المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة عند (٠.٠٥)
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٨	١٨٧,٢٢	١٧,٢	٢٩٥,٧٤	٧٤	١,٠٨٥	٢	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٨	١٨٨,٧٢	٦,٣٢	٣٩,٨٢				

يتضح من الجدول (٤)، أن متوسط أعمار طلاب المجموعة التجريبية بلغ (١٨٧,٢٢) شهرا، وبلغ متوسط أعمار طالبات المجموعة الضابطة (١٨٨,٧٢) شهرا .وعند استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق، اتضح أن الفرق غير دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة (١,٠٨٥) اصغر من القيمة التائية الجدولية (٢) ، بدرجة حرية

(٧٤).وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائيا في العمر الزمني.

٢- التحصيل الدراسي للآباء :

أسفرت نتائج التكافؤ في التحصيل الدراسي للآباء باستعمال مربع كاي (كا٢) انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، بدرجة حرية (٤) بين المجموعتين في تحصيل الأبوين ، وجدول (٥) يبين ذلك.

جدول (٥)

تكرارات التحصيل الدراسي لآباء مجموعتي البحث وقيمتي (كا٢) المحسوبة والجدولية

التحصيل / المجموعة	العدد	يقرأ ويكتب	ابتدائية	متوسطة	إعدادية معهد	كلية فما فوق	درجة الحرية	قيمة كا٢ المحسوبة	قيمة كا٢ الجدولية	مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)
التجريبية	٣٨	٧	٨	٧	٤	١٢	٤	١,٧٢	٩,٤٩	غير دالة إحصائيا
الضابطة	٣٨	٦	٦	٥	١٠	١١				

يتضح من الجدول (٥) أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائيا في التحصيل الدراسي للأبوين، إذ أظهرت نتائج البيانات باستعمال مربع كاي، أن قيمة (كا٢) المحسوبة (١,٧٢) أصغر من قيمة(كا٢) الجدولية (٩,٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، بدرجة حرية (٤) .

٣- التحصيل الدراسي للأمهات :

أسفرت نتائج التكافؤ في التحصيل الدراسي للأمهات باستعمال مربع كاي (كا٢) انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، بدرجة حرية (٤) بين المجموعتين في التحصيل الدراسي للأمهات, جدول (٦) يبين ذلك .

جدول (٦)

تكرارات التحصيل الدراسي لأمهات مجموعتي البحث وقيمة (كا٢) المحسوبة والجدولية

التحصيل / المجموعة	حجم العينة	تقرأ وتكتب	ابتدائية	متوسطة	إعدادية أو معهد	كلية فما فوق	درجة الحرية	قيمة كا٢ المحسوبة	قيمة كا٢ الجدولية	مستوى الدلالة عند (٠.٠٥)
التجريبية	٣٨	١٢	٦	٤	١٠	٦	٤	٠,٢١٧	٩,٤٩	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٨	١٢	٥	٦	١١	٤				

يتضح من جدول (٦) أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائيا في تكرارات التحصيل الدراسي للأمهات، إذ أظهرت نتائج البيانات باستعمال مربع كاي، أن قيمة (كا٢) المحسوبة (٠,٢١٧) اصغر من قيمة (كا٢) الجدولية (٩,٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، وبدرجة حرية (٤) .

٤- درجات مادة اللغة العربية للعام السابق :

لأجل تعرف تكافؤ طالبات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في درجات اللغة العربية للعام السابق ، حصل الباحث عليها من سجلات المدرسة بالتعاون مع الإدارة وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث للصف الرابع الأدبي ، وجد الباحث انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعتين ، عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، ودرجة حرية (٧٤) ، جدول (٧) يبين ذلك .

جدول (٧)

نتائج الاختبار التائي لدرجات العام السابق لطالبات مجموعتي البحث

المجموعة	عدد أفراد المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة عند ٠,٠٥
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٨	٦٧,٤٢٢	١٠,٠٦٨	١٠١,٣٤	٧٤	٠,٥٧٧	٢	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٨	٦٥,٨١٦	١٤,٠٥٣	١٩٧,٤٥				

يتضح من الجدول (٧) أن متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية بلغ (٦٧,٤٢٢) درجة،وبلغ متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة (٦٥,٨١٦) درجة . وعند استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق بين المتوسطين ، اتضح أن الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة (٠,٥٧٧) اصغر من القيمة التائية الجدولية (٢)، وبدرجة حرية (٧٤) . وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائيا في درجات اختبار التعبير القبلي .

رابعا / ضبط المتغيرات الدخيلة :

زيادة على ما تقدم من إجراءات التكافؤ الإحصائي بين مجموعتي البحث ، حاول الباحث قدر الإمكان تفادي اثر بعض المتغيرات الدخيلة في سير التجربة ، ومن ثم في نتائجها ، وفيما يأتي هذه المتغيرات الدخيلة وكيفية ضبطها :

أ- الفروق في اختيار العينة : حاول الباحث – قدر المستطاع - تفادي اثر هذا المتغير في نتائج البحث

وذلك وعن طريق إجراء التكافؤ الإحصائي بين طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في أربعة متغيرات يمكن أن يكون لتداخلها مع المتغير المستقل اثر في المتغيرين التابعين ، فضلا عن تجانس طلاب المجموعتين في النواحي الاجتماعية والثقافية إلى حد كبير لانتمائهم إلى بيئة اجتماعية واحدة .

ب- أداة القياس : استُعملت أداة موحدة لقياس الأداء التعبيري لدى طلاب مجموعتي البحث وهي (الكتابة في عدد من الموضوعات التعبيرية الموحدة) وتصحيحها على وفق معيار التصحيح الذي تم اختياره ، وأداة موحدة لقياس التفكير الشمولي .

ج- اثر الإجراءات التجريبية :

١- سرية البحث : حرص الباحث على سرية البحث بالاتفاق مع إدارة المدرسة على عدم إخبار الطلاب بطبيعة البحث وهدفه ، كي لا يتغير نشاطهم أو تعاملهم مع التجربة مما قد يؤثر في سلامة التجربة ونتائجها ،ولذلك ارتأى الباحث أن يقوم بتدريس مادة اللغة العربية بفروعها كافة لكي لايشتبه الأمر على الطلبة

٢- الوسائل التعليمية : كانت الوسائل التعليمية متشابهة لطلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة مثل السبورات البيض، وأقلام الكتابة الملونة .

٣- مدة التجربة ووقت إجرائها : كانت مدة التجربة موحدة ومتساوية لطلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة إذ بدئت يوم الأحد الموافق٣ /١٠/ ٢٠١٥ ، وأنهيت يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ / ١١/ ٢٠١٥ .

خامسا / تحديد المادة العلمية :

١- موضوعات مادة التعبير :

التعبير ليس له مادة محددة يلتزم بها المدرسون ، وإنما هناك توجيهات عامة وضعتها وزارة التربية تؤكد أهمية هذه المادة ولكنها لم تقدم موضوعات مقررة

يختار منها المدرسون وألزمتهم إعطاء ما لا يقل عن ثمانية موضوعات خلال العام الدراسي .

اعد الباحث استبانة ضمت (١٥) موضوعا تعبيريا ملحق (٤) ، وعرضها على مجموعة من الخبراء والمتخصصين (ملحق ٥) لاختيار (٧) موضوعات منها لتكون الموضوعات التعبيرية التي ستكتب فيها طلاب مجموعتي البحث في أثناء التجربة من اجل قياس الأداء التعبيري لديهم فوقع الاختيار على مجموعة من الموضوعات التعبيرية ملحق (٦)

سادسا / إعداد الخطط التدريسية :

يقصد بالخطط التدريسية تصورات مسبقة للمواقف والإجراءات التدريسية التي يضطلع بها المدرس وطلبته لتحقيق أهداف تعليمية معينة ، وتضم هذه العملية تحديد الأهداف واختيار الطرائق التي تساعد على تحقيقها . (الأمين ، ١٩٩٢،ص ١٣٣) ولما كان إعداد الخطط التدريسية يعد واحدا من متطلبات التدريس الناجح فقد أعد الباحث خططا تدريسية للموضوعات التعبيرية التي تم الاتفاق عليها من قبل الخبراء ، وعلى وفق أسلوب (تفسير الأمثال القرآنية) بالنسبة إلى طلاب المجموعة التجريبية ،

ولأجل ذلك اختار الباحث الأمثال القرآنية المناسبة للموضوعات والجدول الآتي يوضح ذلك :

ت	الموضوعات التعبيرية	الأمثال القرآنية المناسبة لها
١	قال رسول الله (ص): "المنافقون في الدرك الأسفل من النار"	(وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ) . البقرة : ١٤. ١٨ .
٢	قسوة القلوب مفتاح لارتكاب الذنوب	(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُون) البقرة : ٧٤ .
٣	الإنفاق في سبيل الله (سبحانه و تعالى)	(مَثَلُ الّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلّ سُنْبُلَةٍ مائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم * الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ ثُمّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا منّاً وَلا أَذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون * قَولٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَاللهُ غَنِيّ حَليم) البقرة : ٢٤٥ (وَمَثَلُ الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغاءَ مَرضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَين فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) البقرة : ٢٦٥
٤	الحياة الدنيا زينة إلى زوال	(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)/ يونس : ٢٤. ٢٥ .
٥	الوفاء بالعهد	(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

		اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ). النحل : ٩١ . ٩٢ .
٦	أكل الربا يجلب سخط الله سبحانه	(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة : ٢٧٥
٧	الكفر بعد الإيمان انتكاسة بالعقيدة	(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِين * وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأرض وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذلِكَ مَثَلُ الْقَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * ساءَ مَثَلاً الْقَومُ الّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُون). الأعراف : ١٧٥.١٧٧ .

أما طلاب المجموعة الضابطة فدرسوا بالطريقة التقليدية ، وقد أودعت الخطط استبانة أعدت لهذا الغرض، ملحق(٧)، وقد عرضت على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في اللغة العربية وطرائق تدريسها (الملحق ٥)لاستطلاع آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم لغرض تحسين صياغة تلك الخطط ، وجعلها سليمة تضمن نجاح التجربة ، وفي ضوء ما أبداه الخبراء أجريت بعض التعديلات اللازمة عليها ، وأصبحت جاهزة للتنفيذ .

سابعا / أداة البحث :

أ- الاختبار التحصيلي : استعمل الباحث الاختبار التحصيلي في التعبير الكتابي أداة بحث لقياس التحصيل البعدي لكلا المجموعتين ،وقد عرض خمسة عناوين لموضوعات تعبيرية في استبانة أعدت لهذا الغرض ملحق (٩) عرضت على مجموعة من الخبراء ملحق (٥)، وتم اختيار موضوع (الإيثار) لغرض اختبار طلاب كلا المجموعتين لمعرفة الفروق الإحصائية بينهما .

تصحيح موضوعات التعبير التحريري :

- معيار التصحيح :

اعتمد الباحث معايير تصحيح جاهز لتصحيح كتابات طالبات مجموعتي البحث لذا أودع مجموعة من معايير تصحيح التعبير في استبانة ملحق (١٠) وزعت على مجموعة من الخبراء ملحق (٥) وتم اختيار معيار الحلاق ٢٠١٠ (الحلاق،٢٠١٠/ ١٩١)،ملحق (١١)

ب- مقياس التفكير الشمولي:

اعتمد الباحث اختبار(حمود،٢٠٠٨)في التفكير الشمولي ملحق(١٢) والذي يتكون من (٣٦) فقرة (حمود،٢٠٠٨,ص١٧٤)،وبما أن الاختبار مضى عليه أكثر من سنتين لذا كان من الضروري استخراج صدقه وثباته.

*صدق مقياس التفكير الشمولي :

يُعد الصدق من أهم خصائص الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية، ويكون الاختبار صادقاً إذا كان يقيس السمة، أو الخاصية التي أعد لقياسها (علام،٢٠٠٩: ٢٤٥) ،لغرض استخراج صدق الاختبار أودعه الباحث استبانة ملحق (١٣) وعرضه على مجموعة من الخبراء ملحق (٥) و قد نالت اغلب فقرات الاختبار نسبة صدق ٩٢٪ عدا بعض التصحيحات اللفظية التي اخذ بها الباحث وبذلك تحقق صدق المقياس.

*ثبات مقياس التفكير الشمولي :

يقصد بثبات الاختبار التوصل إلى النتائج نفسها عند إعادة تطبيق الاختبار على العينة نفسها، وفي حدود زمن بين أسبوع أو أسبوعين، إذ أن قلة المدة قد تتيح فرصة للتذكر وطولها قد يتيح فرصة لنمو الأفراد ومن ثم يتغير أداؤهم .(داود،١٩٩٠: ١٢٢) ،لذا اختار الباحث طريقة إعادة الاختبار لحساب ثبات مقياس التفكير الشمولي، إذ طبقه على عينة استطلاعية مكونة من (٥٠) طالبا اختارهم من إعدادية الثورة للبنين وبعد أسبوعين أعاد تطبيق الاختبار على العينة نفسها ، وبعد تصحيح الإجابات ، ووضع الدرجات، وباستعمال معادلة معامل ارتباط بيرسون بلغ معامل الثبات (٠,٩١) ، وهو معامل ثبات جيد بالنسبة إلى مثل هذا الاختبار.

ثامنا / تطبيق التجربة :

اتبع الباحث في أثناء تطبيق التجربة ما يأتي :

١-طبقت التجربة على طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة يوم الخميس الموافق ١ / ١٠ / ٢٠١٥ وقد أنهيت التجربة يوم الاثنين الموافق ٣٠ / ١١ / ٢٠١٥ .

٢- درّس الباحث مجموعتي البحث مادة اللغة العربية بفروعها جميعها وليس فقط التعبير لكي لايشعر الطلاب بأنهم في تجربة.

٣-كتب طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في (٧) موضوعات تعبيرية، وبعد الكتابة صحح الباحث أوراقهم على وفق معيار الحلاق ، وفي نهاية التجربة طبق الباحث اختبار التفكير الشمولي على طلاب المجموعتين .

تاسعا/ تطبيق الاختبارين :

١- تطبيق اختبار التعبير الكتابي :

طبق الباحث اختبار التحصيل البعدي يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٥/١١/٣٠ ،وكتب طلاب مجموعتي البحث في الوقت نفسه الموضوع التعبيري الآتي: (اليتيم مسؤولية دينية وأخلاقية) الذي وقع عليه اتفاق الخبراء وقد جرى تطبيق الاختبار بإشراف الباحث ومدرس المادة ، وحدد زمنه ب(٤٥) دقيقة وبعد أن فرغت المجموعتان من الكتابة في الموضوع جمعت الأوراق لتصحيحها .

*ثبات التصحيح : بعد أن جمع الباحث إجابات

الطلاب صححها على وفق معيار الحلاق والذي حددت درجته العليا (١٠٠) والصغرى (صفر)، وبذلك تم التصحيح وثبتت الدرجات ملحق (١٤) ،و للتأكد من ثبات التصحيح سحب الباحث عشوائيا (٢٠) ورقة من أوراق الاختبار التي صححت ، بعد أن أعطى لكل ورقة إجابة رقما خاصا بها لأغراض التصحيح مستعملا نوعين من الاتفاق هما : الاتفاق عبر الزمن ، والاتفاق مع مصحح آخر* وباستعمال معامل ارتباط بيرسون بلغ معامل الثبات بين محاولتي الباحث عبر الزمن (٠,٩٤) (الملحق ١٥) ، وكانت المدة بين المحاولتين عشرة أيام وهي مدة مناسبة .

أما معامل الارتباط بين الباحث ومصحح آخر (٠,٩٢) (الملحق ١٦) ويعد معامل الثبات جيدا في التصحيحين ، لان الاختبارات غير المقننة إذا بلغ معامل ثباتها (٦٠ , ٠) فأكثر تعد جيدة .

٢- تطبيق اختبار التفكير الشمولي :

طبق الباحث اختبار التفكير الشمولي يوم الاثنين ٢٠١٥/١٢/٧ الذي يتكون من (٣٦) فقرة ولكل فقرة ثلاث بدائل واحدة من هذه البدائل صحيحة والاثنتان الباقيتان خطأ وتصحيح الاختبار بإعطاء درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخطأ فتكون الدرجة الكلية للاختبار (٣٦) درجة، وبذلك تم التصحيح وثبتت الدرجات في ملحق (١٧)

عاشرا / الوسائل الإحصائية :

استعمل الباحث الوسائل الإحصائية الآتية في إجراءات بحثه وتحليل نتائجه :

١-الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين:

استعملت هذه الوسيلة لمعرفة دلالة الفروق الإحصائية بين مجموعتي البحث عند التكافؤ الإحصائي وفي تحليل النتائج.

$$ت = \frac{س_1 - س_2}{\sqrt{\frac{(ن_1-1)ع_1^2 + (ن_2-1)ع_2^2}{ن_1 + ن_2 - 2}\left(\frac{1}{ن_1} + \frac{1}{ن_2}\right)}}$$

إذ تمثل:

س١ : الوسط الحسابي للعينة الأولى.

س٢: الوسط الحسابي للعينة الثانية.

ن١: عدد أفراد العينة الأولى.

ن٢: عدد أفراد العينة الثانية.

ع١ ٢ : التباين للعينة الأولى.

ع٢ ٢ : التباين للعينة الثانية . (البياتي، ١٩٧٧، ص ٢٦٠)

٢-اختبار (كا٢) مربع كاي :

استعملت هذه الوسيلة لمعرفة دلالات الفروق بين مجموعتي البحث عند التكافؤ الإحصائي في متغيري التحصيل الدراسي للآباء والأمهات.

$$كا^2 = \frac{(ن - ق)^2}{ق}$$

---

*أ.م. هاشم راضي جثير، طرائق تدريس اللغة العربية ،تدريسي في قسم التربية الخاصة ،كلية

التربية الأساسية، جامعة بابل.

إذ تمثل :

ن : التكرار الملاحظ.

ق: التكرار المتوقع . (البياتي، ١٩٧٧ ، ص ٢٩٣)

٣-معامل ارتباط بيرسون (Pearson):-

$$ر = \frac{ن\ مج\ س\ ص - (مج\ س)(مج\ ص)}{\sqrt{[ن\ مج\ س^{٢} - (مج\ س)^{٢}][ن\ مج\ ص^{٢} - (مج\ ص)^{٢}]}}$$

استعملت هذه الوسيلة لحساب ثبات الاختبار ، وثبات التصحيح :

إذ تمثل:-

ن: عدد أفراد العينة.

س: قيم المتغير الأول.

ص: قيم المتغير الثاني . (فيركسون،١٩٩٠: ١٤٥)

****

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

يعرض الباحث في هذا الفصل النتيجتين اللتين توصل إليهما في ضوء الإجراءات المشار إليها في الفصل الثالث ، وسوف يعرضها على وفق هدفي البحث .

الهدف الأول :

بعد أن كتب طلاب المجموعتين في الموضوع التعبيري المختار (الاختبار النهائي) وبعد إجراءات التصحيح كانت نتائج الاختبار كما يوضحها جدول (٩)

جدول (٩)

نتائج الاختبار التائي لدرجات طلاب مجموعتي البحث في الاختبارات النهائية

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة ٥%
						المحسوبة	الجدولية	دالة احصائيا
التجريبية	٣٨	٦٤.٣٧	٦.٤٤	٤١.٤٠٥	٧٤	١٢.٩٥	٢	
الضابطة	٣٨	٤٥	٦.٩١	٤٧.٦٧٥				

نلحظ من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لدرجات المجموعة التجريبية (٦٤,٣٧) درجة ،بانحراف معياري (٦,٤٤) ، في حين كان متوسط درجات المجموعة الضابطة (٤٥) درجة بانحراف معياري (٦,٩١) ، وعند استعمال الاختبار التائي (t – test) ظهر إن القيمة التائية المحسوبة (١٢,٩٥) اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة(٢) مما يعني وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠٥ , ٠) وبدرجة حرية (٧٤) ، وفي ضوء هذه النتيجة ترفض الفرضية الصفرية الأولى والتي صيغت على الشكل الأتي « ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي تحصيل طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التعبير بأسلوب تفسير الأمثال القرآنية ، ومتوسط تحصيل طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في التعبير الكتابي « وتقبل الفرضية البديلة.

.الهدف الثاني :

بعد أن طبق الباحث اختبار التفكير الشمولي على طالبات مجموعتي البحث سجل الدرجات ، واستخرج متوسط كل مجموعة كما يوضحها جدول (١٠):

جدول (١٠)

نتائج الاختبار التائي لدرجات طالبات مجموعتي البحث في اختبار التفكير الشمولي

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة ٥%
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٨	٢٧.٠٣	٤.٨٤	٢٣.٣٨	٧٤	٧.٤٨	٢	دال إحصائيا
الضابطة	٣٨	١٧.٧٢	٥.٩٦	٣٥.٤١				

من الجدول أعلاه نجد أن متوسط درجات المجموعة التجريبية (٢٧,٠٣) درجة بانحراف معياري (٤,٨٤) ، في حين كان متوسط درجات المجموعة الضابطة (١٧,٧٢) درجة بانحراف معياري (٥,٩٦) ، وعند استعمال الاختبار التائي (t – test) ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (٧,٤٨) اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) مما يعني وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠٥ , ٠) وبدرجة حرية (٧٤) ، وفي ضوء هذه النتيجة ترفض الفرضية الصفرية الثانية والتي صيغت على الشكل الأتي « ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسطي تحصيل الطلاب الذين يدرسون مادة التعبير بأسلوب التحاور القرآني ، الذين يدرسونها بالطريقة الاعتيادية في التفكير الشمولي « وتقبل الفرضية البديلة.

*تفسير نتائج الهدف الأول :

أظهرت النتيجة تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في مادة التعبير ، ويمكن أن يعزى السبب في ذلك إلى واحد أو أكثر من الأسباب الآتية :

١- إن تفسير الأمثال القرآنية يهذب المشاعر ويوقظ الوجدان ويربي العواطف مما يزيد من إقبال الطلاب على التفاعل مع درس التعبير.

٢- تنوع الموضوعات التي وردت في الأمثال القرآنية والطرائق والأساليب التي جيء فيها زادا من الثروة الفكرية واللغوية للطلاب.

٣- فاعلية أسلوب تفسير الأمثال القرآنية حيث يجعل الطلاب في موقف إيجابي متفاعل مع الدرس اعتماداً على الإصغاء الجيد ، بدلاً من الموقف السلبي الذي يُعتمد فيه على المدرس .

٤- إنّ الموضوعات التي درست في أثناء التجربة من الموضوعات التي يصلح تدريسها على وفق أسلوب تفسير الأمثال القرآنية وتنمي القدرة التعبيرية لدى طلاب الصف الخامس العلمي .

٥- إنّ تفسير الأمثال القرآنية شدَّ من انتباه الطلاب وزاد من تركيزهم بوصفه أسلوباً تدريسياً حديثاً لم يعهدوه من قبل ومن ثم زيادة قدراتهم التعبيرية.

تفسير نتائج الهدف الثاني :

أظهرت النتيجة تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في التفكير الشمولي ، ويمكن أن يعزى السبب في ذلك إلى واحد أو أكثر من الأسباب الآتية :

١. إن تعدد الأساليب التي وردت بها الأمثال القرآنية (الصريح ، والكامن والمخفي) أدى إلى توسعة الإدراك لدى الطلاب زيادةً على تنمية التفكير الشمولي لديهم.

٢. إن أسلوب تفسير الأمثال القرآنية ساعد الطلاب على سلسلة أفكارهم وعرضها بشكل منظم ، زيادة على أنه أثار دافعيتهم، وشد انتباههم ، وهذا ما أكدت عليه الاتجاهات الحديثة في التدريس .

٣. أن المثل بمعناه الواسع يؤدي إلى استعمال جميع القدرات والإمكانات لإثبات الحجة وإقناع المقابل وهذا بدوره يحتاج إلى أنماط تفكيرية متنوعة منها الناقد والإبداعي والمنطقي والشمولي...الخ وهذا التنوع تجلى بالقران الكريم.

٤. إن أسلوب تفسير الأمثال القرآنية ساعد في نمو العمليات العقلية ومنها التفكير الشمولي.

٥. إن أسلوب تفسير الأمثال القرآنية نمّى لديهم القدرة على تقصي المعاني الخفية في النصوص القرآنية ، والوقوف على مراميها البعيدة ، وعلى تحليلها، والنظر إليها من زوايا مختلفة ، مما أكسبهم القدرة على تطوير عملية فكرية متشعبة.

****

الفصل الخامس

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

أولاً-الاستنتاجات :

من خلال النتيجة التي توصل إليها الباحث يمكن استنتاج ما يأتي :

١. إن أسلوب تفسير الأمثال القرآنية يؤدي إلى مساعدة طلاب الصف الخامس الأدبي في إنشاء تراكيب تعبيرية جديدة عندما يستعمل في تدريس مادة التعبير.

٢. وجود علاقة بين التحصيل الدراسي والتفكير الشمولي لدى الطلاب عندما يستعمل أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في التدريس .

٣. هناك حاجة لدى طلاب الصف الخامس الأدبي إلى أساليب تدريسية حديثة ومنها أسلوب تفسير الأمثال القرآنية.

٤. إن هذا الأسلوب يسهم في توسعة خيال الطلاب ويساعد على نموه .

٥. إنه يزيد من عناية الطلاب بمادة التعبير فضلا عن توسعة إدراكهم وزيادة ثروتهم اللغوية.

٦. إن التحاور القرآني يزيد من ثروة الطلاب اللغوية وفهم معان جديدة للكلمات.

ثانياً-التوصيات :

في ضوء النتيجة التي توصل إليها الباحث فإنه يوصي بما يأتي :

٣. أن ترمي المناهج الدراسية إلى تنمية التفكير والإبداع لدى المتعلمين .

٤. أن تكون عناية المدرس تعليم الطالب كيف يفكّر؟ وليس كيف يحفظ ؟

٥. الإفادة من اختبار التفكير الشمولي بعد تقنينه في المجالات التربوية والمهنية وذلك عن طريق استعماله كأداة موضوعية لمعرفة خصائص الطلبة بغية العمل على وضع الاختبارات الملائمة لإمكاناتهم .

٦. العمل على تنمية القدرات العقلية العليا لدى الطلبة ومنها توليد الأفكار لكي تكون هناك فرصة لهم لكي يكونوا أكثر إبداعاً وبالأخص في مادة التعبير.

٧. يجب أن يراعي التدريسيون الفروق الفردية بين الطلاب ممن يمتلكون تفكيراً شموليا والذين لا يمتلكون والذين لديهم القدرة على توليد الأفكار والذين لا يقدرون .

٨. اعتماد أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في تدريس التعبير لطلاب الصف الخامس الأدبي.

٩. اطلاع مدرسي مادة اللغة العربية ومدرساتها على خطوات التدريس بأسلوب تفسير الأمثال القرآنية لأجل استعماله عند تدريس مادة التعبير لطلاب الصف الخامس الأدبي .

١٠. ضرورة تأكيد المشرفين التربويين على أهمية توظيف القران الكريم في التدريس أثناء زياراتهم الميدانية للمدرسين والمدرسات .

١١. إن يوجه المدرسون طلبتهم بضرورة توظيف العبارات والأفكار والألفاظ والصور البلاغية الواردة في أسلوب تفسير الأمثال القرآنية في دروس التعبير.

١٢. أن يبتعد المدرسون عن أساليب التلقين وفرض الأفكار ومساعدة الطلاب على الوصول إلى المعلومات بأنفسهم عن طريق التفكير .

ثالثا-المقترحات

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحث إجراء :

١. دراسة مماثلة للدراسة الحالية في فرع آخر من فروع اللغة العربية .

٢. دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مدارس الإناث.

٣. دراسة مماثلة للدراسة الحالية في مرحلة دراسية أخرى.

٤. دراسة لمقارنة فاعلية تفسير الأمثال القرآنية مع طرائق تدريسية أخرى في الأداء التعبيري .

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب، ج١،ج٩،ج١٢،ج١٤،ج١٥، ط٤، دار صادر، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥.

٢. أبو سرحان ، عطية عودة . دراسات في أساليب تدريس التربية الاجتماعية والوطنية ، ط١ ، دار الخليج للنشر ، عمان ، ٢٠٠٠

٣. إسماعيل، زكريا. طرائق تدريس اللغة العربية ،مط دار المعار الجامعية ،مصر ،٢٠٠٥ .

٤. الأمين ، شاكر محمود ،وآخرون . أصول تدريس المواد الاجتماعية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٢ .

٥. البغا، محمود . الأمثال في القران الكريم. ط١، دار اليازوري للنشر ، بيروت ، ١٩٦٩.

٦. البلالي، محمود ناصر. ماوراء التفكير ,ط٢،دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧

٧. البيانوني ،عبد المجيد .ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، ط١،دار القلم دمشق، ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

٨. الجوزية، ابن القيم،الأمثال في القرآن الكريم ،ط٤، دار المعرفة بيروت، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٩. الحلاق، علي سامي. اللغة والتفكير الناقد.ط٢،دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠

١٠. حمدان, محمد صايل وآخرون . مفاهيم أساسية في اللغة والأدب، مط دار الكندي، الأردن ، ط١ ،١٩٩٠ .

١١. حمود، مثنى فلحي، التفكير الشمولي وعلاقته بتوليد الأفكار لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب في جامعة بغداد ٢٠٠٨.

١٢. الخطيب، محمد إبراهيم .مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها في مرحلة التعليم الأساسي مط الوراق، للنشر والتوزيع ،الأردن،٢٠٠٩.

١٣. راتب،،قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة. أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ،مط دار المسيرة ،الأردن،ط٢٠٠٣،١

١٤. الربضي، وائل منور. السمات العقلية والانفعالية للمتفوقين رياضياً، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة دمشق، كلية التربية، سوريا ٢٠٠٧

١٥. الركابي، جودت . طرق تدريس اللغة العربية ،مط دار الفكر ،دمشق ،ط١٠ ،٢٠٠٥.

١٦. الزوبعي، عبد الجليل. مناهج البحث التربوي، (١٩٦٨)، ط١، مطبعة القاهرة ، مصر.

١٧. السبحاني، جعفر. الأمثال في القران الكريم، ط٢، دار الأضواء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠

١٨. طاهر ،علوي عبد الله .تدريس اللغة العربية وفقا لأحدث الطرائق التربوية ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٠،الاردن.

١٩. ظافر، محمد إسماعيل، ويوسف حمادي. التدريس في اللغة العربية، دار المريخ للنشر، الرياض١٩٨٤.

٢٠. عاشور ،راتب قاسم ومحمد فؤاد الحوامده. أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ،مط دار مسيرة ،الأردن،ط٣،٢٠٠٣،١

٢١. عبد الهادي، نبيل وآخرون. مهارات في اللغة والتفكير، ط١، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٣م .

٢٢. عبود، صلاح مهدي. أثر تحفيظ نصوص وأقوال مختارة في تحسين الأداء التعبيري لطالبات الصف الرابع العام جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية، ٢٠٠٤(رسالة ماجستير غير منشورة).

٢٣. عصر، حسين عبد الهدي. الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة العربية، مط الدار العربية، ٢٠٠٠

٢٤. عطية ، محسن علي ، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها ، ط١، دار المناهج للنشر والطباعة ، عمان ، ٢٠٠٨.

٢٥. علام، صلاح الدين محمود. القياس والتقويم التربوي والنفسي، أساسياته وتوجيهاته ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

٢٦. علام، صلاح الدين محمود. القياس والتقويم التربوي والنفسي، أساسياته عمان،الاردن،٢٠١٠.

٢٧. علي، سعيد. سايكلوجية التفكير ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠١ .

٢٨. الفلو، اسعد. فاعلية برنامج تدريبي في التعلم التعاوني وفق مفاهيم التربية الشمولية، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، أطروحة دكتوراه غير منشورة٢٠٠٥.

٢٩. قطامي ، يوسف ، ونايفة قطامي تعليم التفكير للمرحلة الأساسية ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠١ .

٣٠. القيّم، كامل حسون. مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية ، السيماء للتصاميم والطباعة، بغداد ، العراق، ٢٠٠٧م.

٣١. مجاور ،محمد صلاح الدين. تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية أسسه وتطبيقاته التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة٢٠٠٠.

٣٢. المسعودي ،كريم خضير فارس. اثر تحليل النصوص القرآنية في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الخامس الأدبي ، جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد،٢٠٠٦(رسالة ماجستير غير منشورة).

٣٣. مشرف، أحمد: (٢٠٠٧)، الذكاء والتفكير .http://www.Huaral-Kema.com

٣٤. مصطفى ،إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢ ،٨٧م. ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

٣٥. معبد، محمد احمد محمد. نفحات من علوم القران، ط٢،مط دار السلام القاهرة، ٢٠٠٥.

٣٦. مقيبل، خديجة محسن حسين. القيم التربوية في الأمثال القرآنية، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية، جامعة ام القرى، ١٤١٤.

٣٧. الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة .أمثال القرآن وصوره من أدبه الرفيع تأملات وتدبر ،ط٢، دار القلم دمشق،١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٣٨. النحلاوي، عبد الرحمن. التربية بضرب الأمثال ،ط١، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م.

٣٩. النعيمي، طارق إسماعيل خليل. اثر ثلاث استراتيجيات قبلية لتدريس المطالعة في الاستيعاب القرائي والأداء التعبيري لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي العام، جامعة بغداد، كلية التربية/ابن رشد، ٢٠٠١، (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

٤٠. الوائلي سعاد عبد الكريم .طرائق تدريس الأدب والنصوص والبلاغة والتعبير بين النظرية والتطبيق،ط٢،مط الشروق للنشر والتوزيع، عمان الاردن ٢٠٠٤.

Armstrong. S. and etal.: (1999),.37 The effect of mentor, U.S.A. univer. .Chjicago. p. 19

Hassard, J. & Weis- .38 berg, J.: (1995), Global thinking teachers resoureguide, Atlanta, GA: .Global thinking project

Lunch, D.: (1986), Is the.39 brain stuff still the right or left, Stuff journal, U.S.A

الملاحق

ملحق (٦)

أسماء الخبراء الذين استعان بهم الباحث لإجراءات البحث

ت	الاسم	التخصص الدقيق	مكان العمل
١	أ. د. حسن علي العزاوي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
٢	أ.د. سعد علي زاير	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
٣	أ.د. فاضل ناهي عبد عون	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة القادسية /كلية التربية
٤	أ.د. حمزة عبد الواحد	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
٥	أ. د. ضياء عبدالله التميمي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
٦	أ.د. ثائر سميرالشمري	أدب	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
٧	أ.د. جمعة رشيد كضاض	طرائق تدريس اللغة العربية	الجامعة المستنصرية كلية التربية الاساسية
٨	أ.د. محمد جاسم الياسري	قياس وتقويم	جامعة بابل / كلية التربية الرياضية
٩	أ.د. بشرى كاظم	قياس وتقويم	الجامعة المستنصرية كلية التربية
١٠	أ. م. د .حسن خلباص حمادي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

١١	أ.م.د. حمزة هاشم محميد	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل / كلية التربية
١٢	أ. م. د. رغد سلمان علوان	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
١٣	أ.م. د . عبد السلام جودت	علم النفس	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
١٤	أ.م. د . عماد حسين المرشدي	علم النفس	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
١٥	أ. م. د. زينة غني عبد الحسين	أدب	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
١٦	أ.م.د . أنصاف سلمان علوان	أدب	جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
١٧	أ.م. د. ضياء عويد حربي	طرائق تدريس اللغة العربية	جامعة بابل / كلية التربية الاساسية
١٨	أ.م.د. زينب عبد الحسين	طرائق تدريس اللغة العربية	الجامعة المستنصرية كلية التربية
١٩	أ.م. د. وائل عبد الأمير خليل	لغة	جامعة بابل / كلية الآداب
٢٠	أ.م. د . سحر هاشم محمد	قياس وتقويم	الجامعة المستنصرية كلية التربية
٢١	أ.م. د. عبد الجبار عدنان	طرائق تدريس اللغة العربية	الجامعة المستنصرية كلية التربية
٢٢	أ. م. د نبيل عبد الغفور عبد الكريم	قياس وتقويم	الجامعة المستنصرية كلية التربية

ملحق (١١)

معيار الحلاق لتصحيح التعبير

ت	المهارات الأساسية	الدرجة لكل مهارة	درجة امتلاك الطلبة للمهارة التعبيرية				
١	الترتيب المنطقي للموضوع	٤					
٢	كتابة مقدمة للموضوع	٤					
٣	كتابة خاتمة للموضوع	٤					
٤	الالتزام بنظام الفقرات	٤					
٥	ترك مسافة مناسبة بين الكلمات والأسطر	٤					
٦	وضوح الأفكار	٤					
٧	تدعيم الأفكار بالأدلة والشواهد	٤					
٨	إبراز الأفكار العامة	٤					
٩	شمولية الأفكار لعناصر الموضوع	٤					
١٠	تنوع الأفكار في إطار الموضوع	٤					
١١	صحة المعلومات وقتها	٤					
١٢	جدة الأفكار والمعاني	٤					

١٣	الالتزام بالموضوع	٤					
١٤	التعبير عن الأداء والأحاسيس الذاتية	٤					
١٥	صحة اختيار المفردات اللغوية	٤					
١٦	صحة التراكيب المستعملة	٤					
١٧	صحة القواعد النحوية والصرفية	٤					
١٨	استخدام أدوات الربط المناسبة	٤					
١٩	صحة الرسم الإملائي	٤					
٢٠	وضوح الخط	٤					
٢١	استعمال علامات الترقيم	٤					
٢٢	فنية التعبير	٤					
٢٣	تنظيم صفحة الكتابة	٤					
٢٤	تفصيل الفكر والرئيسة إلى أفكار جزئية	٤					
٢٥	إبراز العناوين الرئيسة وبعض الجمل والألفاظ المهمة	٤					
	المجموع	١٠٠					

ملحق (١٢)
اختبار التفكير الشمولي بصيغته النهائية

التعليمات

أعزاءي الطلاب تحية طيبة...

نضع بين أيديكم مجموعة من الفقرات التي تمرون بها يومياً، وتشعرون بها، وتفكرون فيها، لذا يرجو الباحث الإجابة عنها بدقة وموضوعية، لما لذلك من أهمية كبيرة للبحث العلمي بشكل خاص وتطوير المجتمع بشكل عام، لكونكم تمثلون شريحة اجتماعية مهمة ومستوى متقدماً من الوعي والمعرفة.

لذا يأمل الباحث تعاونكم معه في الإجابة عن هذه الفقرات جميعها بما يعكس آراءكم الحقيقية تجاهها وذلك من خلال وضع إشارة (√) على البديل المناسب في كل فقرة من فقرات هذا الاختبار، علماً أن أجابتكم لن يطلع عليها أحد سوى الباحث ولا تستعمل إلا لأغراض البحث العلمي ولا داعي لذكر الاسم.

مع شكري وتقديري الفائقين..

الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐

التخصص : أنساني ☐ علمي ☐

مثال :

في القضايا التي تخصني أميل إلى:

☐ أ- التفكير في القضايا.

☐ ب- ترك الموضوع.

☐ ج- الاعتماد على الآخرين

ت	الفقرات
١	إذا طلب مني إصدار حكم على موضوع ما، أو مسألة ما فأني: أ- لا أتسرع في إصدار الحكم عليه. ب- أصدر الحكم في بداية الأمر مباشرة . ج- أؤجل إصدار الحكم عليه إلى وقت آخر.
٢	لدي القدرة على النجاح في المشاريع: أ- الخاصة. ب- المشتركة. ج- الاعتيادية.
٣	أفضل الأفكار التي تتصف بـ: أ- التصلب. ب- المرونة. ج- الاثنان معاً.
٤	أفكاري اتجاه مواقف الحياة: أ- الأفكار التقليدية. ب- الأفكار البسيطة. ج- الأفكار المتنوعة.
٥	أغلب الأحيان تعتمد أفكاري على: أ- مشاعري. ب- الواقع. ج- الاثنان معاً.
٦	عندما أفكر في قضية ما فأن أفكاري: أ- محدودة. ب- لا تحدها حدود. ج- متناثرة.
٧	عندما أحاول تكوين فكرة جديدة فأني: أ- أمزج بين الأفكار بصورة شاملة. ب- لا أمزج بين الأفكار. ج- أعتمد فكرة واحدة.
٨	عندما أتعامل مع الآخرين فأني أكون بنفسية: أ- مكتئبة. ب- ضجرة. ج- مرحة ومرتاحة.
٩	عند تعاملي مع مواقف الحياة فأني: أ- لا أتمكن من الانسجام معها. ب- انسجم مع المواقف في البيئة التي أعيش فيها بسهولة . ج- أنسجم ولكن بصعوبة.
١٠	عندما أعمل في مشروع معين فأني: أ- أفضل العمل مع الآخرين. ب- أفضل العمل بمفردي. ج- الاثنان معاً.
١١	عندما أخطط لحياتي فأني اعتمد على: أ- رأي الأشخاص المقربين. ب- لا أخطط مسبقاً لأي شيء.

ت	الفقرات
١٢	عندما أتعرض لمشكلة معينة فأني: أ- أتعامل معها بصورة كلية . ب- أفصل المشكلة إلى أجزاء. ج- لا أفكر في حلها.
١٣	عندما أتعرض لمواقف في الحياة جديدة فأني: أ- أصاب بالخجل والتردد. ب- أتعامل معها بسهولة ويسر. ج- أطلب مساعدة الأخرين.
١٤	أن أفكاري التي أنتجها: أ- محدودة جداً. ب- متناثرة. ج- كبيرة.
١٥	أميل إلى التعامل مع: أ- الجزئيات. ب- العموميات. ج- الاثنان معاً.
١٦	أميل إلى: أ- الواقع. ب- أحلام اليقظة. ج- التخيل.
١٧	عندما أتعرض لمواقف متناقضة وغامضة فأني: أ- أستطيع تحملها . ب- لا أستطيع ذلك. ج- أستعين بالأخرين.
١٨	عندما أتعامل مع الآخرين فأني: أ- أشعر بمسؤوليتي تجاههم. ب- أتقيد بجزء محدد من التعامل. ج- أهتم بنفسي فقط.
١٩	عندما أخفق في عمل معين فأني: أ- أبحث عن عمل آخر. ب- لا أهتم بذلك. ج- أجد الأسباب المسوغة لإخفاقي.
٢٠	عندما أطرح أفكاراً معينة فأني: أ- أتعصب للأفكار التي أطرحها. ب- لا أتعصب للأفكار التي أطرحها . ج- أحاول تسويغها.
٢١	عندما أكلف بانجاز أعمال معينة فأني: أ- أتلكأ في إنجازها. ب- أوظف طرائق غير مألوفة في إنجازها. ج- أعتمد أسلوباً واحداً في إنجازها.
٢٢	في عملي أكون: أ- تقليدياً. ب- كسولاً وغير مبال بانجازه. ج- غير تقليدي ومتحرراً ودائم التساؤل.

ت	الفقرات
٢٣	تتصف شخصيتي بـ: أ- الانبساطية. ب- الانطوائية. ج- بين الانبساط والانطواء.
٢٤	عندما أواجه موقفاً يتطلب اتخاذ قرار وحكما فيه فأني: أ- أنفرد في اتخاذ القرار. ب- أترك اتخاذ القرار للآخرين. ج- أشرك الآخرين معي في اتخاذ القرار.
٢٥	عندما أؤدي عملاً معيناً فأني: أ- أفضل الأعمال الروتينية. ب- لا يهمني نوع العمل. ج- أتجنب الأعمال الروتينية.
٢٦	عندما أكون في حلقة نقاشية مع زملائي داخل الصف فأني: أ- لا أحبذ القيود على أفكاري. ب- أفضل أن تكون الأفكار المطروحة محددة. ج- لا أفضل البوح بأفكاري.
٢٧	عند البحث عن حل للمشكلة التي تواجهني فأني : أ- أفكر في البدائل قبل اعتماد أحدها. ب- أختار الحل مباشرة وبسرعة. ج- أطلب مشورة الآخرين في حلها.
٢٨	عندما أحاول تفسير قضية ما فأني: أ- أفسرها بشكل اعتباطي. ب- أهيئ المعلومات اللازمة عنها. ج- أتهرب منها.
٢٩	عندما أكون في موقف صعب أو محرج فأني: أ- لا استطيع التعامل معه. ب- أتجنبه. ج- أنسجم وأتكيف معه بسهولة.
٣٠	في المواقف الحياتية التي تواجهني فأني: أ- استشير الآخرين. ب- امتلك القدرة التي اعتمد عليها بإزاء هذه المواقف. ج- أفشل في مواجهتها.
٣١	أهتم بمساعدة الآخرين فلذلك: أ- أخصص لهم جزءاً من وقتي. ب- أطلب المساعدة من ذوي الكفاية . ج- أوظف قدراتي المتنوعة.
٣٢	تكون أفكاري وأحلامي: أ- بناءً على طريقتي الخاصة في الحياة. ب- تكون متشابهة مع أحلام الأصدقاء وأفكارهم. ج – مختلفة نوعاً ما عن آراء أصدقائي.
٣٣	عندما تواجهني مشكلة أحاول حلها: أ- بطرائق عدة بحيث أعدل في أساليب حلها. ب- بأن أركز على طريقة واحدة في الحل. ج- بأن أسهم الآخرين في حلها.

ت	الفقرات
٣٤	تكون استجابتي للمواقف التي تواجهني: أ- أهتم بالمواقف ولا أهتم بالأشخاص. ب- تبعاً للأشخاص الذين أتعامل معهم. ج- بأن أهتم بكليهما معاً الأشخاص والمواقف.
٣٥	عندما أطرح أفكاراً فأن أفكاري: أ- مبهمة وغامضة. ب- تكون متكررة وعشوائية. ج- تثير انتباه الآخرين.
٣٦	في حل المشكلات أكون من الأفكار والأشياء المتعارضة أفكارا: أ- منسجمة وجديدة. ب- غير منسجمة. ج- غير مهمة.

ملحق (١٣)

درجات الاختبار النهائي في التعبير

المجموعة الضابطة					المجموعة التجريبية			
ت	الدرجة	ت	الدرجة		ت	الدرجة	ت	الدرجة
١-	٥٥	٢٠-	٤٤		١-	٧٦	٢٠-	٦٥
٢-	٥٥	٢١-	٤٤		٢-	٧٥	٢١-	٦٤
٣-	٥٤	٢٢-	٤٢		٣-	٧٣	٢٢-	٦٣
٤-	٥٤	٢٣-	٤٢		٤-	٧٣	٢٣-	٦٣
٥-	٥٤	٢٤-	٤١		٥-	٧٢	٢٤-	٦٢
٦-	٥٣	٢٥-	٤١		٦-	٧٢	٢٥-	٦٢
٧-	٥٣	٢٦-	٤٠		٧-	٧٢	٢٦-	٦٠
٨-	٥٢	٢٧-	٤٠		٨-	٧١	٢٧-	٥٩
٩-	٥٢	٢٨-	٣٨		٩-	٧٠	٢٨-	٥٨
١٠-	٥٢	٢٩-	٣٨		١٠-	٧٠	٢٩-	٥٨
١١-	٥١	٣٠-	٣٧		١١-	٦٩	٣٠-	٥٨
١٢-	٥١	٣١-	٣٧		١٢-	٦٨	٣١-	٥٧
١٣-	٥٠	٣٢-	٣٧		١٣-	٦٨	٣٢-	٥٧
١٤-	٥٠	٣٣-	٣٧		١٤-	٦٨	٣٣-	٥٧
١٥-	٥٠	٣٤-	٣٦		١٥-	٦٧	٣٤-	٥٦
١٦-	٤٨	٣٥-	٣٦		١٦-	٦٧	٣٥-	٥٦
١٧-	٤٨	٣٦-	٣٦		١٧-	٦٦	٣٦-	٥٦
١٨-	٤٦	٣٧-	٣٦		١٨-	٦٥	٣٧-	٥٥
١٩-	٤٥	٣٨-	٣٥		١٩-	٦٥	٣٨-	٥٣
المجموع =١٧١٠ الوسط الحسابي= ٤٥ التباين=٤٧.٦٧٥					المجموع = ٢٤٤٦ الوسط الحسابي=٦٤.٨٤ التباين= ٤١.٤٥			

(ملحق ١٤)

درجات الاختبار النهائي في التفكير الشمولي

المجموعة الضابطة					المجموعة التجريبية			
ت	الدرجة	ت	الدرجة		ت	الدرجة	ت	الدرجة
١-	٢٨	٢٠-	١٥		١-	٣٥	٢٠-	٢٦
٢-	٢٨	٢١-	١٥		٢-	٣٤	٢١-	٢٦
٣-	٢٧	٢٢-	١٤		٣-	٣٤	٢٢-	٢٦
٤-	٢٧	٢٣-	١٤		٤-	٣٤	٢٣-	٢٥
٥-	٢٦	٢٤-	١٤		٥-	٣٣	٢٤-	٢٥
٦-	٢٦	٢٥-	١٤		٦-	٣٣	٢٥-	٢٥
٧-	٢٦	٢٦-	١٣		٧-	٣٣	٢٦-	٢٥
٨-	٢٥	٢٧-	١٣		٨-	٣٢	٢٧-	٢٥
٩-	٢٥	٢٨-	١٣		٩-	٣٢	٢٨-	٢٥
١٠-	٢٣	٢٩-	١٣		١٠-	٣١	٢٩-	٢٤
١١-	٢٣	٣٠-	١٣		١١-	٣١	٣٠-	٢٤
١٢-	٢٢	٣١-	١٣		١٢-	٣٠	٣١-	٢٤
١٣-	٢١	٣٢-	١٢		١٣-	٣٠	٣٢-	٢٢
١٤-	٢٠	٣٣-	١٢		١٤-	٢٩	٣٣-	٢١
١٥-	١٩	٣٤-	١٢		١٥-	٢٩	٣٤-	٢٠
١٦-	١٧	٣٥-	١١		١٦-	٢٨	٣٥-	١٩
١٧-	١٧	٣٦-	١١		١٧-	٢٧	٣٦-	١٩
١٨-	١٦	٣٧-	١٠		١٨-	٢٧	٣٧-	١٩
١٩-	١٥	٣٨-	١٠		١٩-	٢٧	٣٨-	١٨
المجموع =٦٧٣					المجموع = ١٠٢٧			
الوسط الحسابي= ١٧.٧٢					الوسط الحسابي=٢٧.٠٢			
التباين=٣٥.٤٠					التباين= ٢٣.٣٧			

اللهم صل على
محمد وعلى آله
وبارك وسلم

a. After submission, the author will receive notification that the article has been received

b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.

c.The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.

d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.

e. A researcher destowed a version in which the meant research published.

12.Priority of article publication depends on:

a.Participation in the conferences held by the publisher .

b.The date of receiving the article by the editor.

c.The date of receiving the modified articles,and

d.The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons, and this should be within two weeks of receiving the article.

Rublications Rules

1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards, and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature, and education.

2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size, together with a CD copy , within 10,000 -15.000 words in length , usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.

3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English, and include the title of the article.

4.The first page of the article should include the author's name , address , institutional affiliation , mobile ,and e-mail , but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.

5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.

6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources , they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.

7.Tables, photos, and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.

8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time, with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.

9.The article should not be published in any journal or submitted simultaneously for publication elsewhere.

10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors, and they do not necessarily represent the views of the journal.

11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected,but in accordance with the following procedure:

Managing Editor

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syaf

Secretary Editor

Mr.Haydar Al-Salamy

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa(Egypt)

Prof.Dr.Munira Muhammad Faour(Syria)

Assist.Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor(Iraq)

Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali(Iraq)

Assist.Prof.Dr. Kadhim Hassan Jassim (Iraq)

Assist.Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq (Iraq)

Assist.Prof.Dr.Khalid Sahr Muhi (Iraq)

Proofreaders

Dr.Haydar Abdali Hemydy

Dr.Ghanim Kamil Suood

Abass Al-Sabag

Translation

Dr.Muayyad Omran Chiad

Electronic Website

Haider Al-Amiry

Design and Production

Saifuldeen AL-Zamili

Follow up and Coordination

Hassan Al-Zihary

Hussein Al-Razavi

Alaauldeen Al-Hassani

Riyad Hussein Karim

Qasim Al-Musawy

Musaab Hadi Al- Numany

General Supervisor

Sheikh: Abdul–Mehdi El–Kerbala'I

Editor–in–Chief

Dr. Lateef Al–Qasab

Advisory Board

Prof. Dr Hussein Nasar (Cairo–Egypt)

Prof. Dr. Mahmoud Muhammad Al–Hassan (Syria)

Prof. Dr. Abdalali Al–Wadghiry (Morocco)

Prof. Dr. Sahib Jaffer Abujinah (Iraq)

Prof. Dr. Sabah Abbas Al–Salim (Iraq)

Prof. Dr. Kareem Hussein Naseh (Iraq))

Prof. Dr. Raheem Jabr Al–Hissnawy (Iraq

Prof. Dr. Farooq Al–Haboobi (Iraq)

Prof. Dr. Ahmed Jwad Al–Atabi (Iraq)

Prof. Dr. Mehdi Salah Al. Shimary (Iraq)

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat 22)

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة العربية

DAWAT دعوات

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein,
Department of Media, Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and
Scientific Research,Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and
Iraqi Documents: 2014,1963

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001